أم المعارك :

يبدو أن مسلسل (الوهم) الذي وقعت فيه الولايات المتحدة الاميركية ، ومن تخندق معها في الحرب العدوانية الظالمة التي شنتها ضد العراق ، سوف لا يقف عند حد ، ذلك أن هذه الدول مجتمعة بعد أن ركب (الوهم) رأسها ، وتقمص الشيطان روحها في شن حربها الغادرة ، ثم ما آلت اليه نتائج تلك الحرب في ساحة المنازلة الحقة (أم المعارك الخالدة) يوم رد كيدهم الى نحورهم ، والتف السحر على الساحر ، وخرج العراق سليماً معافى قوي البنيان ، متراص الصفوف ، يشد بعضه إزر بعض ... راحت تجتهد في ابتكار اساليب وصيغ جديدة تداري فيها خيبتها ، وتلملم اشلاءها لترميم حالة الانكسار التي منيت بها ، ومحاصرة حقيقة الامة الجهادية التي أفصحت عنها (أم المعارك الخالدة) ، من خلال اختلاق الاكاذيب ، وحشد الاتباع والازلام ، واستجداء الاقربين والابعدين بالترغيب تارة ، وبالترهيب تارة أخرى لاستمرار عدوانها وحصارها الجائر الذي فقد مبررات استمراره بعد أن وفى العراق بالتزاماته القانونية جميعها كما نصت عليها الفقرات (٨ ـ ١٣) من قرار مجلس الامن (٦٨٧) ، وأصبح من حقه المشروع المطالبة بتنفيذ الفقرة (٢٢) من القرار المذكور . ولكن كل تلك الجهود الخاسئة ـ سابقها ومايلحق بها ـ ستبوء بالفشل الذريع .. ذلك أن (أم المعارك الخالدة) ليست مواجهة عسكرية ، إنما هي منازلة تاريخية اختمرت في وجدان المؤمنين وضمائرهم الحية ، منذ أن بدأ الكفر يكيد كيده ، ولهى عنته لإلحاق الاذى بالانسانية جمعاء بعد أن عبر العراق بوقفته التاريخية عن صمودها الحتمي ، واشتراطات نهوضها الحضاري الانساني .

إن سقوط الوهم الكبير في ساحة المنازلة الحقة (أم المعارك الخالدة) يوم أحبط العراق بصموده الاسطوري ، واقتداره المعزز بالايمان ، اكذوبة (القوة المفرطة) ، قد دفع امريكا الى مسلسل أوهام جديدة وجدت نفسها متورطة فيها تحقيقاً لهدف (يبدو لها يسيراً) ، لانها سبق ان جربت أمثاله بعشر الجهد الذي تنزفه الآن ، وبنفقات لاتكاد تذكر حين تصدت لبعض تجارب الحركات الثورية في بلدان العالم الثالث ، أو في امريكا اللاتينية ، ولكنه ـ بعد أن ركب الوهم رأسها ـ هدف عزيز المنال ، صعب التحقيق ضد العراق وثورته التي تجذرت في أرض الواقع طوال مايقرب من اثنين وثلاثين عاماً ، لان هذه الثورة (ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز المجيدة) بقيادتها التاريخية الفذة لم تكن ثورة من طراز الثورات التي تعرف المهادنة أو التراجع ، ولن ترتضي لنفسها الإبحار في المياه الراكدة ، أو الوقوف على مشارف الشعارات البراقة بدون بذل جهد يذكر لتعزيز مسيرتها ، وتحقيق أهدافها التاريخية التي أفصحت عنها منذ أيامها الاول ، فكانت بحق (ثورة الطريق الجديد) التي لم تعرف الانكفاء أو المساومة طيلة أعوام مسيرتها الظافرة .

طاقة الأمة الروحية ورسالتها الجهادية

الدكتور محمد البكاء

إن الولايات المتحدة التي ارتضت لنفسها الهوان ، وهي تناصب العراق (قيادة وشعباً) العداء ، قد اختارت مقتلها ، ذلك أن العراق كان ومايزال يمثل صمام الامان لمسيرة أمته العربية الصاعدة نحو تحقيق أهدافها الانسانية ، وانجاز مشروعها القومي الحضاري ، على الرغم من شدة التآمر ضده ، واستمرار الحصار (الجريمة) الذي لن يفت من عضده ، أو يدفعه الى الانزواء ، او التنازل عن مواقفه المبدئية الثابتة التي ترفض التسلط والهيمنة المقيتة ، أو التفريط بحقوق أمته العربية المشروعة ، فالثورة وقيادتها التاريخية اختارت المواجهة مع أعداء امتها ، ووضعت نفسها أمام مسؤولياتها التاريخية التي عززها الايمان الذي عبر عنه السيد الرئيس القائد صدام حسين ، بالقول : « إن أهم ما في تراثنا العظيم ، هو فضل الله تعالى علينا بالايمان الذي هدانا اليه .. وتكليفنا كحملة رسالة إنسانية عظيمة ، وسنظل نحاول بإذن الله أن نستوحي من الطيبات ، وندعوه تعالى أن يمكننا من قهر عوامل الضعف في أي واحد منا » .

إنَّ (أم المعارك الخالدة) التي نحتفي بذكراها التاسعة ، لم تكن معركة شكلية ، بل منازلة تاريخية بالغة أهدافها - بإذن الله تعالى - بعد أن اسهمت في تعرية (سقط المتاع) ، وإسقاط اشكال التآمر كافة - ماخفي منها وما ظهر - حتى يفيق الجميع من (الوهم) الذي ركبهم ، ومن الوهم ماقتل ! ولعل في مقدمة هؤلاء الواهمين الولايات المتحدة التي ارتضت لنفسها الانجرار الى خندق اوهامها بعد أن زينت لها (القوة الغاشمة) سوء أفعالها ، متباهية بطول ذراعها التقنية ، وغرتها الحياة الدنيا مستغلة صمت من قطع الخوف ألسنتهم .. ولكن (عراق القادسيتين) و (أم المعارك الخالدة) سيظل (القدوة) لهذه الأمة وللانسانية جمعاء ، بـ (الإيمان) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هذا الايمان الذي تجلى في أبهى صورة ، وأشرف موقف حين قال (لا) للظلم ، وللانفراد ، وللكيل بمكيالين ، و (نعم) للمساواة بين شعوب الارض في الحقوق والواجبات ، صغيرها وكبيرها ، غنيها وفقيرها ، مهتدياً بقول الله تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا » من دون أن ينسى أو يتغافل عن مسؤوليته التي هي مسؤولية أمته التي باركها الله تعالى واصطفاها ، لتكون خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وترفع ساريته عالياً ، وتنهى عن المنكر ، ولكن ليس بأضعف الايمان .

يوم حنين

١١ شوال ٨ هـ - ٦٣٠/١/٣٠ م

عبد القادر التحافي
العميد الركن

«ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً
لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين»
صدق الله العظيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده ، السراج الذي اضفى على الدنيا نوره وسعده ، وما زال التوفيق ملازماً جنده ، والنصر محالفاً أسده .

أمّا بعد :

فإن ايام العرب وقائعها ، وخصوا الايام دون الليالي في الوقائع لان حروبهم كانت نهاراً كيوم ذي قار ، واذا كانت الوقيعة ليلًا قالوا : ليلة كذا ...

وان ايام الاسلام الحاسمة في القرآن هي : يوم الفرقان (معركة بدر) ويوم التقى الجمعان (معركة احد) ويوم الاحزاب (معركة الخندق) ويوم الفتح المبين (فتح مكة) ويوم حنين (معركة حنين) .

وما نقوله هنا يختص بيوم حنين ، والغرض منه : بيان التدابير العسكرية المواكبة للحدث البادىء بتهيؤ الطرفين ، المسلمين والمشركين ، للتعرض خلال الملاقاة ثم الانحدار بالفيلق الاسلامي الجرار من مكة المكرمة الى وادي حنين حيث كانت الصدمة الاولى المفاجئة ، ثم التغلب عليها بالسكينة الالهية والنجدة غير المرئية ، ودقة التوجيهات النبوية ، والكرّة بعد الفرّة الفجرية ، والمختتم بتحقيق النصر العزيز .

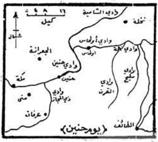
وقد اسميته (يوم حنين) استناداً الى قوله تعالى « .. ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم .. »[1] رجاء ثوابه عند الاصابة وغفرانه زللي في الكتابة ، فإليه لا الى سواه الانابة .

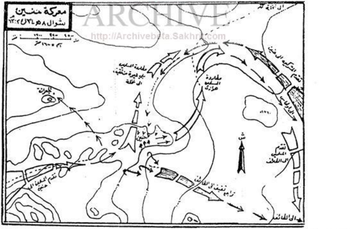
وان مصادري الاصلية للمعلومات المدرجة هنا هي : مغازي الواقدي ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الخميس للديار بكري ، والسيرة النبوية لابن دحلان . فلمؤلفيها الثناء الجميل . اما بقية المصادر والمراجع فمنوه عنها في (الهامش) ولمؤلفيها الشكر الجزيل . فلولا هؤلاء وأولئك ما بلغ الطرح مداه ، وعسى ان يصلح الخلل من وجده ورآه واجره على الله .

صدر الكلام :

عقد الرسول الكريم (ﷺ) العزم على فتح مكّة قبيل رمضان من سنة ثمان الهجرية والانتصار لقبيلة خزاعة حليفة المسلمين المعتدى عليها عند انصاب الحرم . وكتم القصد في نفسه الى حين ، ولكنه اعلن عن غزوة حجون (بعيدة) مُعمّاة الغاية . ونادى مناديه في المدينة المنورة : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحضر رمضان في المدينة »[٢] واشفع النداء بارسال مبعوثيه الى القبائل المسلمة بهذا الخصوص ، فتحشدت مع المهاجرين والانصار خلال ايام معدودة في معسكر ابي عِنَبةَ خارج المدينة[٣] .

يندر في الجزيرة العربية ، وقد يستحيل ، حفظ سر تحشد آلاف المقاتلين في معسكر واحد بغية الغزو ، لان العرب مقاتلون كلهم ، ولا معدى عن ان يسمع النداء كل فرد معني به من اجل اعداد ما يستطيع اعداده من سيف ورمح وقوس والة ، ودرع ومغفر وبيضة وترس وحلة ، وتمر ودقيق ، واقط وسويق ، واخفاف ونعال ، وخيل وجمال ، وسائر مستلزمات القتال . فلا تنظيمات ادارية متكاملة لديهم ، كما هي اليوم ، لتعينهم على تيسير متطلباتهم الادارية ، ولا مخازن سلاح يرجعون اليها للتسلح الاني ، ولا سلسلة قيادة متعالية الربط تبدأ من الجندي الاول الى رئيس العرفاء ومن آمر وحدة فرعية الى آمر وحدة كبيرة كالجيوش المعاصرة . إن كل ما لديهم هو عريف ونقيب وقائد في بعض الاحيان والاحوال . وربما يظهر فيهم متدرعون بميرة وسلاح ومال يسدون بتبرعاتهم بعض الخلل لا كله ، وهؤلاء قلة ، وعليه فإن تحشداً عظيماً كهذا تنتشر اخباره انتشار النار في الهشيم او انتثار الشهب في الرقيم ، الا ان الغاية منه والقصد قد يخفيان اذا لم يرد القائد المخطط البوح





بهما للجميع وقصرهما على الوليجة والخاصة (هيئة الركن العليا) . وقد وصل خبر تحشد عشرة الاف مقاتل الى هوازن فبثت عيونها (جواسيسها) يتسقطون مزيداً من التفاصيل[٤] .

امسكت طليعة الفيلق الاسلامي بعين لهوازن بين (العرج) و (الطلوب) على طريق تنقله الى مكة ، فاعترف بان قومه بعثوا به الى المدينة لملازمة محمد وتعقيبه والتعرف على مقصده واتجاه حركته ولا سيما اذا بلغ الحشد مفرق (سرف) حيث يتحدد السير اما قدماً الى مكة او انحرافاً الى هوازن . ثم افاد ان هوازن وثقيف قد تحشدوا واجلبوا في العرب يلتمسون الرديف، اللفيف تحسباً لما سيطرأ من صوارف الخطوب والظروف . وباتوا يترقبون الاحداث المقبلة[٥] . ولما فتح الله مكة للمسلمين إهتبل النبي ﷺ الفرصة لاستثمار الفوز وبث السرايا في كل وجه وامرهم ان يغيروا على من لم يكن على الاسلام عارضين عليهم مزايا الايمان بالله والاستقامة . فخرج هشام بن العاص في منتي مقاتل تجاه (يلملم) وهي موضع على ليلتين من مكة (ثمانين كيلاً)[٦] .

وخرج خالد بن سعيد بن العاص في ثلاث مئة مقاتل حيال عرنة (وادي محسر) . وخرج خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً من اصحابه لخمس ليال بقين من رمضان الى (نخلة) لهدم العزى التي يعظمها قريش وكنانة ومضر فهدمها وعاد ليمده الرسول ﷺ ثانية في ثلاث مئة وخمسين فارساً الى منطقة (تهامة) جنوب مكة على طريق يلملم ، فالتقى بعد مسير خمسة وعشرين كيلاً بقبيلة جذيمة عند (الجُمَيْة) وذلك لليلتين بقيتا من رمضان (٢٠ / ١ / ٦٣٠ م)[٧] . وخرج عمرو بن العاص في جماعة من اصحابه الى سواع صنم هذيل بـ (رهاط) فهدمه . وخرج سعد بن زيد الاشهلي في عشرين فارساً الى مناة وهي صنم لغسان وكعب واخرين[٨] . وكانت في (المُشَلَّل) قرب (قُدَيْد) وكان خروجه في رمضان سنة ثمان ايضاً[٩] .

وكانت غاية هذه السرايا الدعوة الى الاسلام وتحطيم الاصنام وتعميم السلام جهد الامكان من دون اراقة دماء او صدام .

قوات الطرفين :

الطرفان المتحاربان هما المسلمون بقيادة الرسول ﷺ الامين المامون . وقُبالتهم المشركون بزعامة هوازن وثقيف وقيادة مالك بن عوف النصري من اهل الطائف .

كان حشد المسلمين جند الله الذين فتحوا مكة (عشرة الاف مقاتل) يتوزعون على بني سُليم ، وبني غفار ، واسلم ، وبني كعب ، ومزينة ، وجهينة ، وكنانة ، واشجع ، وقُضاعه ، والكتيبة الخضراء من الانصار والمهاجرين . والفين من الطلقاء مسلمي مكة حديثي العهد بالاسلام ومثله العليا ولمّا يستقر الايمان في قلوبهم بعد ، وفيهم ثمانون مشركاً ، منهم صفوان بن امية الذي استعار الرسول ﷺ منه مئة درع باداتها كاملة مع ما يحملها من الدواب عارِيةً مضمونة مؤداة[١٠] ، ومنهم كلدة بن الحنبل اخو صفوان لامه ، ومنهم سهيل بن عمرو . وقد استعار الرسول ﷺ ثلاثة الاف رمح من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . واقترض مئة وثلاثين الف درهم من ثلاثة اغنياء مكيين لينفقها في سبيل المجهود الحربي[١١] .

اما حشد هوازن القبيلة العربية الشهيرة بابنائها المَرَدَة العتاة والمبارزين الطغاة والمعدودين من خير الرماة[١٢] ، فيتكون من حشود فرعية تجمعت من بطون هوازن الكثيرة التي شاركت في غزوة حنين ضداً للمسلمين ، ومنها سليم وهوازن ابنا منصور بن قيس عيلان . ومن هوازن تفصيلاً :

بنو هلال بن عامر بن معاوية بن بكر بن هوازن
بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن
بنو رباب بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن
بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن
بنو سعد بن بكر بن هوازن
بنو مُنَبِّه (ثقيف) بن بكر بن هوازن
ومجموعهم الاف مقاتل

وفي بني نصر القائد الشاب مالك بن عوف النصري . وفي بني جشم القائد المحنك دريد بن الصمة الكمي البُهْمَة وهو سيدهم واوسطهم نسباً . وكان في بني هلال قلة تتجاوز المئة اوكادت . وكل هؤلاء البطون المذكورة انفاً من قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهي من اشد القبائل باساً . ولعل في اخضاعها اخضاعاً لباقي قبائل الحجاز للدين الجديد . ولم يشهد الغزوة من قيس عيلان الا هؤلاء ، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب وغالبية بني هلال . وقد حضرتها احلاف ثقيف . وتسكن ثقيف في الطائف وتنتشر بقية البطون في تهامة على ساحل البحر الاحمر من حدود بلاد الشام الجنوبية الى حدود اليمن الشمالية . وقد تشابكت مصالح هوازن وثقيف تشابكاً وثيقاً مع قريش بحكم الجوار والمصاهرة . ويلتقي نسب هوازن بقريش عند مضر بن نزار[١٣] . وقد انيطت القيادة العامة بمالك بن عوف ، وقيادة ثقيف بكنانة بن عبد ياليل ودونه قارب بن الاسود في الاحلاف وذو الخمار سبيع بن الحارث واخوه الاحمر في بني مالك . وتشاور الرؤساء في الذي استجد بعد الفتح وتدارس القادة حيثية المواجهة المتوقعة فقر قرارهم على التصدي للنبي ﷺ لانهم توقعوا مسيره اليهم منذ تحشد فيلقه لفتح مكة . ورجح ظنهم وتاكد توقعهم انه سائر اليهم لا محالة ، وقد تفرغ لهم ، فقالوا : نغزوه قبل ان يغزونا[١٤] .

وكان كنانة بن عبد ياليل ثاقب النظر جوال الفِكْر مدركاً للغير . نصح ثقيف قبل الحركة : « يا معشر ثقيف إنكم تخرجون من حصنكم وتسيرون الى رجل تحاربونه ولا تدرون اتكون العاقبة لكم ام عليكم ، فاعملوا على مرمة مارثَّ من حصنكم فقد تحتاجون

اليه » فامروا به ان يصلح وخلفوا على ترميمه مسؤولاً مقتدراً وساروا[15]. وادخروا فيه من الميرة والذخيرة ما يكفيهم سنة كاملة[16].

وبلغ حشد هوازن ولفيفها اربعة الاف مقاتل[17]. وقد ذكر الواقدي منفرداً ان حشد هوازن عشرون الفاً وذكر ابن دحلان انهم كانوا عشرين الفاً وقيل ثلاثين الفاً وقيل اربعة الاف وعد الرقم العدد الاخير مرجوحاً . وذكر الجنرال أ . اكرم انهم كانوا اثني عشر الف مقاتل وانفرد بهذا ايضاً ، ولعله اشتبه بعدد الفيلق الاسلامي[18].

وببسط التباين موضوعاً للنقاش نرجح الرقم (اربعة الاف) استناداً الى قوله تعالى ﴿ ... ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ﴾[19]، والكثرة هنا تتحقق بنسبة (٣ / ١) وهذا يدفع الى الزهو والغرور والاعجاب والاعتداد بالقدرة المادية فقط متناسين الاعتداد بالدعم الالهي وان النصر من عند الله يهبه لمن يتوكل عليه وليس لمن يتكل على قدرته الذاتية وحدها .

تقصي الاخبار :

إجتهد كل طرف من طرفي التحارب في تقصي اخبار الطرف المناوىء وكشف نياته المقبلة . ارسل الرسول ﷺ عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي لينطلق الى حشد هوازن ويدخل في الناس حتى ياتي باخبارهم وما تنوي القيادة عمله . طاف الاسلمي في معسكر الاعداء ثم انتهى الى القائد العام مالك وهو يخاطب رؤساء هوازن قائلاً : « ان محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة ، وانما كان يلقى قوماً غماراً لا علم لهم بالحرب فينتصر عليهم ، فاذا كان الشحَر فصفوا صفوفكم واكسروا جفون سيوفكم واحملوا حملة رجل واحد . واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولاً (الضربة الاستباقية) . فلما وعى ذلك عبد الله رجع فاخبر الرسول ﷺ بكل ما سمع ووعى . ثم جاء فارس مسلم الى الرسول ﷺ وهو في الطريق منصرفه من مكة واخبره بأن هوازن جمعاء بنسائها وابنائها واموالها ونعمها في وادي حنين . تبسم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة للمسلمين غداً ان شاء الله » . وامر بتشديد الحراسة الليلية وادامة الرصد على المرتفعات والنُجُد المطلة على بداية وادي حنين[20].

ولم يتوان مالك بن عوف في التقصي ، فارسل ثلاثة انفار عيوناً له يتحسسون تحركات المسلمين ويتتبعون مراحلهم ومنازلهم ويحاولون سبر نياتهم . فتفنوا وعادوا وقد اخذ منهم الرعب كل ماخذ بما شاهدوا من رجال بيض على خيول بلق لا طاقة لاحد بهم فاخبروا مالك بذلك والتمسوه ان يرجع بقومه صارفاً النظر عن قتالهم او التعرض لهم او الاندفاع نحو مكامن الخطر لان الناس اذا رأوا ما رأينا تملكهم الرعب وتلبسهم الذعر فيتخلل العسكر قاطبة . قال مالك : « أفٍ لكم ! ما اجبنكم » وحبسهم لئلا يشيع كلامهم فتنهار المعنويات وينفرط الثبات . ثم كلف شجاعاً متميزاً لتاكيد الخبر او تفنيده باجادة الاستطلاع والتحقق من المعلومات الواردة . فذهب الرجل وعاد معززاً ما اخبر به الثلاثة الاولون فلم يثن ذلك التعزيز مالكاً عن عزمه ومضى الى ما يريد[21].

وهذا الشاعر الحاضر حين الباس ، عباس بن مرداس يعمل على تثبيط همم هوازن كلها بقصيدة يظهر لهم فيها مقدرة الفيلق الاسلامي ، ومنها[22]:

ابلغ هوازنَ أعلاها واسفلَها
منّي رسالةَ نُصحٍ فيه تِبيانُ
اني اظن رسولَ الله صابحكم
جيشاً له في فضاء الله اركانُ
تكاد ترجفُ منه الارضُ من رهبٍ
وفي مُقدمِهِ شُوس وفُرسانُ

وصف الارض :

الارض بين مكة والطائف (مساكن ثقيف) وبين مكة وسائر ديار هوازن صحراوية جرداء ، ينبسط سطحها عن اودية رملية متعددة الشعاب ظاهرة الاجناب معدودة الهضاب لا سيما ميدان الحركة المتقابلة من غرب المحور الذي سلكه المسلمون منطلقين من مكة باتجاه اوطاس ونخلة الى شرق المحور ذاته الذي سلكه المشركون منطلقين من اوطاس باتجاه حنين وذي المجاز . اهم عوارض هذا المحور وادي اوطاس الفسيح المنبسط القمر الصالح للصيالة ومناورة الخيل كما وصفه دريد بن الصمة بقوله « نعم مجال الخيل اوطاس ، لا حَزْنٌ ولا ضِرْس ولا سَهْلٌ ولا دَهْس »[23].

يليه اهمية وادي حنين احد اودية تهامة ، أجوف حطوط كثير المضايق والشعاب والانحاء والاجناب . ثم هناك اودية اخرى اقل اهمية كوادي المجاز ووادي نخلة ووادي الشامية وغيرها لم يظهر لها تاثير جلي على الطرفين المتضادين يوم حنين ، وقد ظهر تاثيرها عند المطاردة الى الطائف . والطائف مدينة ذات موقع جبلي مدعم بالاسوار القوية والحصون الدفاعية والخندق المحفور بهياة دائرية ، مشرفة على غور موفور الغلة ليس اليها منفذ سوى الابواب المحكمة الاغلاق ، فهي إذن كانفة طبيعية محسنة للحماية والامن والاطمئنان ويأتيها رزقها رغداً لجودة مناخها وخصوبة ما جاورها من بقاع .

قال الشاعر يصف حاكمية الطائف وهو بجير بن زهير بن ابي سلمى[24]:

جَمعتْ باغواءِ هوازنُ جمعَها
فتبددوا كالطائرِ المُتمَزِقِ
لم يمنعوا منّا مقاماً واحداً
الا جدارهم وبطنَ الخَندَقِ
ولقد تَعرضنا لكيما يخرجُوا
فتحصّنوا منّا ببابٍ مُغلقِ

ان الرتل الذي يترك مكة متجهاً نحو الشمال الشرقي محاذياً

(الجعرانة) التي تبعد خمسة عشر كيلاً عن مكة يصل الى حنين (هي الشرائع اليوم) بعد خمسة اكيال اخرى ، فبينها وبين مكة عشرون كيلاً . ثم يدخل الرتل وادي حنين الذي يستمر بالانحدار شرقاً فالشمال الشرقي حتى يلاحك وادي اوطاس . ويتفاوت عرض وادي حنين بين ثلاثة اكيال غالباً ونصف او ربع كيل في مناطق معينة تساعد على الدفاع الموضعي الرصين[25] ، ويحسن فيها قتال التعويق بقطعات قليلة . ومن يحتلها اولاً يكسب ميزة جيدة تمنحه اياها حاكمية الارض . كما يساعد الوادي على الثبات للمدة التي يتطلبها الموقف باستغلال مواضعه المتعاقبة ولطول الوادي ولكثرة مضايقه وشعابه والسفوح الامامية لاجنابه الصالحة لزرع الكمائن وجودة ادائها فان مواضع الاعاقة تتعدد فيه .

ومن يتوغل في ديار هوازن ، علياها وسفلاها ، يجد المرتفعات الصالحة للدفاع والسفوح الموافقة للكرّ والفرّ ومناورة الفرسان ، فهي تجبر المهاجم على توزيع قواته نحو اهداف متفرقة متباعدة (الحركة على الخطوط الداخلة) يطول عندها خط مواصلاته ويتشعب .

عرض الخطط :

كانت خطة الرسول ﷺ التعرض هوازن ولفيفها استثماراً للنصر الحاصل بفتح مكة . وما كان النبي ﷺ براغب في إراقة الدماء لو كان لديه خيار سوى الانطلاق لملاقاة هذا الحشد الجديد . ولم يكن يرغب في انتظار تكتل آخر يقاوم حملة الدين القويم كما حدث عندما تحشدت الاحزاب في غزوة الخندق . اضف الى ما تقدم ان النبي ﷺ اذا تريث ماكثاً في مكة ، وقبع العدو في اوطاس مدة فائضة يكون قد هدر وقتاً ملياً هم في امس الحاجة اليه للقيام في اثنائه بهداية القبائل الاخرى وادخالها في الدين الاسلامي في الوقت الذي لا يزال الاثر النفسي لفتح مكة يعتمل في جوانح العرب ويشغل اذهانهم . وعلى اية حال فان تحدياً معادياً شرساً في هذه المرحلة سيقلل من تاثير فتح مكة في النفوس .

لذا وجب قبول التحدي الهوازني وسحقه باسرع ما يمكن ، ورب ريثٍ فوّت فرصة[26] . وما ان اتت الاخبار الى الرسول ﷺ تؤكد تحشد هوازن في وادي حنين حتى تفاءل خيراً وقال ، كما سبق ذكره : « تلك غنيمة للمسلمين غداً ان شاء الله » . والمفهوم الثابت ان الغنيمة لا تعد غنيمة الا بالتعرض وايجاف الخيل والركاب (اي بالقتال الفعلي) . رتب الرسول ﷺ القطعات رجّالة وخيّالة وقدم سليماً واخرج منها مقدمة من الخيل واستعمل عليها خالد بن الوليد وبامرته سبع مئة فارس[27] .

اما هوازن وثقيف المعسكرون في اوطاس فقد كانت مناقشة فائقة وحوار مهني سديد بين دريد بن الصمة ومالك بن عوف بشأن خطة كل منهما واليك الكيفية :

قال دريد : اين مالك بن عوف ؟

قال مالك : هاانذا .

قال دريد ، القائد الشيخ ذو الموهبة والخبرة والتجربة ، يا مالك انك قد اصبحت رئيس قومك ، وان هذا اليوم كائن له ما بعده من الايام ، وان وادي اوطاس نعم مجال الخيل ! لا حَزْن ضَرِس ، ولا سَهْل دَهِس ، فمالي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء ؟

قال مالك ، القائد الشاب الذي اختارته هوازن ولفيفها قائداً عاماً : سقت مع الناس نساءهم وابناءهم واموالهم من اجل ان يكون خلف كل مقاتل منهم اهله وماله ليتفانى في سبيلهم خشية العار والشنار تفاني الصناديد حماة الذمار .

قال دريد زاجراً : راعي ضأن والله ! وهل يردُّ المنهزم شيء ؟ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه . وان كانت عليك فُضِحت في اهلك ومالك . وثمة شيء اخر هو غياب بني كعب وبني كلاب ابني ربيعة بن عامر بن معاوية ، وغياب غالبية بني هلال . ولوددت انكم تغيبتم كما تغيبوا ، فلو كان يوم علاء ورفعة لم يتغيبوا عنه[28] . ولو كان خيراً ما سبقتموهم اليه . ولو كان ذكراً وشرفاً ما تخلفوا عنه فاطيعوني وارجعوا فإنكم تقاتلون رجلاً كريماً (يعني النبي ﷺ) .

وان كان لا فكاك من الاعتراك فانك يا مالك لم تصنع شيئاً بتقديم بيضة هوازن الى نحور الخيل . وانصحك برفع هذه الحشود الى متمنع بلادهم وعليا قومهم وعزهم ثم الق الصُّبَاْ (المسلمين) على متون الخيل ، فان كانت لك لحق بك من وراءك ، وان كانت عليك القاك ذلك قد احرزت اهلك ومالك .

قال مالك غاضباً : والله لا افعل ذلك . ولا اغير امراً صنعته . (اي خطة وضعتها) انك قد كبرت وتخلف علمك بالحرب ، وبرز بعمك من هو ابصر بالحرب منك[29] .

قال دريد : ما دمت مصراً على الحرب هذا الاصرار الصلب فاشير عليك بمسك بعض شعاب وادي حنين ومضايقه ، واجعل لك كميناً يكون دونك معيناً ، ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت انت بمن معك . وان كانت الحملة لك لم يفلت من العدو احد حتى العدد[30] . وبعد تفكير عميق التفت دريد بن الصمة الى النخبة من هوازن وقال : « يا معشر هوازن ، ما رأي مالك لكم برأي ! هذا فاضحكم في عورتكم ومُمَكِّن منكم عدوكم ولا حق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه[31] .

لقد كانت تلك مناقشة منطقية اظهرت صورة واقعية لتباين وجهات النظر المعرفية بين حماسة الشباب واندفاعهم وحكمة الشيوخ وتريثهم . كان دريد فارساً قبل العشرين واليوم هو شيخ جاوز المئة والعشرين ايمن النقيبة هادىء الطبع . وهذا مالك السيد الكريم المحمود عرف بالشجاعة والاقدام ، في الثلاثين من عمره ، ماضي العزيمة قوي الشكيمة ، حاد الطبع ، لم يرد ان يكون لدريد ذكر او رأي فيحمده الناس ويتنقصون من مقدرته هو ويعزون

النجاح - لو حصل - الى دريد . وكان مالك من الجرارين ولا يدعى المقاتل جراراً ما لم يقد الفاً من الرجال"[22] . لقد تمكن مالك من اقناع هوازن على طاعته ، وخطبهم مستنهضاً هممهم شاحذاً عزائمهم بقولهم : « صفوا متان صفوفكم واكسروا جفون سيوفكم واحملوا على عدوكم حملة رجل واحد فتلقونهم بعشرين الف سيف ، واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولاً »[23] وهذا امر فيه اصالة وبراعة وثقة بالنفس والعمية .

والذي اراه في العشرين الفاً معنى لا يتعلق بالحصر الحسابي وانما يتعلق بالمبالغة المعنوية لشحذ الهمم وافهامهم بانهم وان كانوا اربعة الاف مقاتل حصراً فان واحدهم سيغلب خمسة لفرط شجاعتهم وسلامة خطته . كما ان المراد من صفوف النساء تشجيع الرجال ليخوضوا المعركة بباس الياس وتحت شعار « نصر او قبر » .

مطالع الاحداث :

تحرك رسول الله المختار ﷺ بالفيلق الاسلامي الجرار من مكة المكرمة عصر يوم الجمعة قاصداً هوازن وامدادها المتحشدة في وادي اوطاس . واستعمل على مكة عتاب بن اسيد اميراً[24] . واسرع الفيلق في البدء حتى اتى رجل ، لعله الوازع ، فقال : يا رسول الله ان جندك قد تقطعوا من ورائك . فاوعز الرسول ﷺ بايقاف المقدمة حيث وصلت لان الارتباك قد ساد نظام المسير والناس قد تقطعوا تلاً . ثم نزل وصلى العصر واستقطب المتقطعين وامرهم بالنزول ارتقاباً لاعادة النظام واكتمال الرتل المسير صبيحة اليوم التالي على بركة الله .

كان من عادته ﷺ اذا غزا ترك الكائنة (القاعدة) هو وجنده بعد صلاة الظهر او العصر وبات ليلته في ضاحيتها حتى تتكامل القوة . وقد فعل هذا في غزوة احد وفتح مكة وغزوة حنين منه . وعندما اكتمل الحشد وانتظمت التسلسلات في رتلها ليلاً اخلدوا الى الراحة . والراحة مصدر خصب للتقولات . وحينها دارت مقولة إعجاب بكثرة العدد وشاعت بنص : « لَنْ نُغْلَب اليوم عن قِلّةٍ » . ونسبت الى غير قائل واحد ووصلت الى الرسول ﷺ فبين للجند افتقاره الى ربه ولجوءه اليه بدعائه كلما صلى : « اللهم بك أُحاول وبك أُصاول وبك أُقاتل » . وقال لهم ان الغلبة تتحقق بشرط « إن تنصروا الله ينصركم »[25] والا وكلكم الى انفسكم[26] . ومن حيث اصابهم الاعجاب بالكثرة وغرتهم الاماني بالسطوة استحقوا معاتبة المتين ذي القوة فذكرهم بوجوب الاتكال عليه وحده فقال سبحانه « ... ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين »[27] .

ثم جاء رجل اخر ، لعله احد عيون الفيلق الراصدة ، الى الرسول ﷺ يخبره بان هوازن عن بكرة ابيها قد نزلت الطرف القصي من وادي حنين[28] . فتحقق له ما سبق ان تبسم له رجاء الغنيمة وبلوغ المقصد الاسنى ، واعد للامر عدته .

وما ان انبلج الضياء الاول لفجر يوم السبت المسفر عن ست ليال خلون من شوال سنة ثمان هجرية (٢٧ / ١ / ٦٣٠ م) حتى بدأ منتسبو الفيلق الاسلامي بالمرحلة الاولى من التقدم النضيد والسير الوئيد حذرين من عدوهم خشية المباغتة حتى عسكروا على مشارف حنين في مساء الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال[29] (٣٠ / ١ / ٦٣٠ م) بعد ان قطعوا عشرين كيلاً في اربع مراحل ، وكان القياس ان يقطعوها في مرحلة واحدة بعد ان انتظم الرتل مساء الجمعة في معسكر على مشارف مكة ، لكن الحذر لزام ، وللضرورة احكام ، ولمبدأ الامن سيادة على الدوام .

عقد الرسول ﷺ الرايات والالوية وهو بمعسكر حنين ، واوعز الى قائد كوكبة من الفرسان لاعتلاء المراصد المطلة على وادي حنين للانذار المبكر باي خطر يحيق بمنطقة التحشد . وقد وصلتنا مقولة الرسول ﷺ يوجه بها انيس بن ابي مرثد الغنوي قائد الفرسان الراصد المتبرع بادامة الرصد وانجاز مهمة الحراسة والمراقبة والانذار . كانت المقولة : « إنطلق حتى تقف على جبل كذا وكذا . فلا تنزلن الا مصلياً او قاضي حاجة ولا تغرن من خلفك »[30] وقد فعل الرجل وكوكبته ما امر به الرسول ﷺ ونفذوه خير تنفيذ .

ان الوقوف على جبل كذا وكذا يعني الوقوف على اكثر من جبل واحد ، وهذا لا يقدر عليه فرد احد مكلف بالرصد المستمر . لذا نرجح ان انيساً كان رئيساً اوندئياً او قائداً لكوكبة من الفرسان يترصدون فرادى او ازواجاً من مراصد دبثة على المرتفعات في ليلة واحدة لحراسة وانذار فيلق جرار .

اما ما كان من ترتيبات الطرف المعادي للمسلمين فكانت منسقة جداً . فقد ادرك القائد العام مالك بن عوف بنباهته الفطرية المتاصلة وليس بدراسة منهجية متواصلة ان من يرتفع ينتفع او بالاحرى من يسر على المرتفعات ينتصر . وبعبارة اكثر تفصيلاً ان من يتسلق النجاد يستفد من حاكمية الارض تاركاً عدوه في الخفض يتخبط بين الوهاد مثخن الجراح من رشق السهام وطعن الرماح وحتى الحجارة وبقية السلاح المنصبة عليه من مكامن الكمائن وعليا الاماكن .

بناء على ما تقدم قسم مالك جنده ثلاثة اقسام . جعل القسم الاول كميناً فوق اقرب مضايق وادي حنين من جهة المسلمين ، وأمره بالانطلاق لاحتلال مكامنه عند الضياء الاخير ليوم الثلاثاء يوم احتلال المسلمين معسكرهم على مشارف الوادي . والزامهم اتخاذ الحيطة والحذر والكتمان الشديد لئلا يشعر بهم المسلمون فيفقد الكمين الغاية منه وقد احتل الكمناء الارض كما طلب منهم وباتوا يترقبون دخول المسلمين الوادي الذي لا يصلح للمناورة .

ووضع القسم الثاني داخل الوادي في موضع دفاعي رصين خلف موقع الكمين بمسافة مناسبة بحيث يراهم من ينحدر في

المضيق الى امام لقمة سائغة وهدفاً هشاً . وقد احتل هذا القسم موضعه من دون ان يشعر به المسلمون ، وربما شعروا به واستهانوا به زهواً وغروراً .

وقد احسن هذا القسم اجراءاته فاصطف صفوفاً تعبوية متتالية ، الخيالة فالرجالة ثم صفوف النساء على الابل ليراها المهاجمون فيتخيلونها صيداً في احبولة اوغنيمة تنال بسهولة فيندفعون نحوها على عجل ، يساعدهم على هذا انكشاف الفرسان الاماميين بحيلة الاستطراد . والاستطراد هو ان يتصدى الخصم لخصمه ثم يتظاهر بالانكشاف والهزيمة فتطارده الخيل لتنال منه فيستدرجها الى مسالك وعرة او فسحات لا تصلح للمناورة (ارض قتل) ثم يكر عليها بشدة وضراوة وقد نصب لها الكمائن فيبيدها اوتستسلم . وقد وضع مالك مع النساء والولدان تطمان من الغنم والبعران إمعاناً في الاغراء المادي واثارة الكوامن النفسية والرواسب المرفية المتعلقة بحب المال الجم . وكانت خطة مالك تتلخص بحصر المسلمين بين الكمين والموضع الدفاعي الرصين ليكونوا غنيمة كبرى بعد حين .

اما القسم الثالث ، وهو ما تبقى من الاثقال والاحمال واحتياط القتال والحراس . فقد مكث في اوطاس كمؤخرة إدارية مساعدة وكانفة جامعة (منطقة ادارية) لتجميع الغنائم فيها بعد النصر المرتقب بحسب تصور مالك بن عوف .

ثم اصدر اوامره قبل تفرق الاقسام بقوله : « اذا رايتموهم فشدوا عليهم شدة رجل واحد»[41] . واراد بهذا القول اذا حصرتم المسلمين ، كل المسلمين ، بين مكامن الكمين وموضع القسم الثاني الرصين ، وليس قبل ذلك ، فهاجموهم في وقت واحد شدة رجل واحد .

الكمين :

شلّ سيف النور من غِمْد الدُجى
وتعرى اللّيل من ثوبِ الغلس[42]

واطل الفجر المسفر عن احدى عشرة ليلة خلت من شوال الموافق للضياء الاول من يوم الاربعاء (٣١ / ١ / ٦٣٠ م) . وفي غلس الصبح بدأت المرحلة الاولى من المعركة فانطلق الفيلق الاسلامي على تعبية معلومة بعد ان عرضه الرسول ﷺ وهو بقيافة القتال مرتدياً درعين ومغفراً وبيضة (خوذة) واستقبل الصفوف وطاف عليها ، وحضهم على صدق اللقاء والصبر عند الصدمة الاولى وبشرهم بالفتح وابقى المعسكر الخلفي حيث هو في منطقة التحشد على مدخل الوادي . وتقدمت بنو سليم الرتل وقد أسماهم الرسول ﷺ (الشعار) اي القريبين من القلب ، ورأس رمحهم خالد بن الوليد في سبع مئة فارس . إقتحم خالد وبعض فرسانه وادي حنين مع الضياء الاول لفجر يوم الاربعاء يريد ان يصل اوطاس قبل ان يتحرك المشركون منها بحسب تصوره . وهيهات ، لقد سبقهم مالك باثنتى عشرة ساعة فاحتل المضيق بالاسلوب الذي ذكرناه من قبل . فلما انبلج الفجر وانتشر النور اصبح خالد وفرسانه هدفاً واضحاً لكمين المشركين فرشقتهم النبال وانتاشتهم لهاذم الرماح المنصبة عليهم من جنبات الوادي العليا وهم غافلون فكانت مفاجاة شلت العقل والفعل والخيل عن الحركة لان النبل افتك سلاح يعقر الخيل ويحدد اندفاعها .

الـــويـــلُ من النبـــلِ الــــويـــلْ
لم يفتـــــا عقّـــــار الخيـــــل

فانهزموا شر هزيمة على غير هدى وتبعهم ضعاف النفوس ودب الهلع في الاخرين وارتدت القدمات المعقبة مصابة بعدوى الهزيمة والعياذ بالله . وجرح خالد بن الوليد جرحاً اعاقه عن مواصلة القتال ، وساءت الامور وحلت نكسة كادت ان تكون نكبة لو لا اندفاع الرسول ﷺ من الساقة الى موطن الخلل والانهيار ممتطياً بغلته ، دافعاً بها الى امام على الرغم من امتلاكه الخيل ليرسخ في اذهان جند الله فكرة الصبر والثبات ثقة بالله واملاً بنصره لان البغلة من مراكبْ الطمانينة والامن وهي لا تصلح للكر والفر . وكان ركوبه لها في مواطن الحرب والطعن والضرب دليلاً على مزيد شجاعته وتمام قوته وصدق توكله على الله[43] . وكان الرسول ﷺ يدعو الله ويساله النصر وكان الصحابة اذا اشتد الباس والتحم القتال يتّقونَ به لشجاعته وثباته[44] .

فلما وصل ﷺ ميدان الالتحام في بداية الوادي قرب مواقع الكمين إنحاز الى اليمين حيث شرف من الارض (مرتفع صخري) اشرف منه على البسيطة الصالحة للمصاولة يراقب تتابع الاحداث عن كثب متحفزاً للتدخل[45] .

السكينة والنجدة :

لما فر الناس انزل ربُ الناس سكينته على رسوله وعلى المؤمنين المحيطين به في (مقر القيادة) إحاطة الهالة بالقمر والمطر بالزهر . قال تعالى : • لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الارض . بما رحبت ثم وليتم مدبرين • ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين •[46] وكانت الوليجة (جماعة مقر القيادة) قلة ؛ دون العشرة ؛ فعشرة ؛ فعشرات ؛ ثم صاروا ثمانين ؛ ثم مئة صابرة ؛ حتى بلغوا ثلاث مئة . وكان الرسول ﷺ قد جرد سيفه وطرح غمده وطلب النصرة والب عليها بقوله بصوت جهير :

أنا النبي لا كذب
أنا أبن عبد المطلب

ومن المتعارف عليه عندهم ان الانتساب في الحرب عنوان البطولة وثبات القلب .

ثم امر العباس، وكان جهير الصوت ان ينادي مستحثا : يا معشر الانصار، يا اصحاب السمرة يا اصحاب سورة البقرة ! يا انصار الله ورسوله ! ثم خص الخزرج بالنداء . وكان النداء إستنفاراً للطاقات المعنوية والمادية والنفسية المركونة في العقل الباطن والواعي[٤٧] . وجاء الجواب من فوره : لبيك لبيك يا رسول الله ! ابشر، نحن معك . وصار الرجل يلوي بعيره فلا يقدر عليه لكثرة المنهزمين، فيأخذ درعه يقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويخلي سبيل بعيره ويؤم الصوت[٤٨] . حتى ينتهي الى الارض الحاكمة التي اختارها رسول الله ﷺ ورفع مقره الى نشز فيها مناسب للاشراف . ولما وصلت القدمة الامامية من هوازن الى هذه الارض الحاكمة وحاولت طليعة المندفعين الاقتحام تقدمها رجل جمّال معلم من هوازن يرفع راية سوداء في راس رمح طويل وهوازن تعقبه ، اذا ادرك طعن باشاش وهشاش ورباطة جاش[٤٩] ، واذا فاته الهدف اوعز لمن وراءه فاتبعوه . فتصدى له الهزبر الغالب عليٌّ بن ابي طالب (رض) ورجل من الانصار مصاقب ، فعرقب عليٌّ جمله وبتر الانصاري ساقه ثم اجهز علي (رض) عليه ، فسقط اول مشرك في غزوة حنين فبهت جمع هوازن وانصدع من تبع .

وارتفعت همم المسلمين وذاب الذعر والهلع ، وهدأت النفوس الوانية وتحفز المسلمون للمرحلة الثانية ، اي للكرة بعد الفرة ، واستعدوا للقتال ببسالة وحزم وصدق عزم وصبر وتصابر وحسن توكل على الله الناصر . والله جل جلاله انجدهم بجنود غير مرئية تفت في عضد العدو « .. وما يعلم جنود ربك الا هو .... »[٥٠] .

وفي هذه الساعة الحرجة ، وقبل ان تنقلب الكفة ويتسلم المسلمون الدفة ، صرح بعض الطلقاء وضعاف اليقين بما في صدورهم من حقد دفين تصاريح ابتهاج . فقال ابو سفيان : لا تنتهي هزيمة المسلمين دون البحر . وصرخ كلدة بن الحنبل اخو صفوان بن امية لامه : الا بطل السحر اليوم . فاجابه صفوان ـ ولم يكن قد اسلم :ـ اسكت فض الله فاك ، فو الله لان يربّني رجل من قريش احب الي من ان يربّني رجل من هوازن . وقال سهيل بن عمرو : مصيبة لا يجتبرها محمد واصحابه[٥١] .

وكان ابو سفيان وحكيم بن حزام وصفوان يقفون في المؤخرة ينظرون لمن تكون السيطرة ، وكان صفوان يرسل غلاماً له الى المعمعان ليتعرف على الاخبار السائرة وعلى ايٍّ ستدور الدائرة . بيد ان فالهم خاب وتبدد املهم تبدد الضباب ، فقد كتب الله الغلبة لرسله ، وان ينصر من ينصره ويفلح عشية وغدوه ويكبت خصيمه وعدوه .

الهجوم المقابل :

شن المسلمون هجومهم العزوم برمي النبل الى النحور وتسديد الرماح الى الصدور ثم اقتربوا فاختلطوا فاجتلدوا يضربون بسيوفهم الرقاب والرسول ﷺ يرقب الصيالة والضراب متفائلًا ويقول : « هذا حين حمي الوطيس »[٥٢] ثم التقط حفنة من تراب او حصيات ورمى بها تجاه المشركين واردف : « حم ، لا ينصرون . شاهت الوجوه ! إنهزموا ورب محمد »[٥٣] .

وكانت تلك إشارة للمسلمين بالكرة والاقتحام وجرعة منشطة للاتزان والاقدام وجرعة اخرى جاءت في كلمته : « من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه »[٥٤] كان لها وقعها على مكنونات النفوس المحبة لجمع المال ولا سيما عند سنوح الفرصة الشرعية .

واستمرت المرحلة الثانية والمسلمون يضغطون على هوازن حتى ازاحوهم فتراجعوا شتى متفرقين ، بل فروا مسرعين ذات اليمين وذات الشمال وصوب الخلف عزين (جماعات صغيرة) .

ولم تعدم الغزوة مشاركة النساء فيها . فهذه غزية ام عمارة بيدها سيف صارم ومعها اربع نسوة فضلًا عن أم سليم الانصارية يجردن اسلحتهن ويقاتلن قتال الشجعان ويصمدن مع الفرسان جهاداً في سبيل الله ورفعاً للمعنويات ، معنويات من اصابهم الوهن وارهقتهم الوعكة[٥٥] فحاولوا الهرب باتجاه مكة قانعين من الغنيمة بالاياب[٥٦] .

رأى مالك بأم عينه ثبات الرسول ﷺ في مرصده المشرف على الحركة واصراره على كسب المعركة بدعوة من فر وتفرق للعودة الى الارض الحاكمة لاستغلال الفائدة التعبوية للارض كما سبق ان استغل هو(مالك) جنبات الوادي . وبقيت هذه الصورة محفورة في ذاكرته وتحولت بعد ان اسلم وحسن اسلامه الى ابيات شعرية وصفية يضمن قصيدة حربية يمدح بها خير البرية ، منها[٥٧] :

مـــا ان رأيتُ ولا سمعتُ بمثلــه
في النـــاس كلِّهم بمثـــل محمـــدِ
واذا الكتيبـــةُ عَـــرَّدتْ انيابُهـــا
بـــالسمهـــري وضـــربِ كـــلِّ مهنـــدِ
فكـــانـــه ليث ، على اشبـــالـــه
وسط الهبـــاءةِ ، خـــادرٌ في مـــرصـــدِ

وايقن مالك وقتئذ ان القتال يسير لغير مصلحة هوازن ، لذا قرر الانسحاب المنظم فاسند الى ثقيف مهمة المؤخرة وحمايتها بايقاف اي تقدم نحوها . وسحب هوازن الى خلف الميدان . وتقدم المسلمون اكثر فاكثر حتى اصطدموا بثقيف التي بدأت بالفرار وتبعها اللفيف المتباين تاركين اسراهم مكتفين حيال مقر الرسول ﷺ[٥٨] . وفي غضون ذلك تمكن مالك من سحب هوازن بأمان الى احد المواضع المتعاقبة الذي يؤدي طرف منه الى الطريق المتجهة الى الطائف وقال لفرسانه المقربين الاشداء : قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق اخراكم والمنهزمة من الناس . فوقفوا وانتشروا لخوض معركة دفاعية تعويقية في موضع متوسط يساندهم من يلتحق بهم من الهاربين ليكون هذا الموضع دريئة صامدة حتى يتم تخليص ما يراد تخليصه من نساء وابناء ومواش

وسائر الاموال .

افاق المسلمون من الصدمة الاولى تماماً ـ مفاجأة الكمين ـ ونجحوا في الهجوم المقابل المزوم ايضاً نجاحاً منقطع النظير واستعادوا مواقعهم وطردوا العدو من الميدان شر طردة واحرزوا الفوز وتجلببوا النصر الذي تحقق بعد نكسة مقدرة من عدوهم خير تقدير ومغفول عنها من المسلمين لاغترارهم بالكثرة العددية .

نعم ، لقد احسن مالك التفكير والتقدير والتدبير ، ولكن جنده الكمناء لم يحققوا اللحظة المناسبة ولم يتريثوا حتى يدخل الطرف الاخر المصيدة (ارض القتل) تماماً ، فاخطا الرماة تقدير الوقت الملائم واستعجلوا الرمي حال دخول عشرات الفرسان الى الوادي اسفل مكامنهم فارتد المسلمون مبهوتين وانكشفت خطة مالك فلازمها الفشل بعد حنين .

بعد ان اكتمل تجمع جند الله ، بل اغلبهم ، قرر النبي ﷺ استثمار الفوز التعبوي بالمطاردة وتامين الوادي قبل ان تستعيد هوازن توازنها وتعيد تجمع فلولها المهزومة . فشكل ثلاث مجموعات متوازنة تكافيء واجباتها (جحافل معركة) واسند الى المجموعة الاولى واجب تطهير وادي حنين من العدو وتجريد بعض خيالتها لتعقيب (بني غيرة) من ثقيف الى نخلة . وقد تالفت المجموعة الاولى من بني سليم في المقدمة وبني الخزرج مردفين[٥٩] . واسند الى المجموعة الثانية واجب تعقيب مالك بن عوف وجماعته ، وكانت بقيادة الزبير بن العوام فأصطدم بهم في موضع التعويق وحمل عليهم بخيله ولم يزل يطاعنهم حتى هزم فلهم وشتيتهم فالتجاوا الى حصن الطائف وقبلوا حصاراً دام بضعة عشر يوماً .

واسند الى المجموعة الثالثة واجب تطهير اوطاس حيث يعسكر القسم الثالث المعادي المكون من الاحتياط المسؤول عن حماية النساء والابناء والنعم وسائر الاموال ، وكانت بقيادة ابي عامر الاشعري الذي اجاد قتالهم بحماسة معهودة فيه نتج عنها قتل دريد بن الصمة فيمن قتل من الاعداء ثم استشهد ابو عامر (رض) فاخذ الراية منه ابن عمه ابو موسى الاشعري فاتم قتالهم ففتح الله عليه فهزم مقاتليهم وسيطر على الباقين . ولما سمع النبي ﷺ باستشهاد أبي عامر صلى ركعتين وقال : « اللهم اغفر لابي عامر واجعله من اعلى امتي في الجنة »[٦٠] .

ودام (يوم حنين) بمراحله الثلاث من الغدوة (الضياء الاول) الى العشية (الضياء الاخير) من يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثمان هجرية (٣١ / ١ / ٦٣٠ م) على احظى الروايات قبولا . قال الشاعر المشارك في المعارك عباس بن مرداس[٦١] .

سمـــونـــا لهم وِردَ القطـــا زفّـــةَ الضحى
وكـــلٌ تـــراه عن اخيـــه قـــد أحْجَمـــا
لـــدُنْ غُـــدوةً حتى تـــركنـــا عشيـــةً
حُنينـــاً وقـــد ســـالت دوافعُـــه دَمـــا

خسائر الطرفين :

(يوم حنين) المسمى في المصادر بغزوة حنين ، او غزوة اوطاس ، اوغزوة هوازن ، على اتفاق في التسمية او افتراق ، سقط اربعة شهداء من المسلمين عرفوا باسمائهم[٦٢] . وأرجح ، مما وصفت به المرحلة الاولى من المعركة ، ان قد سقط عشرات من الشهداء لم تذكرهم المصادر او ان الوصف مبالغ فيه جداً . كما ان عدد الجرحى بلغ عشرات ايضاً .

وكانت خسائر هوازن وثقيف واحلافهما في الارواح جسيمة فضلاً عمن اثخنتهم الجراح وعمن كبلتهم قيود الاسر . فقد قتل منهم اربعة وسبعون في المعركة[٦٣] . وثلاث مئة او يزيد خلال الهزيمة والمطاردة[٦٤] . وارجح ان هنالك مبالغة في الرقم الاخير لان من عادة القبلي ـ قبل اسلامه ـ انه يكر عند المغنم ويفر قبل اراقة الدم فالحرب عنده مجلبة للثراء وليس مجزرة للدماء . لذا نراه يبتعد عن موطن الخطر المحقق الى احضان الصحراء .

اما الغنائم ـ وهي خسائر الطرف المتهور ـ فقد امر الرسول ﷺ بتجميع السبي والاموال في الجعرانة لحين عودة قوة الحصار من الطائف . لقد بلغ السبي ستة الاف من الذراري والنساء[٦٥] . واربعة وعشرين الف بعير واربعين الف شاة واربعة الاف اوقية فضة واشياء اخرى وفيرة[٦٦] . وحينما قدم وفد هوازن يعلن اسلامه امام رسول الله ﷺ ـ بعد قسمة الغنائم ـ خطب ﷺ المؤمنين فقال : « ان اخوانكم جاؤونا تائبين واني اردت ان ارد اليهم سبيهم ، فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل ، ومن احب ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من اول ما يفيء الله علينا فليفعل » .

فقالت الجلة : طيبنا لك يا رسول الله[٦٧] .

وقالت القلة : عوضنا يا رسول الله . فعوضهم بست نوق عن كل رقبة فيما بعد[٦٨] .

وبانهزام هوازن وبطونها واعتصام ثقيف بحصونها واهتمام الاحلاف بشؤونها ورجوع الرسول ﷺ من الجعرانة الى المدينة المنورة كافة المسلمين في اواخر سنة ثمان هجرية ، تسابقت وفود القبائل العربية تقدم من انحاء جزيرتها معلنة دخولها في الاسلام دين الحق والفلاح والسلام .

العبر مِمّا غبر :

يراد بهذا العنوان ذكر الدروس المستنبطة من معطيات يوم حنين ، وهي :

■ الفراسة : المراد بها سبق النظر والتأمل في الاحداث والاشياء ، والتوسم بما سيؤدي اليه الحدث مستقبلاً ، واصابة الظن والحدس بالاستفادة من الدلائل والاستعانة بالتجارب فضلاً عن المهارة في تعرف بواطن الامور من ظواهرها . وهي عملية فكرية منطقية استنتاجية تعين كثيراً في تقدير الموقف .

لقد توقع مالك بن عوف بفراسته وفطنته ان الرسول ﷺ فتح مكة ولم يقبل غير الاسلام ديناً حتى من قريش اقرب الناس اليه ، فكيف ببقية القبائل !؟ لهذا سبق النظر وكوّن حلفاً من هوازن وثقيف وقبائل اخرى وتهيأ لملاقاة مرتقبة اعد لها كامل العدة . اما الرسول ﷺ ، اسوة المؤمنين الذي ينظر بنور الله فلم يكن يرغب بتجمع قبائلي اكبر من هذا اذا لم يسرع في القضاء على هوازن وجمعها ، ولا سيما ان هذا التحدي المعادي لسلطته الدينية في هذه المرحلة سيقلل من اثر الفتح الاسلامي في اذهان العرب . اذن لا مناص من القصاص فقرر الحركة الآنية بالتقدم من اجل الملاقاة وهد مستصار التكتل قبل ان يشتد ويمتد .

■ توخي الهدف : بعد ان ربحت هوازن المرحلة الاولى في مضيق حنين ومفاجأة الكمائن لفرسان خالد لم يستمر مقاتلوها بادامة الزخم وتوخي جيش الخصم وهم عموم المسلمين بل اكتفوا بالنصر المرحلي حالما تشتت المسلمون هاربين تجاه مكة ولم يستثمروا هول المباغتة ومهاجمة مقر القيادة الاسلامية الذي سكينة تمكن من التحرز والاستقرار ولم شمل من هرب بفضل سكينة الرب واختيار ميدان رحب صالح للطعن والضرب . ثم الانتقال الى المرحلة الثانية بدحر المشركين الهدف الرئيس المتوخى وتعقيب المنهزمين في المرحلة الثالثة بثلاثة ارتال حيثما تشرذموا وألجاوا قائدهم مالك الى الطائف بارتقاب حصار مقبل هنالك .

■ تقدير الموقف : حالف النجاح الطرفين في تقديريهما للموقف بفضل الاستخبارات الجيدة والمعلومات الاولية الدقيقة ، فاعدوا للمعركة متطلبات نجاحها كافة وبنوا خططهم بمهارة فائقة ، غير ان المعروف في فن الحرب ان الخطة تنتهي حال البدء بتنفيذها للتغيير الحاد الذي يطرأ على الموقف . وفعلاً قلب الخطة رأساً على عقب استعجال الكمناء بالرمي في عماية الفجر على اول من دخل من فرسان مقدمة المسلمين فأخفق التدبير وساء المصير .

■ العقيدة : ان العقيدة هي اكبر مصدر لقوة المقاتل المعنوية التي هي احد اسلحة المعركة . لقد كانت العقيدة الاسلامية في مقدمة العوامل التي حققت للمسلمين قلب الهزيمة الوقتية الى نصر نهائي شامل . لقد انهزم جيش المسلمين في المرحلة الاولى بسبب غرورهم وزهوهم بالكثرة العددية . لكن بعد ان انزل الله سكينته على مقر القيادة وحماته (رسول الله والصامدين معه) هدأت الجوارح واطمأنت النفوس واعينت بجنود الله غير المرئية التي الهبت فيهم الحماسة والاصرار على انتزاع النصر انتزاعاً . وقد تبين ان الكثرة العددية ليست كل شيء ، فقد تندحر ساعة الشدة اذا لم تكن بذات عقيدة تدعم ايمانها بالنصر وجهدها بالفلاح . كما ان وجود حلقة واحدة من ضعاف الايمان (بعض الطلقاء والرؤساء) يضمن سلسلة المؤمنين تقود الى تردي الكفاية وتدني المقدرة على القتال لان قوة السلسلة تقاس باضعف حلقاتها .

■ المباغتة : وفر جيش المشركين المباغتة في الزمان والمكان المحددين بدقة متناهية . فقد ساد خطتهم الكتمان وستر الليل تنقل الكمائن الى مكامنها في مدخل وادي حنين جهة المسلمين وعجزت عناصر استطلاع النبي ﷺ في هذه المرحلة عن ان تكون العين الباصرة والاذن السامعة لفيلقها ، فادت المباغتة الى خسران المرحلة الاولى من المعركة داخل الوادي .

■ دقة المعلومات : الامن سياج لكل ما يقصد به استحصال الزمان والمكان الملائمين للحشد والمناورة وهو اوفى مساعد على حرية العمل . ودقة المعلومات عن العدو تعزز الامن وتعلي من درجته . ان مصادر المعلومات جمة وعناصر الاستخبارات مهمة ، لكن الحكيم من مَحّص ومُحّصَ واستنتج الاوفى والاولى . وقد نجح مالك بن عوف في جمع المعلومات عن تحركات المسلمين خطوة بعد خطوة ومحصها . ولولا عناصر استطلاعه المقتدرة لم يستطع ان يحدد الاماكن التي شغلها المسلمون على التعاقب حتى منطقة تحشدهم على مشارف حنين ، وهذا ساعده في بناء خطته الدقيقة وتعيين مكامن الكمين وتوقيت التنقل اليها بعيداً عن نظر الطرف المقابل وتدخله . اما عناصر استطلاع المسلمين فكانت اقل دراية ونشاطاً فعميت الاخبار عنها ، وهذا احد الاسباب الظاهرة لوقوعهم تحت نقمة كمين حنين . ولعل الاعجاب بالكثرة حط من حماستهم فكان سبباً اخر لتدني الهمة في الاستمرار على جمع المعلومات .

■ حماية مقر القيادة : يفضل ان يكون مقر القيادة في مكان امين تتوافر فيه وسائل الراحة والسيطرة والحماية وعلى بعد مناسب من ميدان المعركة بحيث يتجنب الضوضاء الزائدة ويتمكن القائد فيه من ان يفكر بارتياح ويسر وسماح لتوجيه القدرات المكافئة للاهداف المرسومة في سبلها الموافقة خلال سير العمليات وتطورها المتوقع .

ومن تعريف مقبول للمناورة مفاده ان احدى مفردات المناورة هي وضع مقر قيادة العدو في موقف حرج يمنعه من اتخاذ قرارات صائبة تجاه التطورات الدائبة .

وقد وجدنا مقر قيادة الرسول ﷺ الذي كان في الساقة بعيداً عن المناوشات الثانوية يتقدم عند الازمة الى اكمة تقع يمين بداية المضيق وفسحة مدخله ليختارها مقراً متقدماً محمياً بارتفاعها وبالمئة الصابرة التي احاطت به احاطة السوار بالمعصم من اجل ان يتدخل في الاحداث الدائرة والسيطرة على زمام الموقف الذي تحرج اشد الحرج . وقد حمته اساساً ورفرفت فوقه السكينة الالهية مما مكنه من استقطاب واستحضار مولي الادبار الى الارض الصالحة للنزال التي افتقدت الخصم ميزة الدرتئمات العالية .

■ الاحتواء : ان الحكمة من اغداق المال على ضعاف الايمان من

الرجال ذوي المكانة في قومهم . وتعميم السماحة البالغة على رموز العدوان واحتوائهم في مجتمع الايمان ، قد بينها الرسول ﷺ بتصريحه الاتي : « والله اني لاعطي الرجل ، وادع الرجل ، والذي ادع احب الي من الذي اعطي . ولكني اعطي اقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، واكل اقواماً الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، واني لاعطي رجالًا حدثاء عهد بكفرهم اتألفهم »[٦٩] . ويقتضي تقويم الاحتواء المادي درج بعض أثمان الانسان ـ السبي ـ والحيوان في ذلك الزمان . ان معدل قيمة السبي او السبية خمس مئة درهم ، ومعدل ثمن الناقة اربع مئة درهم ، ومعدل سعر الشاة ثلاثون درهماً[٧٠] .

ولنرو امتصاص جشع اثنين من الرجال الطلقاء كانا في مؤخرة الجيش يتمنيان الخسران للمسلمين . احدهما ابو سفيان ، تألفه الرسول الكريم ﷺ بمئة من الابل واربعين اوقية فضة من الغنائم فلم يكتف وقال : فماذا لابني معاوية ؟ فاعطاه مثلها . ولم ينته جشعه واستمطى قائلًا : وماذا لابني يزيد ؟ فمنحه الرسول ﷺ مثلها .

فاي سماحة مادية هذه ! . وثانيهما صفوان بن امية ، تسلم مئة من الابل وغيرها وقال : ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين ـ وهو ابغض الخلق الي ـ حتى ما خلق الله شيئاً احب الي منه[٧١] .

ثم لنعطف الكلام على سبايا هوازن . انهم ستة الاف سبي ، معدل قيمتهم اجمالًا ثلاثة الاف الف درهم (ثلاثة ملايين) ثروة طائلة !؟ لقد شملتهم سماحة النبي الامين ﷺ وسماحة المؤمنين المحسنين الذين طابت انفسهم بالتنازل عن حظهم منهم . ووعد الرسول ﷺ القلة التي تنازلت عن حظها مقايضة ، بتعويضهم خمسة اضعاف القيمة[٧٢] .

■ مقومات القيادة : للقيادة الفائقة ثلاثة مقومات اساسية هي : الشعور بالمسؤولية ؛ والقدرة على السيطرة ؛ والرغبة في النجاح والتصميم عليه .

كانت خطة مالك التي صممها لابادة جيش المسلمين جيدة وسليمة ، لكنها باءت بالفشل والاخفاق لاسباب عدة فمنها عجلة الكمناء في الرمي قبل حلول الوقت الصالح . ومنها مقاتلة المسلمين البسلاء الذين لا يجارون في فن القتال القريب والمجالدة حيث اتقنوها بكثرة الممارسات في السرايا والغزوات التي خاضوها خلال ثمان سنوات .

وفي مقدمة الاسباب شعور الرسول ﷺ بالمسؤولية ومواكبته المواقف الصعبة والحرجة عن كثب ، وقدرته على السيطرة في الظرف الحالك للنزال وللمعارك ، ورغبته في النجاح وتصميمه عليه وعدم تقبله الهزيمة . ويردف ذلك ايمان جند الله بقائدهم رسول الله ﷺ . كل ذلك حول الهزيمة المرحلية الى نصر نهائي مؤزر . لقد كان النبي ﷺ متصلًا بربه ابداً يستعين به على تفوق ساحق باستثمار الفوز الذي دفع لتحقيقه رتل الزبير ورتل ابي عامر ورتل سليم والخزرج وصولًا الى تدمير جيش الخصم حيثما ولت شراذمه وتفرقت والاستيلاء على معسكره الذي فيه الغنائم .

خاتمة الكلام :

اتفقت وجهتا نظر الطرفين المتقابلين على ان الهجوم خير وسيلة للدفاع ، فقال كل طرف : « فلنغزهم قبل ان يغزونا » .

تحرك الفيلق الاسلامي تاركاً معسكره الذي في ضاحية مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال سنة ثمان هجرية ليستقر يوم الثلاثاء بعد اربع مراحل بطيئة في منطقة تحشده على مدخل وادي حنين . وعسكرت هوازن وثقيف في معسكر اوطاس .

ارسل مالك بن عوف كميناً يمسك المرتفعات المطلة على وادي حنين قريباً من منطقة تحشد المسلمين ويحتل سفوحها الامامية بسرية تامة وكتمان شديد عند حلول الظلام . واوعز القسم الاكبر باحتلال موضع متوسط لحصر المسلمين بينه وبين الكمين من بعد دخولهم الوادي اجمعين . وابقى ما تبقى كاحتياط وحراس لحماية الاهل والمال في اوطاس . بدأت المرحلة الاولى من يوم حنين فجر يوم الاربعاء وقت الضياء الاول بدخول المسلمين وادي حنين فباغتهم الكمين فانهزموا مولين الادبار الى خارج الوادي .

تقدم الرسول ﷺ بمقره ـ عند اشتداد الازمة ـ الى اكمة تشرف على ارض حاكمة خارج الوادي وطلب النصرة من ربه ونادى المنهزمين للتجمع حياله . فجاؤوا عشرات عشرات حتى بلغوا مئة وزيادة . عندها انزل الله سكينته على الرسول وعلى المؤمنين وانزل جنوداً غير مرئية دعماً للمؤمنين الصابرين في قتالهم وصمدهم فانقلبت المنازلة لمصلحة المؤمنين وبدأت المرحلة الثانية بتراجع هوازن الى وادي حنين منهزمة بثلاثة فلول رئيسة الى ثلاثة اتجاهات . واتصفت المرحلة الثالثة الاخيرة بتعقيب المسلمين تلك الفلول بثلاثة جحافل معركة متوازنة كل باتجاه هدفه حتى سيطروا على وادي حنين واوطاس ونخلة وطوقوا الطائف التي تحصن فيها مالك بن عوف واخرون بعد انسحابهم من الميدان . وتمكن المسلمون بقيادة الامين المأمون (ص) من احراز النصر العزيز وكسب المغانم الكثيرة خلال يوم واحد من الضياء الاول الى الضياء الاخير من (يوم حنين) يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثمان هجرية (٣١ / ١ / ٦٣٠ م) . بعد ان ضحى المسلمون باربعة شهداء وعشرات الجرحى . وخسر المشركون مئات القتلى والجرحى ومئات السبايا والكثير الجم من النَّعم واختم الكلام .

واختم الطرح بان اسال الله سبحانه مدداً من هداه وسنداً من توفيقه ومزيداً من لطفه . والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على محمد خير الانام ، وآله وصحبه واتباعه الكرام ، وطوبى لجنده العظام الذين مهدوا بجهادهم سبل السلام[*] .

الهوامش :

(١) التوبة / ٢٥ .
(٢) مغازي الواقدي . تحقيق مارسدن جونس ط بيروت ج ٢ ص ٧٩٩ .
(٣) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٠ .
(٤) تاريخ الطبري ط ٢ مصر ١٩٦٧ محقق ج ٣ ص ٧٠ .
(٥) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٠٥ .
(٦) الكيل : تعريب مصطلح الكيلومتر .
(٧) سيف الله خالد بن الوليد للجنرال أ . اكرم . مترجم ط ٤ دمشق ١٩٨٢ ص ١١٩ .
(٨) السيرة الحلبية ط بيروت ج ٣ ص ١٩٦ .
(٩) ينظر تفاصيل السرايا : مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٧٣ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٢٨ طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٤٥ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٦٥ السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥ سيف الله خالد بن الوليد ص ١١٩ .
(١٠) مسند احمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٠١ . والعارية : تعني استعارتها بشرط الاعادة والضمان .
(١١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٧ .
(١٢) سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٩٦ على هامش السيرة الحلبية .
(١٣) ينظر جمهرة انساب العرب لابن حزم ط مصر ١٩٧٧ ص ٤٨٢ . السيرة النبوية الصحيحة للعمري ط ٥ المدينة ١٩٩٣ ص ٤٨٩ .
(١٤) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٨٩ .
(١٥) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٨٦ .
(١٦) عيون الاثر لابن سيد الناس ط ٢ بيروت ١٩٧٤ ج ٢ ص ٢٠١ .
(١٧) ينظر تاريخ الخميس للديار بكري ط بيروت د.ت ص ٩٩ ● القائد الخالد بن الوليد للسامرائي ط ١ بغداد ص ٥١ .
● حياة محمد وعهده لكلوب باشا ط نيويورك ص ٣٢١ غير مترجم .
(١٨) ينظر مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٢ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٩٧ . الجنرال اكرم ص ١٢١ .
(١٩) التوبة / ٢٥ .
(٢٠) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٤ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٦ .
(٢١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٨٩٣ .
(٢٢) سيرة بن هشام مج ٢ ص ٤٤١ .
(٢٣) حزن = مرتفع ، ضرس = حجري ، سهل = لين ، دهس = مترب ، حطوط = متحدر .
(٢٤) سيرة بن هشام مج ٢ ص ٤٨٧ .
(٢٥) السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٤٩٦ . سيف الله خالد بن الوليد ص ١٢٣ .
(٢٦) سيف الله خالد بن الوليد ص ١٢٢ .
(٢٧) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٧ . طبقات ابن سعد ط بيروت ج ٢ ص ١٥٠ سيف الله خالد بن الوليد ص ١٢٣ .
(٢٨) سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٣٨ .
(٢٩) ينظر مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٨٨ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ١٣٩ .
(٣٠) ينظر السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٨ .
(٣١) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٨٨ .
(٣٢) نظرة جديدة في سيرة رسول الله كونستانس جورجيو مترجم . ط بيروت ١٩٨٣ ص ٣٦٢ .
(٣٣) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٣ .
(٣٤) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٨٩ .
(٣٥) محمد / ٧ .
(٣٦) السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٤٩٧ .
(٣٧) التوبة / ٢٥ .
(٣٨) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٤ .
(٣٩) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٢ ، ٨٩٤ .
(٤٠) المصدر نفسه ص ٨٩٤ .
(٤١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٠٨ سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٤٢) البلاغة الواضحة لعلي الجارم ط مصر ص ٣١ والبيت لابن وكيع .
(٤٣) سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠٢ .
(٤٤) السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٥٠٢ .
(٤٥) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٥١ . سيف الله خالد بن الوليد ص ١٢٧ .
(٤٦) التوبة / ٢٥ ، ٢٦ .
(٤٧) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٨ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩ . السيرة النبوية الصحيحة ص ٥٠١ .
(٤٨) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩ .
(٤٩) الاشاش والهشاش : الاقبال على القتال بنشاط وحيوية .
(٥٠) الحشر / ٣١ .
(٥١) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٩١٠ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٤٤ .
(٥٢) مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٢٠٧ .
(٥٣) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٩٩ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ١١٠ .
(٥٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٩٠٨ . عيون الاثر ج ٢ ص ١٩٩ .
(٥٥) الوعكة : المعركة الشديدة .
(٥٦) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٩٠٢ .
(٥٧) سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٩١ .
(٥٨) المصدر نفسه مج ٢ ص ٤٤٥ . سيف الله خالد بن الوليد ص ١٢٩ .
(٥٩) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٩١٧ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٥٦ .
(٥٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ٩١٦ . المصدر نفسه مج ٢ ص ٤٥٧ . طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٥٢ .
(٦٠) سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٧٠ .
(٦١) سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٥٩ .
(٦٢) سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٤٩ .
(٦٣) سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٣٠٢ .
(٦٤) سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٥٩ ، ٤٨٨ .
(٦٥) سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٨٨ . طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٥٢ .
(٦٦) صحيح البخاري اهبة / ١٠ طيب : تنازل راضياً .
(٦٧) خاتم النبيين . لمحمد ابي زهرة ط ١ مصر ١٩٧٣ ج ٣ ص ٢٢٩ .
(٦٨) السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٥١٣ .
(٦٩) نظرة جديدة في سيرة رسول الله ص ٤٣ .
(٧٠) فقه السيرة ، محمد الغزالي ، ط عالم المعرفة ، لات ، ص ٤٢٥ ، ٤٢٧ .
(٧١) خاتم النبيين ج ٣ ص ٢٢٩ .
(★) الاربعاء ٢٢ جمادي الاولى ١٤١٨ هـ = ٢٤ ايلول ١٩٩٧ م ببغداد مدينة السلام .

نشوء الأساليب العربية العربية وتقاليدها قبل الاسلام

التاريخ ذاكرة الأمة الحية، وعنوان حيويتها وشارة مجدها، ومنار مستقبلها الوضاء.

الرئيس القائد صدام حسين

عبدالجبار عبدالواحد العبيدي

كلية العلوم الاسلامية

مقدمة

لقد اقتضت طبيعة الحياة في الجزيرة العربية وخصوصاً اوسطها ان ينظم العرب حياتهم فيها على أسس قبلية ، تشدهم رابطة النسب ، والعصبية في الدفاع عنها ضد أي خطر يواجههم ، وعلمت بالتجربة والخبرة والمران اهمية ومكانة القيادة العسكرية في كسب النصر ، وعرفت ان إدارة الحرب مرهونة بالقائد الرائد القائد القوي الجنان السديد الرأي ، وان العدة والعدد مفتقران الى من يحسن استخدامهما .

أسس القيادة العسكرية

١ ـ تقاليد العرب الحربية :

تكونت وتبلورت عقلية المقاتل العربي واخلاقيته في ضوء عناصر ومكونات عديدة ، منها : إجتماعية وثقافية واقتصادية نابعة من البيئة الطبيعية التي أحاطت به وكان لها الاثر الواضح في المراحل التربوية والتنشيئية المتفاعلة والمتحملة في سلوكياته على أرض المعركة ، وبالتالي شكلت المعيار الإنساني لمجموعة القيم والمعارف الميدانية[١] . التي صيرت منه عنصراً متميزاً للعبقريات الفردية والجماعية ، فقد حصل المقاتل العربي من خلال بيئته الطبيعية على ملكة مطبوعة بحاسة الحرب التي لا تفارقه في ليل ولا نهار ، فهو دوماً في حيطة المدافع واستعداد المهاجم[٢] . وهذا ما جعل عرب البادية بالمرانة الطويلة يمتازون بحرب الكر والفر[٣] . ثم بقابلية الحركة[٤] ، ومرونتها لخفة أحمالهم وبساطة تجهيزاتهم ، أما القبائل العربية القاطنة في الحواضر فقد جمعت على مر الزمن النصيب الاوفر من حرب الكر والفر نتيجة لإقتتالهم فيما بينهم ، يضاف إليه ما اقتبسوه من فنون الحرب عند الدول الاخرى على أيامهم ، اما بالقدوة أو بالتلقين أو بالتعليم المقصود ، ولا سيما قبائل قريش التي كانت تجمع ما تفرق بين أبناء الجزيرة من المزايا والمعارف والصفات الحربية[٥] ، حيث أدى اشتغال القريشيين بالتجارة واختلاطهم بشعوب وقبائل مختلفة من خلال رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى الشام[٦] .

قال تعالى :

« لإيلافِ قُريشٍ ○ إيلافِهِم رِحلَةَ الشِّتاءِ والصَّيفِ ○ فَليَعبُدُوا

رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ ○ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ○ »[7].

الى ارتقاء معالمهم ، واصبحوا في سعة من العيش ساعدتهم على امتلاك القدرة المالية ، التي ساهمت في تطوير قوتهم القتالية ، ومن خلال دورهم القيادي في اداء الحج الى بيت الله الحرام ، سمت وتعززت مكانتهم في أنحاء الجزيرة العربية ، فلا يتعرض لهم ، فهم آمنون في تجارتهم ورحلاتهم بينما غيرهم من الناس يتخطفون ويغار عليهم[8].

قال تعالى :

« وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .[9]

وهذا مما كان له الدور المهم في اتاحة الفرصة أمام كثير من رجالهم لإظهار مواهبهم في الحرب والسياسة[10]. ولما امتاز به مناخ البادية الصحراوي من هدوء وسكينة فقد جعل العربي يتمتع بصفاء فكري وصلابة في معتقداته ، نتج عنه الحزم والجزم والاقدام ، وسعة في الفكر وفراسة في الارض والانسان[11] ، كما ان حرية العربي في باديته غير المقيدة بسلطان سوى سلم قيم العرف الاخلاقي الذي توارثه القوم جيلاً بعد جيل .

وما يك من خير أتوه فإنما
توارثه آباء آبائهم قبل[12]

فولدت فيه عزة النفس والانفة ، وبات من أشق الامور على نفسه ان يسلب منه شيء عنوة مهما كان تافهاً[13] ، فهو يترفع عن الإساءة الى غيره ما لم يظلم .

قال عنترة العبسي :

أثني عليّ بما علمت فإنني
سهل مخالقتي إذا لم أظلم
فإذا ظُلمت فإن ظُلمي باسل
مُر مذاقته كطعم العلقم[14]

وبرزت عنده جوهر صفاته الحميدة ، التي ذهبت مضرب الامثال كالكرم والشجاعة والوفاء وإباء الضيم والصدق وحماية الجار والعفو عند المقدرة[15] فالعربي :

تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذي أنت سائله[16]

وفارسهم يغشى الوغى ويعف عند المغنم

يخبرك من شهد الوقائع أنني
أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم[17]

أما نجدته التي تمثل قمة من قمم الفضائل العربية ، فقد اصبحت علماً من اعلام تاريخنا المجيد ، فكم من مرة استجاب فيها عربي لداعي النجدة مضحياً بنفسه وآله غير آسف على ما اقدم عليه ، فهو العين الساهرة في حراسة الدار ، والاذن التي تلتقط الاستغاثة واليد التي تذود عن العار .

يقول زهير بن أبي سلمى :

إذا فزعوا طاروا الى مُستغيثهم
طوال الرماح لاضعاف ولا عزل[18]

وهذه قبائل بكر وائل تجتمع لنصرة بني شيبان الذين واجهوا الفرس في يوم ذي قار ، وفيها قال رسول الله (ﷺ) : (اليوم انتصف العرب من العجم وبي نُصروا)[19] .

لقد اظهر الشعر الجاهلي ـ الذي قال عنه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه »[20] اثر العوامل والظروف البيئية والطبيعية منها والاجتماعية في التكوين الفكري والنفسي لدى العربي ، وما قدمته في تكوين قابلياته البدنية ، فقد علمته عيشته القشفة القاسية ان يكون قنوعاً صبوراً على الشتاء والعناء ، وجبلته الاخطار المحدقة بحياته على الشجاعة التي هي قوام حياته وتومها ، فاصلت في نفسيته الجرأة والإقدام ورباطة الجاش ، فكانت عصمته سيفه وحصنه الامين ظهر جواده[21] .

لنا خاض الحرب غير هياب

بفتيان يرون القتل مجداً
وشيب في الحروب مجربينا[22]

ولما كانت الشجاعة حصيلة تفهم واع لقضية معينة ، فقد اصبحت المعيار الحقيقي لقيمة الفرد العربي في مجتمعه الذي يمتدح البطولة والاقدام وحسن البلاء[23] ، وسبق للعرب أن قالت : (إن الشجاعة وقاية والجبن مقتلة ، والشجاع موقى والجبان مُلقى)[24] .

ولقد تعارف العرب على عادات وتقاليد هي بمثابة الاداب والقواعد التي يسلكها الفرد في الحرب ، تشكل في حقيقتها قيم العرف الاخلاقي الذي يمثل في مفردات تكوينه النفسي المعبر عنه في معاناة المقاتل العربي الذي اوضح صورتها دواوين أشعارهم ، وما حوته ذاكرة أهل الاخبار من أيامهم وتناقله العلماء في مؤلفاتهم والادباء في كتبهم فقد ذكر أهل الاخبار والسير ان من عادات العرب في الحروب إنذار خصومهم والتواعد على الإلتقاء في زمان ومكان معينين للاقتتال ، وهم يفتخرون بذلك ويعدونه من سيماء القوة والشجاعة[25] فعندما همّ أبو سفيان ومن معه بالإنصراف بعد معركة احد نادى : [إن موعدكم بدر للعام القابل] ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من اصحابه : « قُلْ : نَعَم ، هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِد »[26] .

ومن المناسك التي اجمعت بعض القبائل العربية عليها قبل الإسلام ، تحريم القتال في الاشهر الحُرم[27] ليقضي الناس بها مناسكهم ولينجزوا اعمالهم تحت ظل الامن والسكينة[28] .

والبعض الاخر كانوا يخلون بحرمتها عن طريق النسيء[٢٩] وأشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى : « إنَّما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الذِّينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ »[٣٠] .

وذكر ذلك رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع[٣١] ، وقال عمير بن قيس يفخر بالنساة على العرب :

ألسنـــا النـــاسئين على مَعَـــد
شهـــور الحِـــل نجعلهـــا حَـــرامـــا[٣٢]

وتذكر الروايات وقوع قتال بين العرب في الاشهر الحرم دون ان ينسئوا ذلك ، كما حصل في حرب الفجار التي استمرت أربع سنوات متتابعة[٣٣] .

ومن عادات العرب وتقاليدهم ، أن توقد نارٌ على جبل او مرتفع ليلاً ، إذا أرادت ان تغزو او توقعت حرباً عليها ليبلغ الخبر أصحابهم ، وإذا ما أرادوا جمع عشائرهم اوقدوا نارين ، وعرفت هذه النار عندهم بنار الحرب[٣٤] .

كما كان في يوم خزاز[٣٥] ، فقد اجتمعت فيه تغلب وبكر لمواجهة الاحباش عند جبل خزاز وجعلوا إشعال النار على قمته علامة بينهم ، وفيه قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غـــداة أوقـــد في خـــزاز
رفـــدنـــا فـــوق رِفـــد الـــرافـــدينـــا[٣٦]

وكانت العرب قبل الاسلام ، تحسب حساباً كبيراً للطيرة ، فقد رسخ في عقول الجاهليين انها تؤثر في مصير الغزو والحرب فربما نبذوا غزوهم الذي عقدوا العزم عليه اذا ما ظهر امامهم ما يفسرونه بانه يُمن وتفاؤل ، كما رسخ في عقولهم ان في وسع الكهان التنبؤ بما سيقع في المستقبل ، فكانوا يسألونهم عن نتائج غزو يريدون القيام به ويطلبون منهم مباركته والا تركوه[٣٧] . وقد يشركون أصنامهم معهم في الحروب ، كما كان في يوم الزورين[٣٨] .

وكانت أغلب القبائل العربية تصحب أسرهم وإبلهم ومؤنهم وظعائنهم معهم في المعارك[٣٩] ، وذلك ليقاتل الرجل منهم قتالاً مستميتاً عن أهله وماله[٤٠] .

قال عمرو بن كلثوم :

على اثـــارنـــا بيض حســـان
نحـــاذر ان تفـــارق او تهـــونـــا[٤١]

وفي يوم أحد (خرجت قريش بحدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة ، وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظُعُن ، التماس الحفيظة ، وأن لا يفرُّ)[٤٢] .

وساق مالك بن عوف النصري يوم حُنين مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم[٤٣] .

وكانوا يضمون اسرهم وما يملكون في مؤخرة الجيش حتى يكونوا في مأمن من العدو ، وقد يستعينون بهم في جمع الغنائم والاسلاب وحراسة ما يقع في أيديهم من الاسرى ، واذا ما تطلب الامر فانهم يشركونهم في قتال عدوهم[٤٤] .

وإعتادت قريش ان تبعث مبعوثاً او سفيراً عنها ليتفاوض مع من تقع حربهم معه[٤٥] ، وكانت السفارة لعمر بن الخطاب قبل اسلامه وتولاها خالد بن الوليد مع القبة والاعنه عند ظهور الاسلام[٤٦] .

ومهما تكن اسباب حروب العرب وغزواتهم قبل الاسلام ، وما أفرزته من اثار مثلت في حقيقة معانيها الدلالات الاخلاقية التي تحملها القيم العربية المتعارف عليها والمتعامل بها آنذاك ، وبرزت على أنماط القدرة القتالية لديهم .

٢ ـ أساليب القتال

تشكل طبيعة الارض الجغرافية والمناخية والبشرية عاملاً مؤثراً بالغ الاهمية في الحركات العسكرية جميعاً[٤٧] .

وقد عرف العرب هذه الاهمية في كسب المعارك ، واستغلوا العوارض الطبيعية للأخذ باسباب النصر ، لذلك كانوا يحاولون استباق عدوهم الى مواضع الماء للسيطرة عليها وحرمانه من الاستفادة منها[٤٨] ، ويجعلون الشمس عند ظهورهم حتى لا تؤثر في أعينهم ويكون تاثيرها على عدوهم أكبر[٤٩] ، ويرتقون المرتفعات ليحتموا بها وليصعب على عدوهم طلبهم بفعل الحجارة او النبال التي يرمونها عليه ، وقد يحسنون استخدام هذه العارضة الطبيعية بخطة مدروسة كما كان في يوم شعب جبله ، فقد صعدت بنو عامر الى الشعب ، ووضعت نساءها وما معها من الإبل والمؤن فيه ، وكانت قد اعطشت إبلها وعقلتها ، وصارت هي دونه ، فلما وقع القتال واشتد عمدت بنو عامر الى الحيلة والى تنفيذ خطة كانت قد وضعتها ، فاخذت تتراجع وتزحف نحو أعلى الشعب ، وصار العدو يعقبها حتى بلغوا وسط الجبل ، فقال الاحوص قائد بني عامر ، حلوا عقل الإبل ثم احدروها واتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجل منكم بعيره حجرين او ثلاثة ففعلوا ، ثم صاحوا بها فلم يفاجأ الناس الا الإبل تريد الماء وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل ، واقبلت الإبل تحطم كل شيء مرت به ، فانحط العدو منهزماً ، فلما بلغ السهل لم يكن لاحد منهم همة إلا أن يذهب على وجهه ، فجعلت بنو عامر تقتلهم بالسيف فانهزم عدوهم شر هزيمة[٥٠] .

ولجأ أهل بعض المدن بانشاء عوارض اصطناعية ليتحصنوا بها من هجمات الاعداء ، كحفر خندق ، وإقامة أسوار وانشاء أبراج وحصون وآطام[٥١] . فقد كان لمدينة الطائف سور حصين تغلق أبوابه أثناء الليل وأيام الخطر ، فقد تحصنت به ثقيف يوم حاصرها الرسول (ﷺ)[٥٢] ، كما وقد عثر على آثار وقلاع وحصون وأبراج في خرائب مدن اليمن تدل على ان تلك المدن كانت

مسورة محصنة[٥٣] .

وكانت الأطام من أهم وسائل الدفاع عند أهل يثرب فهي بيوتات رؤساء القوم ، يلجأ اليها الناس للدفاع عن أنفسهم وعن سادات الشعاب أيام الخطر[٥٤] ، وكذلك كان الحال عند أهل الحيرة ، ولا تزال آثار أطام العرب قبل الاسلام باقية في الحجاز وفي نجد وفي مواطن أخرى من جزيرة العرب[٥٥] .

هذه الجزيرة الواقعة في الجنوب الغربي من آسيا والتي تحدها من الشمال بادية الشام ومن الشرق الخليج العربي وبحر عمان ومن الجنوب المحيط الهندي ومن الغرب البحر الاحمر وهي بوجه عام صحراء تكثر فيها الجبال الجرداء وتتخللها كثير من الوديان والهضاب[٥٦] . لم يكن أهلها يملكون جيشاً نظامياً ثابتاً ، لذا فانهم لم يكونوا يسيرون على نظام معين محدد في تكوين الجيش او في عدده بل يتركون امر ذلك الى الظروف، ومستجداتها وبواعث القتال والى من توكل اليهم امور ادارة المعارك[٥٧] . فاذا ما هوجمت القبيلة هبَّ أفرادها من الشباب والشيوخ والنساء والاطفال للدفاع عنها ، وكذلك كان الحال في هجومهم على عدوهم حيث يشترك في الهجوم كل متمكن من القتال ، قياماً بواجبه الأدبي المفروض عليه[٥٨] .

وقد يقعد بعض الاغنياء والمتمدنين من أهل المدن والقرى عن المساهمة في الغزو ويدفعون جعلاً[٥٩] مقابل ذلك لرجال يحاربون عنهم ، فيكون الجعل وما يقع في ايديهم من غنائم لهم ، وقد يتفق على ذلك .

قال سليك بن شقيق الاسدي :

فأعطيت الجعالة مستميتاً
خفيف الحاذ من فتيان جزم[٦٠]

وفي غزوة بدر لم يتخلف عنها أشراف قريش أحد الا ان أبا لهب ابن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة[٦١] وقد يستخدمون رقيقهم في معاركهم الحربية ، أو تكليفهم بمهمة قتالية محددة كما كان من أمر وحشي غلام جبير ابن مطعم في معركة أحد[٦٢] . فقد جعل أهل مكة مثلاً من احابيشهم[٦٣] قوة عسكرية تقاتل معهم باسلحتهم وبطريقة القتال التي ألفوها في بلادهم مثل القتال بالحراب ، او الرمي بالنشاب ولعلهم استخدموا الرقيق الابيض المجلوب من بلاد الروم ومن اماكن أخرى[٦٤] .

وكان عرب الجزيرة من أهل المدن والقرى عندما يريدون الهجوم على سور او حصن ، فانهم يحاصرونه ويوجهون خططهم التعبوية نحو النقاط الضعيفة من مواضع دفاع عدوهم ، بكل وسيلة تمكنهم من نقل المعركة الى داخل المكان المحاصر بغية الإستيلاء عليه ، أو إجبار المدافعين للخروج من مواضعهم الدفاعية ، برميها بالنار أو الحجارة او ضربها بالدبابات[٦٥] أو المنجنيق[٦٦] أو الضُبُور[٦٧] .

وقد يكتفي المهاجمون بسحب خشبة ضخمة نحو السور لعمل ثغرة فيه ، او يستخدمون السلالم او الحبال لإرتقاء الاسوار الى غير ذلك من الوسائل المتيسرة لديهم آنذاك التي تمكنهم من إختراق تحصينات عدوهم[٦٨] .

وقد يتبع المهاجمون أساليب ووسائل اخرى لحمل أهل المدن والقرى المحصنة على الاستسلام . وذلك بقطع المياه عن المكان المحاصر وتخريب قسم من الابار والإحاطة بالقسم الاخر وحرق المزارع والبساتين وقطع الاشجار بعد أخذ غلاتها[٦٩] . كما ولجأوا الى حبس الميرة ، فقد ورد ان قريشا قاطعت بني هاشم لإجبارهم على ترك رسول الله (ﷺ)[٧٠] . وأن ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة قدم مكة بعد إسلامه معتمراً وقال لاهلها : (والذي نفسي بيده لا تاتيكم حبة من اليمامة حتى يأذن رسول الله « ﷺ » ووضع الميرة عن قريش والى ان أمره رسول الله « ﷺ »[٧١] .

وقد يكون اسلوب قتالهم خارج حصونهم وأسوارهم وبلدانهم بطريقة حرب العصابات ، وذاك بأن ينقسم المتحاربون الى فلول مستقلة تنتشر في اماكن متباعدة ، وتقاتل بمفردها واحياناً تتعاون فيما بينها ، وهي تحمي نفسها بالإلتجاء الى العوارض الطبيعية كالجبال واطراف الممرات الوعرة والمستنقعات والادغال[٧٢] .

ومن العرب المتمدنة من عرف قتال الصفوف[٧٣] فاتخذه تشكيلاً واسلوباً قتالياً لقواته في معركته على عدوه . كما كان في يوم حليمة[٧٤] . وكما اصطف بنو شيبان المقاتلة العجم في يوم ذي قار ، وقد قالت إحدى النساء فيه :

ويهـا بني شيبـان صفـاً بعـد صف
إن تهـزمـوا يصبغـوا فينـا القلق[٧٥]

وفي معركة أحد أتخذ المشركون أسلوب الصف في القتال[٧٦] .

وكان العرب المتمدنة يسيرون الى حومة الحرب ويقاتلون على تعبئة[٧٧] ، فقد كانوا ينظمون قواتهم ويقسمونها الى مجنبه يمنى (الميمنة) تهاجم وتحمي الجانب الايمن ، ومجنبة يسرى (الميسرة) تحارب وتدافع عن الجانب الايسر من المحاربين ، وقد تقوم المجنبتان بالهجوم لتطويق العدو وحصره في دائره تضيق عليه ، اما في وسط الجيش فيكون القلب الذي يكون فيه قائد المعركة ، يقوم بالهجوم او الدفاع حسب متطلبات المعركة . ووضعوا في الساقة[٧٨] (مؤخرة الجيش) إبلهم وظعائنهم وأحمالهم ، وشكلوا أمام مقاتليهم مقدمة تتقدمهم وتقوم بحماية القسم الاكبر[٧٩] من قواتهم التي تكون وراءها . وقد أستخدمت هذه التعبئة في اللقاءات الكبيرة التي استوجبت مثل هذا التنظيم كيوم (خزاز) ويوم (نخلة) مثلاً[٨٠] .

وعرفت العرب قبل الإسلام تعبئة الكراديس[٨١] وعملت بها بنو شيبان في يوم ذي قار، فقد ورد عن احدْ مقاتليها : (يا بني شيبان، لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلككم بنشابها، ولكن تكردسوا كراديس، فإذا أقبلوا على كردوس شد الآخر)[٨٢].

وقال الاعشى الكبير :

متى ادع منهم نـــاصــــري تـــات منهم
كـــراديس مــــامــــون عليَّ خــــذولهـــا[٨٣]

أما شبه الجزيرة العربية التي يغلب عليها الجفاف والحرارة، فقد كان أغلب سكانها أهل بداوة يسودهم الفقر العام، يتنازعون أمرهم بينهم، لا تجمعهم عقيدة ولا يوحدهم هدف، حال دون وحدتهم واستقرارهم وتكوين قوة عسكرية قوية تضم جيشاً مدرباً ذا عُدة وعدد، بل أصبحوا كتلًا قبلية مبعثرة تتقاتل فيما بينها على الماء وموارد الرزق الشحيحة، وصار الإقتتال الداخلي فيما بينهم بحدود غاياته التي لم تستوجب تطوير اسلحتهم البسيطة المتكافئة[٨٤] التي ظهر أثرها في مجمل حركاتهم الحربية ومناوراتهم السوقية[٨٥] والتعبوية التي تعتمد على العناصر الاساسية (الرجال، الالة، المعنويات)[٨٦].

والفوز للفئة التي تمتلك العدد الوافر الكثير من الفرسان والعدة الحربية المرهونة بشجاعة المقاتلين وحماسهم وذكاء القائد في الاستفادة من المواقف ومن توجيه الفرسان[٨٧]، فقد كانت حروبهم وغزواتهم تعتمد اساساً على قابلية المقاتل العقلية والجسمية ومهارته القتالية، لذا احتل الفارس المقام الأسمى بين المقاتلين الاشداء في القبلية[٨٨] وان عدَّ من العبيد.

قال عنترة بن شداد العبسي :

إن كنت في عـــددِ العبيـــدِ فهمتي
فـــوق الثُـــريَّـــا والسِّمـــالِ الاعـــزَلِ
وبـــذا بلَى ومُهنَّـــدي نلتُ العُلى
لا بـــالقـــرابَـــةِ والعـــديـــد الاجـــزَلِ[٨٩]

والفارس الشجاع هو فتى القبيلة وفخرها والرمز الذي تستمد منه الشجاعة والإقدام، فهو آلة الحرب الحاسمة آنذاك وعليه يقع معظم ثقل المعركة[٩٠]، لكونه يمتطي صهوة جواده الذي يتيح له فرص المناورة وخرق جبهة عدوه وتشتيت شمله (فهو مكر مفر مقبل مدبر معاً)[٩١]، لذا اقترنت أهمية الفارس بالفرس واهتموا بالخيل اهتماماً بالغاً[٩٢]، حتى كان الرجل منهم (ليبيت طاوياً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه واهله، وولده)[٩٣]. والعرب كما يقول ابن رشيق (كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ، او فرس تنتج)[٩٤].

وبانت هذه الاهمية في أساليبهم القتالية التي انتجوها في معاركهم وغزواتهم[٩٥]، وصيرت من الغارات[٩٦] التي كانت تشنها القبائل بعضها على بعض والقائمة على مبدأ المباغتة[٩٧] اسلوباً متميزاً من أساليبهم الحربية.

والغارة، غير الغزو والحرب من حيث سياقات المعركة[٩٨]، فهي تكون سريعة في الغالب، يعقبها رجوع أسرع[٩٩]، وأغلب ما تكون الغارات عند الصباح[١٠٠]، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح[١٠١] والعرب تقول :

صَبحتُ العـــدوَ على نـــأيـــهِ
تـــريشُ رجـــالًا وتبـــرى رجـــالًا[١٠٢]

وتقول : (صبحتم الخيل : اي جاءتكم صبحا وفتى الصباح، اي فتى الغارة)[١٠٣].

وقد تحدث غارات في الليل[١٠٤]، وهذا ما يدعى بالبيات[١٠٥] وجعلت من الكر والفر[١٠٦] إسلوباً قتالياً غالباً في معاركهم وغزواتهم، حيث انه يعتمد على التجارب والمفاجاة والاستطلاع والخديعة والتبييت والشجاعة الشخصية والفروسية اكثر مما كان يعتمد على الفن الحربي المنظم[١٠٧].

ويتخذ أهل الكر والفر ما يضمونه خلف قواتهم المقاتلة من نسائهم وابنائهم وإبلهم ومؤنهم ملجا يلتجىء اليه فرسانهم في كرهم وفرهم ويبتغون بذلك ثبات المقاتلة[١٠٨].

والحرب عند العرب تبدأ عادة باعلان النفير[١٠٩] الذي يعني التجمع والتهيؤ للقتال والذهاب الى الحرب ويكون ذلك بدق الطبول او الدفوف او بالصياح او إيقاع النار على جبل او مرتفع من الارض[١١٠] ليبلغ الخبر أصحابهم، وإذا أرادوا ان يجمعوا عشائرهم اليهم اوقدوا نارين وقد عرفت هذه النار بنار الحرب[١١١] فيجتمع عندئذ كل قادر على القتال متمكن منه، حاملًا معه كل ما يستطيع إعداده من معدات للقتال.

أعـــددت للحـــدثـــان ســـا
بغـــة وعـــداء علنـــدى
نَهـــداً وذا شُطُبٍ يقـــدُّ
البيض والابـــدان قـــدا
كـــلُّ امـــريء يجـــرى الى
يـــوم الهيـــاج بمـــا استعـــدا[١١٢]

وقبل ان يتناهد القوم في الحرب، يتفاخر الشعراء بانسابهم وباس فرسانهم وأفعالهم في الحرب لإيقاظ الهمم وإذكاء الحماسة في القلوب.

يقول عمرو بن كلثوم التغلبي :

ونحن اذا عمـــادُ الحـــرب خَـــرت
على الاخفـــاضِ نمنـــع من يلينـــا
نُطـــاعن مـــا تـــراخى النـــاس عَنـــا
ونضـــرب بـــالسُّيُـــوف اذا غشينـــا[١١٣]

ويتصايح المتحاربون بشعاراتهم ، إذ لكل قبيلة شعار يتنادون به ويحافظون عليه[١١٤] ، وقد كان شعار المشركين في غزوة أُحد (يا للعزى ، يا لهبل)[١١٥] .

ويشتد الامر على القوم ، فتكون المناوشات بين الناس بالنبل والحجارة ، ففي بدر أمر القريشيون عمير بن وهب الجمحي (ت ٢٣ هـ) بمناوشة المسلمين[١١٦] وفي غزوة أُحد خرج (الفاسق) أبو عامر عبد عمرو بن صيفي أحد بني ضبيعة الاوسي ومعه خمسون غلاماً من الاوس وخمسة عشر رجلاً من عبيد قريش ، فتراشقوا بالحجارة هم والمسلمون حتى تراضخوا بها ساعة[١١٧] .

وقد يخرج من بين الطائفتين من يتحرش بالطائفة الاخرى ، ففي معركة بدر (خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيىء الخُلق ، فقال : أعاهد الله لاشربن ، من حوضهم ، أو لاهدمنه ، او لاموتن دونه ، فلما خرج ، خرج اليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فاطنّ[١١٨] قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوق على ظهره تشخب[١١٩] رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا الى الحوض حتى إقتحم فيه ، يريد ان يبر يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض)[١٢٠] .

ومن ثم يبرز من أحد الفريقين من يطلب المبارزة ، وفي الغالب يعلم على نفسه بان يلبس سامة خاصة ، او يضع ريشة او عصابة على رأسه[١٢١] ، ويسير على أرض المعركة متبختراً متباهياً بنفسه وسلاحه وشدة بأسه وشجاعته في منازلة الفرسان .

قال عنترة بن شداد العبسي :

ســـــاخـــــرج للبـــــراز خليّ بـــــال
بقلب قُــــد من زُبـــــر الحـــــديـــــد[١٢٢]

وقال :

والخيــــــلُ تعلمُ والفــــــوارسُ أنني
فــــــرقتُ جمعهم بفيصــــــل[١٢٣]

وقال طرفة بن العبد البكري :

أنـــا الرجـلُ الضربُ الـذي تعـرفـونـه
خشــاشُ كــرأس الحيـةِ المتــوقــد[١٢٤]

وقال ايضاً :

حســـام اذا مـــا قمتُ منتصـــراً بـــه
كفى العـــود منـــه البدءَ ليس بمعضـــد
أخي ثقـــــة لاينثني عن ضـــــربتـــــه
إذا قيـــل مهـلاً قـــال حـــاجـــزه قـــد
إذا ابتـــدر القـــومُ الســـلاح وجـــدتني
منيعـــاً اذا بُلت بقـــائمـــه يـــدي[١٢٥]

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

فلم نقتــــــل شـــــرارهم ولكن
قتلنــــا الصـــالحين ذوي الســـلاح
قتلنــــا مطعم الأضيـــــاف منهم
وأصحـــاب الكـــريهـــة والصبـــاح[١٢٦]

ويسأل المبارز مبارزة عن نسبه ومن يكون ، ويطلب كفيئه للمنازلة ، ففي غزوة بدر الكبرى (خرج عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف قال من أنتم ؟ فقالوا رهط من الانصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد (ﷺ) ، أخرج الينا اكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام)[١٢٧] .

وقد يتفق قائدا الطائفتين المتنازعتين على ان المبارزة تحسم النزاع بينهما وتحقن الدماء ويكون النصر والغلبة لجهة المنتصر ، فقد ورد ان الحارث الاعرج والمنذر بن ماء السماء تعاهدا على مثل هذا في يوم حليمة[١٢٨] .

وتستمر المعركة : مبارزة بين محاربين او اكثر ، فإذا لم تحقن المبارزة دماء الناس يبدأ التزاحف ويلتقي الفريقان باشتباك يؤدي الى هزيمة احد الطرفين او انسحابه وتراجعه[١٢٩] .

٣ ـ أسس اختيار القائد

إن قيام الوحدات الاجتماعية العربية قبل الاسلام على أساس رابطة الدم والنسب والقرابة تمثلت في صيغة النظام الذي كان الغالب لحكم العرب في سائر جهات بادية الجزيرة وحضرها أحياناً[١٣٠] ، قد تجسدت فيه فعالية افراد القبيلة ووظفت جهودهم في المواقف التي تعزز من إقتدار قومهم في ظروف الحرب والسلم .

ويحث أوس بن حجر على هذا الاقتدار بقوله :

فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
لهم هرشاً تغتابهم وتقاتل
فما ينهض البازي بغير جناحه
ولا يحملُ الماشين الا الحواملُ
ولا سابق الا بساقٍ سليمةٍ
ولا باطش ما لم تعنه الانامِلُ[١٣١]

وقال طرفة بن العبد البكري :

وإن ادع في الجلى اكن من حماتها
وإن ياتك الاعداء بالجهد أجهد
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم
بكاس حياض الموتِ قبل التهدُد[١٣٢]

ولخضوع افراد هذه الوحدة الاجتماعية لاعراف وتقاليد موروثة عن الاباء والأجداد ضمن مقومات الانتماء القبلي الذي شكل أبرز أسس اختيار القائد، صار لزاماً عليهم طاعة شيخ القبيلة والاحتكام اليه في قضاياهم، حيث كان يتم - في الغالب - انتخابه من بين اشراف القوم ذوي الرأي والمكانة والتجربة، او من الاسر التي توارثت الرياسة مع مراعاة المزايا التي اجمع العرب على احترامها، كالشجاعة، والكرم، والحلم، وكثرة الاهل والانصار وسعة الجاه والثروة[133].

قال لبيد بن ربيعة العامري:

ومقسم يُعطي العشيـــــرة حقهـــــا
ومغـــــذمر لحقـــوقهـــا هضـــامهـــا
فضـــــلاً وذو كـــــرمٍ يعينُ على التقى
سمـــــح كســـوبُ رغـــائب غنـــامهـــا
من معشـــــر سنت لهم آبـــــاؤهم
ولكـــــل قـــــومٍ سنـــــة وإمـــامهـــا
إن يفـــزعـــوا تلق المغـــامـــر عندهم
والسنُ تلمـــع كـــالكـــواكب لامهـــا
لا يطبعـــــون ولا يبـــــور فعـــــالهم
إذ لا تميـــل مـــع الهـــوى احـــلامهـــا[134]

ولما كانت الحرب من القضايا المصيرية، لما تؤول اليه من نتائج وآثار، فقد كان لشيخ القبيلة حق إعلان حالة الحرب والغزو او عقد الصلح او الاحلاف مع القبائل الاخرى، بعد ان يطلب من وجوه قبيلته ابداء رأيهم بذلك، ويتوقف ذلك على شخصية رئيس القبيلة ومكانته وكياسته، فمتى كان مهيباً حازماً كسب رأي علية القوم من ذوي الرأي والمكانة فيما يتخذه من رأي وقرار، ورفع من مكانة قبيلته بين القبائل[135]. حيث ان حكم شيخ القبيلة ليس حكماً مطلقاً لا مشورة فيه بل حكم يستمد سلطانه من رأي وجهاء القبيلة وعقلائها وفرسانها والسنتها المتبينة[136]، وقد اتخذوا من مضارب سادات القوم مجالس يجتمعون فيها لاتخاذ ما يرون من إتخاذه من رأي وقرار، فقد كانت مثل هذه المجالس في الطائف ويثرب ونجران وفي مكة كانت لقريش دار الندوة يجتمع فيها أهل الرياسة والكياسة من قريش ليتدبروا امرهم بينهم ويتخذوا قرارهم[137].

وقد حثت العرب على الاخذ بالرأي[138] والمشورة، وكرهت مشاورة من اعترته الشواغل، وألمت به النوازل مع وقور عقله وحزمه، فقال (قس بن ساعدة الايادي (ت ٦٠٠ م) لابنه: لا تشاور مشغولاً وان كان حازماً، ولا جائعاً وان كان فهماً، ولا مذعوراً وان كان ناصحاً، ولا مهموماً وان كان عاقلاً، فالهم يعقل العقل فلا يتولد منه رأي ولا تصدق به روية)[139].

ويمثله قال الاحنف بن قيس (ت ٦٧ هـ): (لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا العطشان حتى يروى، ولا الاسير حتى يطلق، ولا المقل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح)[140].

وإذا عزمت قبيلة او قبائل متحالفة على غزو قبيلة ما أو صد غزو متوقع، قام الرجال، من ذوي الرأي والمعرفة والخبرة بالمعارك باعداد خطط الهجوم او الدفاع بعد إستشارة الشجعان المتمرسين بالحرب، كما ويستشيرون من عرف بالجبن[141]، ثم يخلصون بين الرأيين، وذلك لما للرأيين من أهمية في المعركة وأخيراً يوكلون امر قيادة المحاربين الى الشجعان من فرسانهم ومن سبق له ان برز في قتال سابق وابرز مكانة فيه، والعادة ان يتولى رئيس القبيلة قيادة قبيلته في الحروب والغزوات، ونادراً ما يرسل من ينوب عنه[142] ويوجهها حيث يرى في المعركة، ويثير همم المقاتلين ويحرضهم على الاستبسال في القتال، ولبعث حمية المحاربين يقيد شيخ القبيلة نفسه بقيود او يطعن نفسه في فخذه، ويعلن انه لا يبرح مكانه حتى يقتل[143]، اما التنسيق بين خطط المقاتلين لاحراز النصر في المعركة فيكون امره الى من تسلمه القبائل قيادتها العامة في الحرب، وقد كانت قريش توكل امر قيادة محاربيها الى (آل حرب)[144]، وفي غزوة حنين اوكلت قيادة جموع المشركين الى مالك بن عوف النصري[145].

ولاهمية شيخ القبيلة واثر وجوده في أرض المعركة في رفع معنويات المحاربين، كان يستهدف من قبل فرسان القبيلة المعادية.

مـــــــبارزة كبشهم ولم
ار من نـــــــزال الكبش بـــــــدا[146]

وكان يحمل اللواء[147] ثم صار يحمله على رأسه[148] أشجع المقاتلين الثابتين الصابرين حين الباس ويدور حيثما دار قائدهم الذي يتفرغ للنظر في مجريات امور المعركة.

اما الراية[149] فتوكل الى ذوي الباس والشدة في المعارك واذا ما قتل حامل الراية قام آخر من الشجعان بحملها، ويستميت المقاتلون في الدفاع عن لوائهم وراياتهم التي تمثل كرامتهم وعزتهم ومجدهم.

قال عثمان بن أبي طلحة حامل لواء المشركين في معركة أحد:

إن على أهـــــل اللـــــواء حقـــــا
أن يخضبـــوا الصعـــدة او تنـــدقـــا[150]

وهو الرمز الذي يستمدون منه القوة والثبات، وسقوط اللواء على الارض او في يد العدو، معناه خور عزيمة المقاتلين وعجزهم عن القتال وتلك من امارات الهزيمة والفرار.

قال ابن اسحاق : (وحدثني بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش فلاثوا به)[١٥١] .

ويوضح ابو سفيان بن حرب اهمية اللواء وهو يخاطب بني عبد الدار يوم احد واليهم لواء قريش :

(يا بني عبد الدار إنكم وليتم لواءنا يوم بدر ، فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا)[١٥٢] .

لقد أدركت العرب بان الفعل المهم لابد له من قيادة ، لذا تعارفوا على ضوابط وأسس لاختيار وفق اعراف الانتماء القبلي الذي يمثل القاعدة الاساسية التي يستند عليها ذلك الاختيار متخذين من قرار ملا القوم القائم على مبدأ الشورى اساساً ثانياً للتفاضل بين ما يتحلى به أشراف القبيلة من مزايا اجمع العرب على احترامها اساساً ثالثاً .

قال قائل منهم :

ـــــدوا امـــــركم للـــــهُ دركم
رحب الـــذراع بـامـر الحـرب مضطلعـاً[١٥٣]

وعلمت العرب بالتجربة والخبرة والمران اهمية القيادة العسكرية غب كسب النصر ، وعرفت ان ادارة الحرب مرهونة بالقائد الرائد الذائد القوي الجنان السديد الرأي ، وان العدة والعدد مفتقران الى من يحسن استخدامهما .

يقول الواقدي عن جموع الاحزاب التي نفرت الى المدينة : (ـ وكان القوم جميعاً الذين وافوا الخندق من قريش ، وسليم ، وغطفان ، وأسد ، عشرة آلاف ، فهي عساكر ثلاثة ويحتاج الامر الى ابي سفيان ...)[١٥٤] .

وعلى هذا كانوا يطلبون من محاربيهم اطاعة اوامر قائدهم .

قيل لاكثم بن صيفي (ت ٦٣٠ م) ، صف لنا العمل في الحرب ، قال : (أقلوا الخلاف على امرائكم ، فلاجماعة لمن أختلف عليه ـ)[١٥٥] .

• • •

خاتمة البحث ونتائجه

لقد درست في هذا البحث القيادة العسكرية عند العرب قبل الاسلام من خلال اوضاعهم ، وايامهم ، وغاية الحرب التي أفرزت آثاراً انعكست على مجمل حياتهم ، ثم درست تقاليدهم الحربية وأساليبهم القتالية التي شكلت القاعدة الاساسية في اختيار القائد الميداني .

وقد توصلت (بعد توفيق الله تعالى) الى أهم النتائج الاتية :

١ ـ كان الصراع حاداً وعنيفاً على الأرض العربية حيث شهدت ساحة الوطن العربي في القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي هيمنة السيطرة الاجنبية التي لم يبق بعيداً عنها غير اواسط شبه الجزيرة العربية التي كانت تقطنها القبائل العربية المستقلة عن بعضها والمتناحرة فيما بينها . ونتيجة لهذا الواقع المرير ، تعرضت أمة العرب للغزو الفكري والحضاري ولحملات التخريب العقائدي الذي ترتب عليه ان سادت داخل شبه الجزيرة العربية حالة من التفتت السياسي والاجتماعي القائمة على أسس صلة النسب والقرابة والدم ، تبلورت صيغة النظام القبلي الذي اتسم في جاهلية فكرية وعصبية وغرق في جاهلية التمزق والتناحر فكانت الحروب والغزوات بينهم سجالاً أطلقوا عليها إسم الايام .

٢ ـ لقد إجتمعت عوامل كثيرة على جعل الحرب والاقتتال بين العرب قبل الاسلام ظاهرة شبه مستمرة ، منها طبيعة الظرف الصحراوي الشحيح ومنها طبيعة البيئة الاجتماعية القائمة على آصرة الدم ، ومنها غياب السلطة المركزية القادرة على جمع الكلمة وتوحيد الصف ، فضلاً عن وقوع جزيرة العرب في مركز طريق التجارة بين ثلاث امبراطوريات تطمع كلٌ منها في السيطرة على هذه المنطقة ، فتعددت أسباب الايام وغاياتها التي أفرزت آثاراً انعكست على مجمل الحياة عند العرب قبل الاسلام .

٣ ـ لقد تكونت وتبلورت عقلية المقاتل العربي وأخلاقيته في ضوء عناصر ومكونات عديدة منها : اجتماعية ، وثقافية ، واقتصادية نابعة من البيئة الطبيعية التي أحاطت به فكان لها الاثر الواضح في المراحل التربوية والتنشيئية المتفاعلة والمتحكمة في سلوكيته على أرض المعركة ، وبالتالي شكلت المعيار

الانساني لمجموعة القيم والمعارف الميدانية التي صيغت منه عنصرا متميزاً للعبقريات الفردية والجماعية والتي برزت في أنماط القدرة القتالية عند العرب قبل الاسلام.

٤ ـ ان خضوع افراد القبيلة العربية قبل الاسلام لاعراف وتقاليد موروثة ضمن مقومات الانتماء القبلي شكلت القاعدة الاساسية التي يستند اليها اختيار القائد الحربي متخذين من قرار ملأ القوم القائم على مبدأ الشورى أساساً ثانياً للتفاضل بين مايتحلى به أشراف القبيلة من مزايا اجمع العرب على احترامها اساساً ثالثاً.

٥ ـ لقد أدركت العرب بان الفعل المهم لابد له من قيادة، وعلمت بالتجربة والخبرة والمران اهمية القيادة العسكرية في كسب النصر، وعرفت ان إدارة الحرب مرهونة بالقائد الرائد الذائد القوي الجنان السديد الرأي، وان العدة والعدد مفتقران الى من يحسن استخدامهما.

الهوامش والمراجع

١ ـ فجر الاسلام، احمد امين لجنة التاليف والنشر، مكتبة النهضة المصرية ط١٠، ١٩٦٤، ص٤٤

٢ ـ عبقرية خالد، عباس محمود العقاد، منشورات دار الهلال القاهرية، مصر ١٩٥٢، العدد/١٥، ص ٩ ـ ١٥.

٣ ـ الكر والفر: اسلوب قتالي اعتمده العرب في حروبهم وغزواتهم، انظر كتاب: الرسول القائد (ﷺ)، اللواء الركن محمود شيت خطاب، دار الفكر ببيروت، ط/٥، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م، ص ١١٦.

٤ ـ الجيش العربي الاسلامي، في التخطيط السوقي (الستراتيجي) للرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين، المقدم الركن حازم ابراهيم العارف، دار الرشيد، الرياض، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م، ص ١٠ وما بعدها.

٥ ـ عبقرية خالد، ص ٩ ـ ١٠.

٦ ـ فجر الاسلام، ص ١٢ ومابعدها.

٧ ـ سورة قريش، ١٠٦/ ١ ـ ٤.

٨ ـ فجر الاسلام، ط ١٠، ص ١٤.

٩ ـ سورة القصص، ٢٨/٥٧.

١٠ ـ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول (ﷺ)، محمد فرج، دار الفكر العربي، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٨ م، ص ٢٧.

١١ ـ الجيش العربي الاسلامي، ص ١٠ ومابعدها.

١٢ ـ زهير بن ابي سلمى الفرنخوري، اعلام الفكر العربي (٢١)، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط ١، ايار ١٩٦٢ م، ص ٥٣.

١٣ ـ تاريخ العرب العسكري، محمود الدرة، دار الكاتب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٦٤ م، ص ٥٦.

١٤ ـ جواهر الادب، احمد الهاشمي دار الفكر، ط ٢٦، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م، ج ٢، ص٥٦.

١٥ ـ تنظر قصيدة عبد قيس بن خفاف البرجمي، التي ضمنها مفردات متشعبة في وصيته لابنه جبيل في المفضليات، المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي الضبي (ت ١٦٨ هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، مطبعة دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٦٤ م، ص ٣٨٤.

١٦ ـ زهير بن ابي سلمى، اعلام الفكر العربي، ص ٧٢. وينظر قول الشاعر عبدالله بن الحر في شرح القصائد التسع المشهورات تحقيق: احمد خطاب العمر، وزارة الاعلام العراقية، سلسلة كتب التراث ٢٣، دار الحرية للطباعة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م، ص ٢٤٨ ـ ٣٢٧.

١٧ ـ تنظر معلقة عنترة العبسي في جواهر الادب، ج ٢، ص ٥٧.

١٨ ـ زهير بن ابي سلمى، اعلام الفكر العربي، ص ٤٩. وينظر قول عنترة في معلقته، جواهر الادب، ج ٢، ص ٥٩.

١٩ ـ تاريخ الامم والملوك، الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت ٣١٠ هـ)، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م، ج ٢، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧. ويوم ذي قار لبكر على الفرس؛ الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ابو الحسن عزالدين علي (ت ٦٣٠ هـ)، بيروت، دار صادر، ج ١، ص ٢٨٩.

٢٠ ـ العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني، ابو علي الحسن ابن رشيق (٤٥٦ هـ)، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط ٣، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م، ١/٢٥

٢١ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٧٠ م، ج ٥، ص ٣٣٥.

٢٢ ـ تنظر معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي في جواهر الادب، ج ٢، ص ٦٣.

٢٣ ـ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول (ﷺ) ص ٢٣.

٢٤ ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه: احمد بن عبد ربه (٣٢٨ هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، ١/١١٦.

٢٥ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٥، ص ٤٣٤.

٢٦ ـ السيرة النبوية، لابي محمد عبدالملك بن هشام، راجع اصولها وضبط غريبها، وعلق على حواشيها، ووضع فهارسها محمد محيي الدين عبدالحميد، كتاب التحرير، القاهرة/ ١٣٨٤ هـ/ القسم الثاني، ج ٣، ص ٩٤.

٢٧ ـ الاشهر الحرم هي: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب. قال تعالى: (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ـ) المائدة/٣٦.

٢٨ ـ اسرى الحرب عبر التاريخ، عبدالكريم فرحان دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٧٩، ص ٦. العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، ص ٤٦.

٢٩ ـ أنظر تاريخ النسيء عند العرب في السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٤.

٣٠ ـ سورة التوبة، ٣٧.

٣١ ـ السيرة النبوية، ج ٤، ص ٦٠٤.

٣٢ ـ السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٥.

٣٣ ـ السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٤ ـ ١٨٧.

٣٤ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٥، ص ٤٠٩.

٣٥ ـ ينظر يوم خزاز في العقد الفريد، ج ٦، ص ٨٤.

٣٦ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ابن الانباري، ابو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٣، ص ٤١١.

٣٧ ـ عيون الاخبار، ابن قتيبة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٦٠ م، ج ١، ص ٤٤.

٣٨ ـ يوم الزرنين « لبكر بن ربيعة على تميم » ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .
٣٩ ـ العقد الفريد ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
٤٠ ـ مقدمة ابن خلدون ، ابو زيد عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨ هـ) ، القاهرة /د.ت ، ط ٣ ، ص ٢٧١ ، ومابعدها .
٤١ ـ تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري /منشورات المكتبة البوليسية ، بيروت ، د.ت ، ص ١٢٢ . جواهر الادب ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
٤٢ ـ السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٦١ ومابعدها . نقلا عن سيرة النبي ﷺ .
٤٣ ـ السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ ومابعدها . سيرة النبي (ﷺ) ج ٤ ، ص ٥٢ ومابعدها .
٤٤ ـ ابن الاثير . الكامل ، ج ١ ، ص ١٨٣ .
٤٥ ـ ينظر مثلا رسل قريش الى النبي (ﷺ) في سيرة النبي (ﷺ) ج ٣ ، ص ٢٦٨ ومابعدها وفي ج ٤ ، ص ٢١٦ ، ص ٢٩٦ .
● القبة : كانت تضربها قريش وتجمع اليها مايجهز به الجيش . والاعنة : هي التي يكون صاحبها على خيل قريش في الحرب .
٤٦ ـ العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢١٣ ومابعدها .
٤٧ ـ الجغرافية العسكرية ، وزارة الدفاع العراقية ، ط/٢ ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤ ومابعدها .
٤٨ ـ تنظر مشورة الحباب بن المنذر بن الجموح على رسول الله ﷺ يوم بدر في القسم الاول من السيرة النبوية ص ٦٢٠ ، وينظر أثر نقص الماء عند المشركين يوم القتال في إندحارهم . في كتاب : الرسول القائد ﷺ ، ص ٤٢٤ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٤٣ .
٤٩ ـ تنظر سيرة النبي (ﷺ) ، كتاب التحرير ج ٣ ، ص ٨ .
وتنظر معركة احد (أسباب النكبة) ص ١٨٦ ومابعدها ، في كتاب ، الرسول القائد (ﷺ) .
٥٠ ـ الاغاني ، للاصفهاني ، أبي الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) الهيئة العامة للكتاب ، تحقيق عبدالكريم ابراهيم القرباوي ومحمود محمد غنيم ، ١٩٧٣ م ، ج ١٠ ، ص ٣٢ ، ص ٣٧ ، ج ١١ ، ص ١٣٦ ، ص ١٦٦ . وقعت هذه المعركة بين بني عامر وبني تميم واحلافهم في عام مولد النبي (ﷺ) . ينظر العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٩ ومابعدها .
٥١ ـ يذكر بعض علماء اللغة ان الاطم جمع اطام : القصور والحصون ، وخصها بعض آخر بالدور المسطحة والسقوف ، ويقال للاطم : الاجم ، والجمع آجام . انظر تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي الفيزبادي (ت ١٢٠٥ هـ) ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ / ج ٨ ، ص ١٨٧ .
٥٢ ـ السيرة النبوية ، القسم الثاني ، ص ٤٨٢ .
٥٣ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .
٥٤ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ .
٥٥ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٣ .
٥٦ ـ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، محمود شكري الالوسي (ت ١٣٤٢ هـ) ، تحقيق محمد بهجة الاثري ، المطبعة الرحمانية ، بمصر ، ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م ، ج١ ، ص ١٨٧ ومابعدها
٥٧ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤١٣ ، ٤١٩ .
٥٨ ـ للمحارب . ينظر : لسان م.ن : ج ٥ ، ص ٤١٣ .
٥٩ ـ الجمل : جمع اجمال والجميلة . جمع جمائل : اجر العامل . ومايعطى العرب : ابن منظور محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور الانصاري (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٥ م . للمحارب .
٦٠ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤١٧ .
٦١ ـ السيرة النبوية ، القسم الاول ، ص ٦١٠ . الرسول القائد (ﷺ) ، ص ١٠٨ .
٦٢ ـ تنظر سيرة النبي (ﷺ) كتاب التحرير ، ج ٣ ، ص ٥ . وتنظر قصة مقتل حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء في السيرة النبوية ، القسم الثاني ، ج ٣ ، ص ٦٩ ـ ٧٢ .
٦٣ ـ الاحابيش : من إجتمع الى العرب وانضم اليهم من غيرهم . تنظر السيرة النبوية ، القسم الثاني ، ج ٣ ، ص ٦١ .
٦٤ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .
٦٥ ـ الدبابة : آله من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدفعون بها الاسوار لينقبوها . وتصنع من الخشب . وتغشى بجلود . انظر : السيرة النبوية ، القسم الثاني ، ج ٤ ، ص ٤٧٨ ، ص ٤٨٢ .
٦٦ ـ المنجنيق : جمع مجانيق (بفتح الميم وكسرها) ، وهو من الات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها . السيرة النبوية ، القسم الثاني ، ج ٤ ، ص ٤٧٨ .
يذكر بعض اهل الاخبار بان اول من رمى بالمنجنيق من العرب قبل الاسلام (جذيمة الابرش) . الروض الانف ، شرح لسيرة ابن هشام ، السهيلي ، ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن احمد الخثعمي (ت ٥٨١ هـ) مطبعة الجمالية ، ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
٦٧ ـ الخيور : مثل رؤوس الاسفافة ، يتقى بها في الحرب عند الانصراف . انظر السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٤٧٨ .
٦٨ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ ـ ٤٦٠ . كتاب : الرسول القائد (ﷺ) ص ٣٦٨ ، ٣٧٨ .
٦٩ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ .
٧٠ ـ سيرة النبي (ﷺ) . كتاب التحرير ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .
٧١ ـ الجامع الصحيح ، الامام مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، د.ت ، ج ٨ ، ص ١٥٨ ومابعدها .
٧٢ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ .
٧٣ ـ قتال الصفوف : تشكيل من تشكيلات المعركة ، يصطف فيه المقاتلة بعضهم الى جانب بعض ، وبالتراصف ينضم بعضهم الى بعض ، وتكون الصفوف الامامية من المسلحين بالرماح لصد فرسان العدو وامتصاص زخم هجومهم وتكون الصفوف المتعاقبة من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين وعند ذاك يكون قتالهم بان يتقدم المحاربون فيحاربون صفاً صفاً ، ويعتمد تشكيل الصفوف وعددها على عدد المقاتلة واسلوب المعركة ورأي القائد . ينظر ، القرآن العظيم ، ابن كثير ، مطبعة المنار ، مصر ، ط ١ ، ١٣٤٥ هـ ، ج ٤ ، ص ٣٥٨ ومابعدها .
٧٤ ـ يوم الفتى فيه الحارث بن شمر الغساني ، ملك العرب في الشام مع ابن الشقيقة المنذر بن امرىء القيس المعروف بابن ماء السماء ثالث ملوك العرب في الحيرة ، وقتله في عين اباغ ، وحليمة هي بنت الحارث الغساني . انظر : الاغاني ، طبعة دار الكتب ، ج ٩ ، ص ٧٩ .
٧٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ . وتنظر ايضاً ص ١٥٢ ـ ١٥٦ . ويوم ذي قار (يوم لبكر على العجم) الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .
٧٦ ـ كتاب : الرسول القائد (ﷺ) ص ١٧٤ ، ١٩٢ . وانظر : تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ١٦٠ .
٧٧ ـ التعبئة : (مص) . (اصطلاح عسكري) هي ان تعبأ للحرب جميع قوى الدولة من رجال وعتاد . وعبأ تعبئة وتعبيئاً الجيش للحرب : جهز ، ينظر المنجد

في اللغة والاعلام ، لويس معلوف اليسوعي (ت ١٩٤٦ م) ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ٤٨٣ . وعرف العسكريون القدماء التعبئة بانها الواسطة لنحر العدو في ميدان القتال ، الجغرافية العسكرية ، ص ١١ .

٧٨ ـ الساقة من الجيش : مؤخرته . والساقة في المصطلحات العسكرية الحديثة ، هي القوة المسؤولة عن حماية مؤخرة الجيش من العدو ، اي هي مؤخرة المؤخرة والجزء القريب بها الى العدو . كتاب : الرسول القائد (ﷺ) ص ٢٨٠ .

٧٩ ـ القسم الاكبر : تعبير عسكري يقصد به القوة الرئيسية من القوات الرئيسية من القوات المتحركة لاغراض القتال على محور التقدم ، بعد إخراج قوة الحماية اللازمة وتكون عادة من الخيالة وتسمى قوة الحماية هذه بالمقدمة . انظر كتاب : الرسول القائد (ﷺ) ص ٣١٣ . وينظر هامش ص ١٠٣ من المصدر المذكور .

٨٠ ـ يوم خزاز ، يوم اجتمعت فيه تغلب وبكر لمواجهة الاحباش . ينظر : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٨٤ . قال فيه عمرو بن كلثوم التغلبي :

وكنـــا الايمنيـــن اذا التقينـــا
وكـــان الايسرون بنـــو ابينـــا

تنظر معلقته في جواهر الادب ج ٢ ، ص ٦٥ .

يوم نخلة من أيام الفجار ، فقد كان حرب بن أمية (القائد) في القلب وعبدالله ابن جدعان وهشام بن المغيرة في المجنبتين . الاغاني ، ج ١٩ ، ص ٧٤ .

٨١ ـ الكرديس : القطعة من الخيل العظيمة ، والكراديس الخرق منها . ينظر اللسان ، ج ٦ ، ص ١٩٥ . الروض الانف ، ج ١ ، ص ٦٩ .

٨٢ ـ ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص٢٨٩ ، ٢٤٥ .

٨٣ ـ الصورة الفنية لعدة الحرب في القصيدة العربية قبل الاسلام /د . عبدالاله الصائغ ، مجلة المورد ، بغداد ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٥ .

٨٤ ـ البيان والتبيين ، الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق : فوزي عطوي ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ج ٣ ، ص ١٣ ـ ١٦ .

٨٥ ـ المناورة السوقية : هي حركة تستهدف اغراء العدو واجباره على اتخاذ وضع في غير صالحه ، وهي عبارة عن الجمع بين الترتيب الاساسي للقوات وحركة هذه القوات ضمن اطار زمني مبرمج قبل حركة العدو من اجل الحصول على المبادأة والاحتفاظ بها بغية اجباره على تغيير شامل في خططه بمباغتة غير متوقعة تؤدي الى دحره او اسره ـ وغاية المناورة الاساسية هي الحصول على حالة فقدان التوازن للقوات المعادية بحيث يصيبها الارتباك نتيجة لذلك وتصبح بموقف ليس بصالحها . الجغرافية العسكرية ، ص ٥٢ .

٨٦ ـ فن المناورة ، حارث لطفي انوفي ، سلسلة بحوث عسكرية / ٤٠ ، ط ١ ، ١٩٨٤ ، وزارة الدفاع العراقية ، ص ٦٨ .

٨٧ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤١٥ ومابعدها .

٨٨ ـ المصدر السابق ، ص ٤١٦ .

٨٩ ـ تاريخ الادب العربي ، ص ١٧٧ .

٩٠ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٣٣٥ ، ٣٨٦ ، ومابعدها ، ٤٤٥ .

٩١ ـ تاريخ الادب العربي ، ص ٩٠ .

٩٢ ـ تناولت العديد من المؤلفات القديمة وتحقيقاتها اهتمام العرب بالخيل منها على سبيل المثال ، انساب الخيل ، ابن الكلبي ، تحقيق : احمد زكي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦ . الخيل ، ابو عبيدة ، معمر بن المثنى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الدكن ١٩٨١ م .

٩٣ ـ الخيل ، ابو عبيدة ، معمر بن المثنى ، ص ١ ـ ٢ وص ٩ .

٩٤ ـ العمدة ، ج ١ ، ص ٦٥ .

٩٥ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٣٨٧ .

٩٦ ـ الغارة : دفع الخيل على من يراد الاغارة عليهم وتكون بالخيل في الاخص يقال : (اغار على القوم غارة واغارة ، دفع عليهم الخيل) تاج العروس ج ٣ ، ص ٤٥٨ (غور) .

٩٧ ـ المباغته : (هي احداث موقف لا يكون العدو مستعداً له والكتمان من جملة الوسائل المهمة التي تؤدي الى المباغته) والمباغته مبدأ مهم من مبادىء الحرب . وتكون اما بالمكان او الزمان او الاسلوب . انظر كتاب : الرسول القائد (ﷺ) ص : ٩٤ ، ١٢٣ ، ٢٥٨ ، ٤٥١ .

٩٨ ـ سياق المعركة : (اصطلاح عسكري ، يقصد به وضع القطعات المقاتلة في الميدان على ترتيب معين ، يساعد هذه القطعات على الانفتاح والاشتباك بالعدو في أقصر وقت ممكن وعلى أتم مايكون من السيولة والانضباط) ؛ انظر : الحركات العسكرية للرسول الاعظم (ﷺ) في كفتي ميزان .

العميد الركن ، سيف الدين سعيد آل يحيى ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

٩٩ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٠٣ .

١٠٠ ـ المصدر السابق ، ص ٤٤٠ .

١٠١ ـ المنجد في اللغة والاعلام ، ص ٤١٤ .

١٠٢ ـ ينظر : ديوان عمرو بن قميئة (ت ٥٦٤م) ، تحقيق : خليل ابراهيم العطية ، سلسلة كتب التراث / ٢٠ ، وزارة الاعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ، ص ٧٢ .

١٠٣ ـ اللسان ، ج ٢ ، ص ٧ .

١٠٤ ـ الجيش والقتال في صدر الاسلام ، محمود احمد سليمان عواد ، مكتبة المنار ، الاردن ، الزرقاء ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م ، ص ٢٦٦ .

١٠٥ ـ البيات : الهجوم على الاعداء ليلاً ، المنجد ، ص ٥٥ .

بيت العدو : هجم عليه ليلاً ، وبيت القوم العدو : أوقع بهم ليلاً .

اللسان ، ج ٢ ، ص ١٦ (بيت) .

١٠٦ ـ ينظر الهامش (٣) من هذا البحث ، وينظر ايضاً : مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٨٠ ـ ٤٨٣ .

١٠٧ ـ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول (ﷺ) ، ص ٤٣ .

١٠٨ ـ مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٧٣ .

١٠٩ ـ النفير ، نفر : نفوراً ونفاراً ونفيراً ، القوم للقتال او الامر : ذهبوا ، النفير (مص) جمع انفار ، الناس كلهم ، الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة ، القوم الذين ينفرون معك او يتنافرون في القتال . المنجد ، ص ٨٢٤ .

النفير : هو تهيئة وتحويل الامة من الحالة السلمية الى الحالة الحربية . الجغرافية العسكرية ، ص ١٩ .

١١٠ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٠٩ .

١١١ ـ المصدر نفسه

١١٢ ـ ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي تحقيق : هاشم الطعان ، سلسلة كتب التراث / ١٤ ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٦٧ ومابعدها .

نهدا : فرساً غليظاً ـ وسيفا ذا شطب : ذا طرائق ، الابدان : جمع بدن الدرع القصيرة .

١١٣ ـ تنظر معلقته في جواهر الادب ، ج ٢ ، ص ٦٣ . الاخفاض : عمد الأخبية ، والخباء : مايعمل من وبر او صوف او شعر للسكن ، المنجد ، ص ١٦٦ .

تراخى : تباعد ، تأخر ، تباطأ ، المنجد ، ص ٢٥٤ .

١١٤ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٤٠ . الجيش والقتال

في صدر الاسلام ، ص ٢٥٢ .
١١٥ ـ الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠ هـ) دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ ، ج ٢ ، ص ١٧ .
١١٦ ـ الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٧ .
١١٧ ـ سيرة النبي (ﷺ) ، لابن هشام ، كتاب التحرير ، ج ٣ ، ص ١٠
١١٨ ـ أطن : أطار ، أطن الساق ، قطعها ، يراد بذلك صوت القطع ، المنجد ، ص ٤٧٣ .
١١٩ ـ تشخب : تسيل بصوت ، المنجد ، ص ٣٧٧ .
١٢٠ ـ السيرة النبوية ، ابن هشام ، القسم الاول ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ ومابعدها .
١٢١ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٤٠ ومابعدها .
١٢٢ ـ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول (ﷺ) ص ٤٤ .
١٢٣ ـ تاريخ الادب العربي ، ص ١٧٩ .
١٢٤ ـ شرح القصائد التسع المشهورات ، القسم الاول ، ص ٢٨٢ ومابعدها .
خشاش : الرجل الشجاع المتحرك الذكي الحديد الفؤاد ، المنجد ص ١٧٩ .
وفي اللسان (خشش) بفتح خاء الخشاش : الخفيف الروح الذكي
١٢٥ ـ بَلَّت : ظفرت وتمكنت ، شرح القصائد التسع المشهورات ، القسم الاول ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .
١٢٦ ـ ديوانه ، ص ٥٢ ومابعدها ، وتنظر مناسبة الاقصيدة في ص ٥٠ من الديوان .
١٢٧ ـ السيرة النبوية ، ابن هشام ، القسم الاول ، ج ٢ ، ص ٦٢٥ .
١٢٨ ـ الكامل ، ابن الاثير ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .
١٢٩ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٤٤٠ .
١٣٠ ـ عصر النبوة والخلافة الراشدة ، د . لبيد ابراهيم ود . فاروق عمر ، جامعة بغداد/ كلية الشريعة / منشورات دار الحكمة ، ١٩٨٦ م .
١٣١ ـ انظر ديوان اوس بن حجر (ت ٦٢٠ م) ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، ص ٩٩ .
١٣٢ ـ شرح القصائد التسع المشهورات ، القسم الاول ، ص ٢٧٦ ومابعدها الجلي : الامر الجليل ، والخطب العظيم ، المنجد ، ص ٩٦ ، القذع : الكلام القبيح والشتم ، المنجد ، ص ٦١٥ .
١٣٣ ـ فجر الاسلام ، ص ٢٧٤ ومابعدها .
١٣٤ ـ شرح القصائد التسع المشهورات ، القسم الاول ، ص ٤٤١ ـ ٤٤٤ .
١٣٥ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .
١٣٦ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ومابعدها ، ص ٤٧٠ ومابعدها .
١٣٧ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ ومابعدها .
١٣٨ ـ الرأي : النظر والتبر والتفكير ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص ١٤٠ (الرأي) .
١٣٩ ـ نهاية الارب في فنون الادب : النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٢ هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ م ، ج ٦ ، ص ٧٦ ومابعدها .
١٤٠ ـ المصدر السابق .
١٤١ ـ العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٩٥ .
١٤٢ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، جرجي زيدان ، دار الهلال المصرية ، د . ت ، ج ١ ، ص ١٨٥ .
١٤٣ ـ الكامل ، ابن الاثير ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .
١٤٤ ـ العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ومابعدها .
١٤٥ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، القسم الثاني ، ص ٤٣٧ .
١٤٦ ـ ينظر ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، ص ٦٩ .
١٤٧ ـ اللواء : هو مايعقد في طرف الرمح ويلوى عليه ويحمل في الحرب والتجارة .
انظر : الفن الحربي في صدر الاسلام :عبدالرؤوف عون ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ م ، ص٨٣ .
١٤٨ ـ بلوغ الارب ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
١٤٩ ـ الراية : ماتعقد في طرف الرمح وتترك لتصفقها الرياح ، ينظر : الفن الحربي في صدر الاسلام ، وهناك بعض المصادر تخلط بين الراية واللواء فيطلق اسم احدهما على الاخر . ينظر : المخصص ، ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، عن طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ .
لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
١٥٠ ـ السيرة النبوية ، ابن هشام ، القسم الثاني ، ص ٧٤ .
١٥١ ـ المصدر السابق ، ص ٧٨ .
١٥٢ ـ المصدر السابق ، ص ٦٧ . كتاب : الرسول القائد (ﷺ) ص ٣٦٣ .
١٥٣ ـ الصورة الفنية لعدة الحرب في القصيدة العربية قبل الاسلام ، ص ٣٥ .
١٥٤ ـ مغازي رسول الله (ﷺ) ، الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق : مارسدن جونس ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ . وتختلف رواية ابن هشام عن هذه الرواية ، تنظر السيرة النبوية ، القسم الثاني ، ج ٤ ، ص ٢١٥ ، ص ٢٣٢ .
١٥٥ ـ عيون الاخبار ، ابن قتيبة ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

فلسطين يا فلسطين! ويا قدسها الشريف!!
كم من مرة أضاعك بعض أهلك وقسم من الحكام العرب!
كم من مرة أبكاك، وأبكاك الضعفاء والمغرضون، وكم
من مرة صدقك وأصدقك المؤمنون المجاهدون الأوفياء!
يا غرة نضال أمتنا الدامي منذ نصف قرن من الزمان،
ومهماز الصحوة الرئيسة فينا كعرب، حينما كنا في غفوة
النسبية على قاعدة نيتنا الصحيحة، وعلى قاعدة إيماننا الصحيح.
ليبصر من يبصر ما حوله وما قبله وما بعد ذلك!!
يا واحدة من أقدس رايات العرب المؤمنين، ومنارة إيمانهم، يا فلسطين
يا قدس الأقداس..

الرئيس القائد
صدام حسين



من حطين الى تحرير القدس

سالم محمد الحميدة

مقدمة

كانت معركة حطين الجسر الذي عبرت عليه القوات الاسلامية نحو تحرير مدينة (القدس) من الاحتلال الصليبي وهي من المعارك الحاسمة في التاريخ الاسلامي وتاريخ الصليبيين والمعركة الحاسمة هي التي تغير وجه التاريخ ، فبعدها اخذ الاستعمار الاستيطاني للصليبيين في شرق البحر المتوسط ينحسر تدريجياً ، واخذت قوات التحرير الاسلامية تطهر الارض الاسلامية من وجوده ، وتقلص نفوذه حتى تمكنت في النهاية من طرده من آخر معاقله في عكا عام ٦٢١ هـ - ١٢٩١ م .

لم تكن معركة حطين عسكرية فقط ، بل كان لها جانب سياسي مهم ، وطويل جرى قبل وقوعها ، وقد تمكن السلطان صلاح الدين من ادارة هذا الجانب بعبقرية وذكاء . وقد كان لهذا الجانب اتجاهان هما :-

١ - وحدة القوات الاسلامية واعادة بنائها .

٢ - العلاقات بين الامارات الصليبية فيما بينها والامبراطورية البيزنطية

وكانت معركة حطين من المعارك المخطط لها منذ عهد الملك نور الدين محمود زنكي الذي بعد ان تسلم مسؤولية الجهاد في امارة حلب اخذ يفكر بوضع منهج يوصله الى تحقيق هدفه - وهو طرد الصليبيين ، وتحرير البلاد الاسلامية من احتلالهم .. وبما ان صلاح الدين كان من الرجال المقربين اليه فقد تشبع بافكاره ، وآمن بخططه ، وبمنهج عمله الذي وضعه لنفسه ويتلخص منهج عمل الملك نور الدين بنقاط ثلاث مهمة هي :-

١ - استمرار حركة الجهاد ضد الصليبيين بشدة لزعزعة موقفهم ، وعدم اعطائهم فرصة للراحة .

٢ - العمل على اقامة وحدة اسلامية ، ولو بصورة جزئية تضم الاقطار الاسلامية المحيطة بالامارات الصليبية والاستفادة من مواردها المادية والبشرية في حركة الجهاد .

٣ - السيطرة على مصر ، والغاء الخلافة الفاطمية فيها وتوجيه مواردها لخدمة اغراض الجهاد وبعث الحياة في ساحة الحركات الجنوبية واجبار الصليبيين على العمل على اكثر من جبهة واحدة .

وبما أن السلطان صلاح الدين قد تربى مع الملك نور الدين منذ صغره ، وقد رافقه في معظم حياته ، وأصبح من رجاله المقربين بعد ان تسلم الملك كانت العلاقة بينهما متينة ، والصلة وثيقة فقد تشبعت نفسه بافكار الملك نور الدين وخططه وقد نجح الملك نور الدين محمود زنكي في تحقيق الوحدة بين امارات شمال العراق وبلاد الشام ومصر ، واخذ يعد العدة لتوجيه مواردها المادية والبشرية لضرب الصليبيين ، الا ان المنية لم تمهله فقد توفي عام ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م ، بعد ان وصل الى قمة قوته . ومن حسن حظ جبهة الجهاد الاسلامية ان يتسلم الامر بعده صلاح الدين الايوبي ، الذي اخذ يعمل على ، تحقيق اهداف نور الدين نفسها وسار على نهجه الذي اوصله في النهاية الى حطين ، وتحرير بيت المقدس ، والقضاء على مملكة بيت المقدس الصليبية .

ولذلك فإن معركة حطين لم تكن عسكرية فقط بل سبقتها معركة سياسية نفذها السلطان صلاح الدين بعبقرية وذكاء . فقد تمكن صلاح الدين بعد ان تفككت عرى الوحدة التي اقامها الملك نور الدين بعد وفاته من اعادة بنائها على الاسس التي كانت قائمة عليها ، وبعد ان اعلن على العالم الاسلامي ان هدفه تحرير القدس وطرد الغزاة الصليبيين من الاراضي الاسلامية .

الموقف العام للطرفين قبل معركة حطين :

الموقف الاسلامي

ظهر للسلطان صلاح الدين بعد عودته الى دمشق من محاصرة حصن الكرك عام ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م ان موقف دولته الداخلي لم يكن مطمئناً بسبب اطماع اقاربه الذين كانوا قد تسلموا السلطة في معظم مراكز الدولة ، وقد خشي منهم على مستقبل دولته السياسي ، وبعد ان قدر موقفه جيداً ، قرر ان يسند بعض المراكز المهمة في دولته الى اولاده ، وينقل السلطة فيها اليهم ، ويضع اقاربه في المراكز التي تجعلهم تابعين لاولاده . ولتحقيق هذه الخطوة قرر مهادنة الصليبيين مؤقتاً حتى تسنح له اتخاذ الاجراءات الاتية : -

١ - اجراء التغييرات في نقل مناصب السلطة لاولاده .

٢ - العمل على وضع امارتي الموصل والجزيرة وتوابعها تحت سيطرته ، ولو بالقوة للاستفادة من مواردها المادية والبشرية في المعركة المقبلة التي ستكون الحاسمة بينه وبين الصليبيين .

وقد هيأت ظروف الصليبيين الداخلية الفرصة له عندما تقدم الكونت رايموند الثالث الوصي على عرش مملكة بيت المقدس يلتمس منه عقد هدنة بينهما مدتها اربع سنوات يوقف الطرفان خلالها القتال بينهما . فرأى صلاح الدين في هذا الطلب فرصته الثمينة لتصفية مشاكله الداخلية ولاتمام وحدة الامارات الاسلامية الاخرى مع دولته . فوافق على طلب الكونت رايموند الثالث ، وعقدت المعاهدة بينهما ، وساد السلام بين الطرفين من عام ٥٨٠ هـ الى ٥٨٤ هـ ١١٨٥ م - ١١٨٩ م .

وقد قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد عقد الهدنة باجراءات سريعة وفعالة وبذكاء تمكن خلالها من تصفية الموقف الداخلي لسلطنته من دون ان يسبب ذلك اي عوائق له . تفرغ لاخضاع امارة الموصل الزنكية لسلطته فتحرك فوراً الى مدينة حلب فانضمت اليه قواتها ، وتقدم في شهر صفر عام ٥٨١ هـ ١١٨٥ م باتجاه الموصل ، وعبر نهر الفرات عند البيرة ثم تحرك شرقاً وقد التحقت بقواته وهي في الطريق قوات حصن كيفا وآمد وقوات صاحب الجزيرة عندما وصل نصيبين . ثم اتجهت هذه القوة نحو نهر دجلة فعقبت الطريق المحاذي له حتى وصلت الاسماعيليات واتخذتها قاعدة امينة .

ثم تقدمت على شكل ارتال واخذت تحاصر مدينة الموصل ، وقد عبر قسم منها نهر دجلة الى الضفة الشرقية لتشديد الحصار على المدينة .

وقد قدر السلطان صلاح الدين صعوبة فتح المدينة فانسحب اواخر ربيع الثاني عام ٥٨١[٢] هـ واتجه صوب خلاط وبعد ان صفى مشاكله في منطقتها عاد لمحاصرة الموصل مرة ثانية فوصل زمار في شعبان ، وقد اصيب هناك بمرض خطير جعله يرسل الى الامير عماد الدين زنكي بن مودود امير سنجار الذي سبق ان دخل في طاعته يطلب منه مفاتحة اخيه عز الدين صاحب الموصل بالصلح بينهما ثم ارسل وفداً الى الموصل للغرض نفسه .

وبعد ان اشتد المرض عليه انتقل الى حران وهناك وصل وفد امير الموصل لمفاوضة السلطان بالصلح . وبعد مفاوضات بينهما تم الصلح على ان يعترف امير الموصل بتبعيته للسلطان ويرسل قواته لمساندته عند طلبها[٣]

وهكذا حقق صلاح الدين وحدة امارة الموصل مع سلطنته التي اضحت اكبر الامارات الاسلامية واقواها واشدها تماسكاً . وبعد ذلك تماثل للشفاء ، عاد الى بلاد الشام لاكمال استعداداته لمعركته التي كان يفكر في خوضها مع الصليبيين ، فوصل دمشق يوم ٢ ربيع الاول عام ٥٨٢ هـ ٢٤ آب عام ١١٨٦ م .[٤]

وبعد ان حقق السلطان صلاح الدين وحدته اصبح من اقوى الامراء المسلمين ، وذلك لسعة رقعة سلطنته ، وكثرة مواردها المادية والبشرية فاخذ يعيد تنظيم قواته العسكرية لمواجهة وتحقيق اهدافه في تحرير بيت المقدس من الاحتلال الصليبي اما من الناحية السياسية العامة فقد اكتسب ثقة الخليفة

العباسي الناصر لدين الله ابي العباس احمد ومساندته والتي اعتمد عليها في فرض سيطرته على الامارات الاسلامية في المنطقة كلها ، كما ان سلطان سلاجقة الروم اخذ يسعى لكسب صداقته .

موقف الامبراطورية البيزنطية والموقف الاوربي

اصبح موقف الامبراطورية البيزنطية في هذا الوقت ضعيفاً بعد هزيمتها امام قوات سلاجقة الروم عام ٥٧١ هـ ١١٧٦ م ، وبعد ان تحطمت قواتها العسكرية في معركة بريوكيفا ليوم [٥] . ولم تعد تشكل خطراً على الموقف في بلاد الشام وليس لها من القوة ما يمكنها من انقاذ الصليبيين عند تعرضهم لهجوم صلاح الدين الايوبي ، وانها سعت لعقد صلح مع السلطان صلاح الدين وقد تم بينه وبين الامبراطور الكسيوس كومنين الثاني عام ٥٧٦ هـ ١١٨٠ م فجعلها ذلك لاتهتم بشؤون الصليبيين .

اما مايخص - اوربا فقد تطلب الموقف الصليبي ويحتاج الى مراجعة الاصل وقتاً طويلًا لاقناع ملوكها بتجريد حملة صليبية جديدة تنقذ موقفهم في الشرق من الخطر الذي اخذ يهدد كيانهم بعد تنامي قوة صلاح الدين العسكرية ، وقد فشلت بالفعل بعثة البطريق هرقل ومقدمي الراوية والاسبتارية التي قصدت اوربا لاثارة حملة صليبية جديدة .

صلاح الدين ومملكة بيت المقدس الصليبية

بعد ان قام السلطان صلاح الدين بتحقيق وحدته وعزل الامبراطورية البيزنطية عن الصليبيين جاءت الخطوة التالية وهي : القيام بعزل مملكة بيت المقدس عن بقية الامارات الصليبية في الشرق جغرافياً وسياسياً لانها اصبحت هدفه المقبل الذي يتعلق بتحرير بيت المقدس ليثبت للعالم الاسلامي انه نفذ وعده في تحرير هذه المدينة المقدسة من الاحتلال الصليبي .

فكانت اولى محاولاته عزل مملكة بيت المقدس الصليبية جغرافياً عن بقية الامارات الصليبية الواقعة في شمال بلاد الشام ، فكانت حركته التي قام بها لاحتلال مدينة بيروت عام ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م والوصول الى البحر جزءاً من خطته . الا ان فشله في ذلك جعله يغير خطته ويحقق ذلك عن طريق السياسة ، وقد جاءت فرصته عندما اسند الملك بولدوين الرابع ملك مملكة بيت المقدس والذي كان مريضاً الوصاية على العرش الى زوج اخته الامير جاي لوزيجنان فكان اجراؤه هذا سبباً في بث الخلاف بين بارونات المملكة الذين كانوا يكرهون هذا الامير ويصفونه بالجبن . وقد دفعت خطوة الملك هذه الكونت رايموند الثالث امير طرابلس والجليل الذي كان من اقوى الامراء الصليبيين الى الانعزال عن المملكة ومفاتحة صلاح الدين الايوبي لعقد اتفاقية معه ضد مملكة بيت المقدس، وبعد ان تم الاتفاق بينهما قام السلطان صلاح الدين الايوبي بالاجراءات الاتية لتعزيز موقف حليفه ضد الملك : -

١ - اطلق سراح الاسرى الصليبيين الذين ينتمون الى امارة طرابلس والذين كانوا محجوزين عنده[٦] .

٢ - تقدم بقواته الى منطقة بانياس لاسناد حليفه وتعزيز موقفه ضد مملكة بيت المقدس [٧] .

وبعد وفاة الملك بولدوين الخامس وتتويج الملك جاي ملكاً على مملكة بيت المقدس لم يرض ذلك الامير بوهيمند الثالث امير انطاكية فدفعه موقفه ذلك الى تجديد الهدنة التي كانت معقودة بينه وبين السلطان صلاح الدين الايوبي [٨]

وهكذا اصبحت مملكة بيت المقدس معزولة عن بقية الامارات الصليبية الموجودة في بلاد الشام وتركت وحيدة امام السلطان صلاح الدين الايوبي الذي انهى في هذا الوقت بناء وحدته السياسية وقوته العسكرية ، وتمكن من خلق الظروف الملائمة لمواجهة مملكة بيت المقدس الصليبية ولم يبق امامه الا الدخول بمعركة فاصلة كان يخطط لها بدقة وقد اوجد لها الوسائل التي تضمن له النصر الاكيد[٩] فيها .

الموقف داخل مملكة بيت المقدس قبل معركة حطين

كان الملك بولدوين الرابع ملكاً على مملكة بيت المقدس الا ان مرضه لم يمكنه من ممارسة مسؤوليات عرشه . وبعد ان اشتد عليه المرض وعجز عن القيام بواجباته عقد مجلساً في الناصرة قرر فيه تعيين الامير جاي لوزيجنان زوج اخته سبيللا امير يافا وعسقلان وصيداً على العرش ، الا ان بارونات المملكة الذين يكرهون جاي لم يحضروا الاجتماع . وبعد ان تحسنت صحة الملك دبت الخلافات بينه وبين الوصي فاضطر الملك الى عقد مجلس للبارونات حضره بوهيمند الثالث امير انطاكية ورايموند الثالث امير طرابلس والاخوان ابلين وسيد قيسارية للتداول بالموقف ، فنصح المجلس الملك بعزل الوصي - وبناء على ذلك اصدر الملك قراراً بتعيين بولدوين الخامس ابن اخته سبيللا الذي كان في السادسة من عمره ولياً للعهد ، وتقرر ان يكون الكونت رايموند الثالث وصياً عليه .

وبعد ان توفي الملك بولدوين الرابع في آذار ١١٨٥ م ٥٨١ هـ دعا الوصي بارونات المملكة للاجتماع والنظر في السياسة التي يجب اتباعها لمواجهة الظروف السيئة الاقتصادية والعسكرية التي كانت تسود المملكة ، بسبب عدم هطول الامطار وعدم وصول تقويات جديدة اليها من اوربا . وقد وافق المجلس على اقتراح الوصي الذي ينص على الالتماس من السلطان صلاح الدين الايوبي لقبول عقد هدنة بينه وبين المملكة امدها اربع سنين [١١] . وقد استقر الموقف الداخلي للمملكة من خلال هذه المعاهدة التي تم توقيع الطرفين عليها

وفي نهاية شهر آب من عام ١١٨٦ م ٥٨٢ هـ توفي الملك بولدوين الخامس وعادت الخلافات بين بارونات المملكة بشأن من يخلفه في الملك . وفي الوقت الذي كان الوصي على العرش

مجتمعاً بمؤيديه من البارونات في مدينة نابلس ، تم انتخاب جاي لوزيجنان زوج الملكة سبيللا ملكاً على المملكة في مدينة القدس . وقد نتج عن ذلك عاملان مهمان كان لهما آثار كبيرة على مصير المملكة هما : -

١ - لقد اتصف الملك جاي بالضعف وعدم القدرة على السيطرة على بارونات المملكة من امثال امير الكرك رينودي شانيون (ارناط) وقد ادى ذلك الى قرب انهيار المملكة(١٢) .

٢ - ان تتويج الملك جاي على العرش من دون موافقة الوصي ادى الى نشوب الخلاف بينهما وقد دفع ذلك الوصي الكونت رايموند الثالث الى محالفة السلطان صلاح الدين ضد مملكة بيت المقدس (١٣) . ولكون موقف امير انطاكية من الملك جاي كان عدائيا فقد ادى ذلك الى انعزال المملكة عن بقية الامارات الصليبية الاخرى فاصبحت وحيدة امام القوة الاسلامية .

وهذا ما كان يسعى اليه السلطان صلاح الدين ويعمل من اجله بعد ان اكمل وحدته السياسية وبناء قوته العسكرية .

الموقف قبل معركة حطين

بعد عودة السلطان صلاح الدين من الامارات الشرقية اخذ



خارطة رقم (٨)
مخطط معركة حطين

يهيىء نفسه وقواته لضرب الصليبيين والدخول معهم بمعركة حاسمة توصله الى تحقيق اهدافه التي جعلها محور دعايته عند المسلمين وهي : -

١ - القضاء على مملكة بيت المقدس السليبية وتحرير مدينة القدس .

١ - تحرير باقي الاراضي الفلسطينية وطرد الصليبيين منها .

ولم يمنعه من مهاجمة الصليبيين الاكونه مرتبطاً معهم بمعاهدة وكان ملتزماً بها ولا يريد نقضها من جانبه فاجبر على الانتظار .

نقض المعاهدة

لم يطل انتظار السلطان صلاح الدين الايوبي ، فقد قام امير الكرك رينودي شاتيون (ارناط) بنقض الهدنة من جانبه بعد ان قام في اواخر عام ٥٨٢ هـ اوائل عام ١١٨٧ م بالتعرض لقافلة اسلامية عظيمة كانت سائرة بين القاهرة ودمشق (١٤) . فاستولى عليها واسر رجالها . فارسل السلطان رسلاً اليه تطلب منه اعادة الاموال واطلاق سراح الاسرى وتعويض الخسائر فامتنع عن مقابلتهم ورفض طلبهم (١٥) .

فتوجه رسل السلطان الى مدينة القدس وقابلوا الملك جاي وطلبوا منه اصدار امر الى تابعه امير الكرك بتحقيق مطالبهم المذكورة ، فوافق وارسل امراً الى تابعه امير الكرك هذا فرفض تنفيذها والانصياع الى اوامر الملك .

وهكذا نقضت المعاهدة التي كانت معقودة بين المسلمين والصليبيين ، واصبح الصدام بينهما وشيك الوقوع ، وقد تهيأت الفرصة للسلطان . فقد قام الصليبيون انفسهم بنقض المعاهدة واصبح هو في حلٍ من الالتزام ببنودها . وفي الوقت الذي اخذ فيه السلطان يستعد لخوض معركته الفاصلة ، وجدت مملكة بيت المقدس الصليبية نفسها معزولة عن بقية الامارات الصليبية الاخرى ، فقد كانت العلاقات بين ملكها جاي وبين كل من امير طرابلس وامير انطاكية مقطوعة ، وقد نتج عن تمرد امير الكرك الذي لم يقدر ظروف الصليبيين خلال هذه المدة آثار سيئة على الموقف الصليبي بصورة عامة .

اعلان الجهاد

كان السلطان صلاح الدين في هذا الوقت في مدينة دمشق يرقب الموقف الصليبي وقد جعلها القاعدة الرئيسة لعملياته المقبله - وكان على اطلاع تام بالموقف الصليبي والخلافات التي حدثت بين قادتهم بعد تتويج الملك جاي . وقدر ان الفرصة سنحت له لمواجهتم والدخول معهم بمعركة يحقق بعد الانتصار فيها اهدافه الرئيسية التي سبق ان حددها .

ومن هذا المنطلق ، اطلق صيحة الجهاد التي سرعان ما تردد صداها في جميع انحاء امارته الممتدة في شهرزور في

الشرق وحتى مصر في الغرب وطلب من امرائها التوجه بقطعاتهم الى مدينة دمشق قاعدة التحشد الرئيسة لمجاهدة الصليبيين

التحشد الاسلامي

اختار السلطان صلاح الدين منطقة رأس الماء[١٦] الواقعة جنوب مدينة دمشق منطقة تحشد امامية للقوات الاسلامية ، وقد تحرك على رأس قواته من دمشق باتجاهها في اليوم الاول من محرم عام ٥٨٣ هـ منتصف اذار ١١٨٧ م .

وبعد ان وصلها واعاد تنظيم قطعاته فيها ترك فيها ابنه الملك الافضل مع الاثقال وكلفه بواجب استقبال القطعات التي ستصل المنطقة وتنظيم شؤونها ، ثم تقدم على رأس القوات المقاتلة نحو مدينة بصرى لتحقيق الاغراض الاتية :-

١ - حماية قافلة الحجاج القادمة من الاراضي المقدسة باتجاه بلاد الشام بعد ان وصلته اخبار تفيد بان امير الكرك ينوي التعرض لها .

٢ - القيام باستقبال قوات مصر القادمة الى بلاد الشام ومنع تدخل امير الكرك بمسيرها .

٣ - ضرب اقاليم حصني الكرك والشوبك وتخريبها في محاولة للاضرار بامكانيات اميرها الذي اشتهر بغدره .

وبعد عبور قافلة الحجاج تقدم السلطان بقواته من مدينة بصرى باتجاه الجنوب لملاقاة القوات المصرية التي التقى بها عند القريتين[١٧] . وبعد ان اجتمعت هذه القوات اصبح تعدادها اثني عشر الف فارس[١٨] . ومن منطقة الاجتماع في القريتين شكل ارتالاً سريعة الحركة ارسلها الى مختلف نواحي حصني الكرك والشوبك لمهاجمتها وتدمير قواتها العسكرية ، وقد استمرت هذه العمليات مدة شهرين حتى اكتمل تحشد القوات الاسلامية في رأس الماء[١٩] .

كانت معركة عين جوزة عبارة عن حركة استطلاع تمهيدية قامت بها القوات الاسلامية لتحقيق عدة اغراض . فقد ارسل السلطان صلاح الدين الايوبي وهو في منطقة حصن الكرك الى ابنه الملك الافضل الذي كان في منطقة التحشد في رأس الماء يامره بارسال قوة استطلاع قوية باتجاه منطقة عكا لتحقيق الاغراض الاتية :-

١ - استطلاع الموقف الصليبي داخل الاراضي الصليبية وجمع المعلومات عن قواتهم ونياتهم المقبلة .

٢ - اختبار مدى تمسك الكونت رايموند الثالث امير طرابلس والجليل الذي كان موجوداً في هذا الوقت في مدينة طبرية بالمعاهدة المعقودة بينهما عند مهاجمة السلطان مملكة بيت المقدس الصليبية .

٣ - تثبيت قوات مملكة بيت المقدس من التدخل باعمال القوات الاسلامية التي كانت تهاجم مناطق حصني الكرك والشوبك .

وبعد تسلم الملك الافضل اوامر السلطان قام بالخطوات الاتية لتنفيذ الواجب : -

١ - هيأ قوة استطلاع قوية جعل قيادتها الى مظفر الدين كوكبري امير حران والرها مؤلفة من : -

قوات الجزيرة وديار بكر

بعض قوات امارة حلب وبلاد الشام بقيادة بدر الدين ولدرم ابن الياروقي .

بعض قوات امارة دمشق بقيادة صارم الدين قايماز النجمي .

كان تقدير هذه القوات مختلفاً في المصادر الاسلامية والغربية ، بيد انه اذا لاحظنا قوات الامارات التي اخرجت منها هذه القوة والواجب المكلفة بتحقيقه نستطيع ان نقول انها تقدر بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف مقاتل كلهم من الفرسان[٢٠] .

٢ - ارسل الملك الافضل الى الكونت رايموند الثالث يخبره بان قوة اسلامية ستتقدم باتجاه اقليم عكا ويطلب منه السماح لها بالمرور من خلال اقطاعه .

تنفيذ الواجب

كان الملك جاي والامراء الصليبيون يعدون موقف الكونت رايموند الثالث الذي اتفق مع المسلمين موقف خيانة لحركة الصليبية ، وفي هذا الوقت اعلن الملك جاي النفير العام واختار منطقة الناصرة الغنية بالمياه والمواد الغذائية منطقة تحشد لقواته لمهاجمة اقليم الجليل واجبار الكونت رايموند الثالث على الخضوع له . الا ان الامير باليان ابلين اقنعه بعدم مهاجمة الكونت واقترح عليه ارسال وفد يكون هو على رأسه لاقناع الكونت في العودة الى صفوفهم . فتشكل الوفد من الامير ابلين رئيساً وعضوية رئيس أساقفه صور ومقدمي الداوية والاستبارية . وقد تحرك الوفد الى طبرية يوم ٢٩ نيسان عام ١١٨٧ م اواخر صفر عام ٥٨٣ هـ .

وفي هذا الوقت وصلت رسالة الملك الافضل الى طبرية يطلب فيها من الكونت السماح للقوى الاسلامية بالمرور في اقطاعه ، فتحرج موقفه . ومع انه وافق على الطلب تنفيذاً لبنود المعاهدة ، الا انه اشترط على هذه القوة ان تجتاز الحدود قبل طلوع شمس اليوم الاول من مايس وتعود الى مناطقها قبل حلول ظلام ذلك اليوم[٢٢] . وعلى المسلمين عدم التعرض للمدن والقرى التابعة له . كما انه قام بارسال رسله الى القرى والمدن الواقعة على طريق تقدم القوة الاسلامية ليخبروا سكانها بعدم الخوف والبقاء مع ماشيتهم داخل المدن خلال هذا النهار .

وعندما علم الكونت رايموند بوصول وفد المصالحة بينه وبين الملك جاي الى الصفولة في اليوم نفسه ارسل اليه يحذره ويعلمه الموقف الذي جرى الاتفاق عليه بينه وبين المسلمين . وقد وصلت رسالته الى الوفد وهو في الصفولة مساء يوم ٣٠ نيسان عام ١١٧٨ م .

وفي الصباح المبكر من يوم امايس - الاول من ربيع الاول

معاً . ففي الوقت الذي شكلت فيه نصراً كبيراً للمسلمين رفع من معنوياتهم وجعلهم يندفعون للقتال وينتظرون المعركة المقبلة بعزم وثبات ، كان لها ايضاً اثر كبير على الصليبيين . فقد جعلتهم يعيدون النظر في علاقاتهم فيما بينهم وساعدتهم على توحيد صفوفهم بعد ان احسوا بالخطر الذي ينتظرهم على ايدي المسلمين .

وقد ندم الكونت رايموند الثالث بعد ان رأى القوات الاسلامية تعود وتمر من تحت اسوار قلعته وهي تحمل الغنائم وتسوق الاسرى الصليبيين وعد سياسته مسؤولة عن هذه الكارثة التي حلت بالصليبيين ، فنقض عهده مع السلطان وعاد الى الجانب الصليبي .

تحشد القوات الاسلامية

بعد وصول اخبار معركة عين جوزه (كريسون) الى السلطان صلاح الدين في اقليم الكرك والتي كانت قد استنفرت الامراء الصليبيين ، وبعد ان قدر موقفه قرر تقديم قواته التي في

شاهد الكونت رايموند الثالث من قلعة طبرية القوات الاسلامية وهي تجتاز طبرية . فقام مقدم الراوية بعد ان وصلته اخبار دخول القوات الاسلامية اقليم الجليل بتحشيد فرسانه الموجودين في المنطقة المجاورة للصفولة خلال الليل وقد تمكن من تحشيد خمسمائة فارس . وقد تحركت هذه القوة صباح يوم امايس باتجاه الناصرة وقد التحق بها حوالي مائتا فارس فاصبح تعدادها حوالي سبعمائة فارس من قوات الراوية والاستبارية .

وعندما اجتازت هذه القوة التلول الواقعة شرق الناصرة شاهدت القوة الاسلامية عند عين جوزة (كريسون) فقامت بالهجوم عليها فوراً . الا ان القوات الاسلامية تصدت لها وتمكنت بعد وقت قليل من ابادتها ولم ينج منها الا القليل من الانفار الذين اخذتهم اسرى وكان قائد الاستبارية من بين القتلى .

فتحركت قوة صليبية اخرى من الناصرة لنجدة فرسان الراوية والاستبارية ، وفي الوقت الذي وصلت فيه المنطقة كانت المعركة قد انتهت فقامت القوة الاسلامية باسر هذه القوة باسرها ، وبعد ذلك عادت القوات الاسلامية تحمل الغنائم وتسوق الاسرى الى منطقة تمركزها في رأس الماء .

وقد كان لهذه المعركة آثار مهمة على المسلمين والصليبيين



راجع الخارطة رقم (٢)

رأس الماء الى الامام كي يزيد من استفزاز الصليبيين فاختار منطقة عشترا لتكون منطقة تحشد امامية لها ، فاوعز الى ابنه الملك الافضل المشرف على تحشد القوات الاسلامية بالحركة الى منطقة عشترا الواقعة على نهر اليرموك ، وبعد ذلك تحرك السلطان مع قطعاته من منطقة الكرك باتجاه عشترا فوصلها يوم الخميس السابع عشر من ربيع الاول عام ٥٨٣ هـ وكانت القوات الرئيسة قد وصلتها قبل ذلك . وفي هذه المنطقة التحقت قوات الملك المظفر تقي الدين عمر امير حماه ومعها قوات امارة الموصل التي كانت بقيادة مسعود بن الزعفران وقوات امارة ماردين [٢٣] بالقوات الاسلامية ، وهكذا اكتمل تحشد القوات الاسلامية . وفي هذه المنطقة أقام السلطان عرضاً عسكرياً لقوات فرسانه في منتصف ربيع الثاني عام ٥٨١ هـ ٢٦ حزيران ١١٧٨ م وقد اشترك في هذا العرض اثنا عشر الف فارس [٢٤] .

تحشد القوات الصليبية

بعد ان علمت القيادة الصليبية بالتحشدات الاسلامية في عشترا ، قام الملك جاي بعقد مجلس حرب مع باروناته في مدينة عكا وقد اشترك الكونت رايموند الثالث امير طرابلس والجليل في هذا المجلس ، وكان من نتيجته ان اصدر الملك جاي قراراً بالنفير العام دعا بموجبه كل من يقدر على حمل السلاح من الصليبيين [٢٥] . واصدر امراً إلى جميع القوات العاملة في المدن والقلاع والحصون بالالتحاق بالجيش الصليبي الذي تحشد قرب عكا [٢٦] .

وقد اكتمل تحشد القوات الصليبية في منطقة عكا قبل الثاني من تموز ١١٧٨ م . ومن الملاحظ ان هذا التحشد قد اخلى جميع المدن والقلاع والحصون الصليبية من القطعات العاملة والتي كانت تحميها عند الضرورة .

قوات الطرفين

اختلفت مصادر الطرفين المتحاربين في تقدير القوات ، فكل طرف يحاول تبرير موقفه من خلال تقدير القوات المشتركة بالمعركة ، وقد نتج عن ذلك صعوبة الوصول الى تقديرات قريبة الى الصحة . وقبل بحث تفاصيل قوات الطرفين تجب معرفة الحقيقة الاتية - وهي ان الطرفين خططا لخوض معركة فاصلة وان كلًا منهما حشد كل ما عنده من قوات لمهاجمة الطرف الاخر وصدق ابو شامة عندما قال « وان الايمان كله قد برز الى الشرك كله » .

تقدير القوات الاسلامية[٣٧]

يمكن الوصول الى العدد التقريبي للقوات الاسلامية من المعلومات المذكورة في المراجع المختلفة وهي كما يأتي : -

اثنا عشر الف فارس - كانوا في منطقة حصن الكرك بقيادة السلطان .

اربعة الاف فارس - اشتركوا في معركة عين جوزه (كريسون) .

الفان التحقوا بقاعدة التحشد مع قوات امارة الموصل وحماه وماردين .

وبذلك أصبح مجموع الفرسان المسلمين . ثمانية عشر الف مقاتل واذا قبلنا عدد قوات المشاة كما ورد ذكرها في المراجع المختلفة والتي نصت على انها كانت ثلاثة عشر الف مقاتل [٢٨] .

يكون مجموع القوات النظامية واحداً وثلاثين الف مقاتل . فضلًا عن قوات المجاهدين من ابناء العشائر العربية والكردية والتركمانية الذين لا يقل عددهم في هذا الموقف عن خمسة الاف مقاتل منهم الفرسان ومنهم المشاة . فاذا وضعنا هذا العدد مع مجموع القوات النظامية سيكون مجموع القوات الاسلامية بحدود ستة وثلاثين الف مقاتل .

تقدير القوات الصليبية

لقد حشد الصليبيون كل ما عندهم من قوات الى الدرجة التي اخلت فيها مملكة بيت المقدس المدن والقلاع والحصون جميعها من القطعات ، كما ان الملك جاي اعلن النفير العام في المملكة وجند كل من يستطيع حمل السلاح ، وان مملكة بيت المقدس الصليبية وفي اعلى درجات النفير لا تتمكن من اخراج اكثر من قوة تقدر بخمسة وعشرين الف مقاتل ، ثلاثة الاف فارس من منظمات الراوية والاستبارية .

والف مقاتل كتيبة امارة انطاكية نصفهم من الفرسان .

وثلاثة الاف مقاتل قوات امارة طرابلس والجليل بضمنهم الف فارس . فيكون مجموع القوات الصليبية : -

سبعة الاف وخمسمائة فارس

وخمسة وعشرون الف مقاتل مشاة فيكون مجموع القوات الصليبية ثلاثة الف مقاتل .

ومن تقدير قوات الطرفين يمكن الوصول الى الاستنتاجات الاتية : -

١ - بذل السلطان صلاح الدين كل ما يؤمن له التفوق بالقوات على الصليبيين وقد تمكن من الوصول الى ذلك بعد ان اصبحت امارة الجزيرة والموصل وشمال العراق تابعة له ، وقد رأى انه يتمكن الان من مواجهة الصليبيين والتغلب عليهم لتفوق قواته على قواتهم بالعدة والعدد .

٢ - ان تفوق القوات الاسلامية بالفرسان اكسبها قابلية حركة سريعة ومرونة اكثر ولذلك فانه يتمكن من استغلال هذه الخاصية بتشكيل ارتال سريعة الحركة وخفيفة تضرب العدو من عمق بعيد وتوقع به الخسائر وهو في حالة التقدم وقبل ان يخوض معركته مع القوات الاسلامية الرئيسة .

٣ - قام السلطان صلاح الدين باكبر عملية تحشد اسلامية في

تاريخ الحروب الصليبية لحد الان وقد اكتمل تحشده قبل العدو ولذلك فانه كان يعمل على اخضاع العدو للعمل بحسب رغبته، ومن نقله من منطقة تحشد الى اخرى كان هدفه جر العدو الى المنطقة التي يختارها لخوض معركته فيها بحيث يتمكن من تدمير قواته واحراز النصر الذي يقوده الى هدفه الرئيس وهو تحرير القدس.

٤ - بعد وصول اخبار التحشدات الاسلامية الى الملك جاي قدر الموقف جيداً وتمكن من تقدير غاية السلطان صلاح الدين المقبلة وهدفه. وقدر ان المعركة المقبلة بينهما سيكون لها آثار بعيدة على الطرفين المتحاربين وانها ستكون المعركة الفاصلة التي ستقرر مصير مملكة بيت المقدس وعليه ان يدخلها بكل جهده العسكري.

٥ - ولذلك فان الملك جاي قام باضخم عملية تحشد في تاريخ المملكة لمواجهة الموقف الحرج الذي سببته له قيادة صلاح الدين الايوبي لحركة الجهاد الاسلامية، وقد مكنه ذلك من تحشيد جيش لا يقل عدداً عن الجيش الاسلامي في منطقة عكا لمواجهة الموقف الحرج الذي اصبح فيه باعتراف معظم المؤرخين.

وصف ساحة المعركة راجع الخارطة رقم (١)

تقع ساحة معركة حطين بين السهل الساحلي غرباً ونهر الاردن شرقاً. والمنطقة بصورة عامة جبلية تكثر في منحدراتها الوديان العميقة شديدة الحرارة في موسم الصيف وتنعدم فيها الحياة، اذ لا توجد فيها مصادر للحياة تسد حاجة القطعات الكبيرة. واهم العوارض التي تقع على جانبي محور التقدم هي:

١ - جبل طوران - ارتفاعه ٥٤٨ م يقع على امتداد شمال محور التقدم وتقع عارضة قرون حطين التي يبلغ ارتفاعها ٣٢٦ م في اقصى امتداده الشرقي وجنوب قرية حطين التي تبعد ستة كيلو مترات الى الشمال الغربي من مدينة طبرية.

٢ - جبل شيخ - ارتفاعه ٣٧٦ م ويقع شرق مدينة الناصرة والى الشمال منه يقع جبل خويخه وارتفاعه ٣٥٢ م. ويمتد بين هذين الجبلين وجبل طوران وادٍ عريض يمر منه طريق صفورية - طبرية وهو المحور الذي سلكته القوات الصليبية عند تقدمها من منطقة تحشدها في صفورية.

مسير الاقتراب

كان الطرفان المتحاربان قد قدرا موقفهما تقديراً صحيحاً، وكل منهما قدر خطته بحيث اختار صفحة الدفاع وعدم التقدم الى خصمه ومهاجمته. والعمل على دفع خصمه الى التقدم والهجوم، ولذلك فقد نشبت بين الطرفين معركة نفسية كل طرف يعمل فيها على دفع خصمه لمهاجمته وارغامه على التقدم من خلال تلك المنطقة المحصورة بين مدينة طبرية ومدينة صفورية، والتي تتصف بقلة المياه فيها وشدة الحرارة اذ ان القوات التي تعبرها تصبح منهوكة من شدة العطش والتعب، ولذلك فان هجومها سيكون متراخيا ويكون الفشل حليفها بنسبة كبيرة. وكلما مر الوقت ازدادت حدة هذه المعركة، وكل طرف كان قد اتخذ الاجراءات العملية لدفع خصمه الى الهجوم. وسيكون النصر في هذه المعركة النفسية للطرف الذي سيجبر خصمه للانقياد الى رغباته.

ونُري نتيجة هذه المعركة ان القيادة الاسلامية كانت اكثر براعة في القيادة الصليبية ادارة هذه المعركة النفسية وتمكنت في النهاية من ادراكها كما خططت لها فوصلت الى النصر الحاسم على عدوها في حطين.

التقدم الاسلامي

قام السلطان صلاح الدين الايوبي في منطقة عشترا بتقسيم قواته الى اطلاب (٢٩) وجحفلها كل بحسب اماراتها وامرائها وذلك لبث روح التنافس في القتال وفي يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الثاني في عام ٥٨٣ هـ السادس والعشرين من حزيران عام ١١٧٨ م تقدم بتشكيل الجيش السباعي (٣٠) الى خسفين فوصلها يوم السبت ١٨ ربيع الثاني وقضى ليلته هناك وعندما سمع بتحشيد القوات الصليبية في منطقة عكا قرر التقدم الى منطقة الاقحوانة واتخاذها قاعدة امامية لقطعاته، فتحركت القوات الاسلامية اليها يوم الاحد ١٩ ربيع الثاني ٢٨ حزيران فوصلتها في اليوم نفسه واقامت فيها خمسة ايام. وهنا عقد السلطان مجلس حرب مع قادته وامرائه ليتداول معهم في المسلك الذي يتبعه، وقد طرحت في هذا المجلس المسالك الاتية: -

المسلك الاول

اتخاذ منطقة الاقحوانة المحاطة بالمياه في جهاتها الثلاث قاعدة امينة للجيش واحتلال موضع دفاعي فيها ثم القيام بتشكيل ارتال سيارة قوية تدخل المناطق التي يسيطر عليها الصليبيون فتخربها وتغنم ما يقع تحت يدها من اموال ثم تعود الى القاعدة الامينة.

المسلك الثاني

تدخل القوات الاسلامية بكتلتها مناطق العدو وتهاجمها وتدمرها ثم تتقدم الى القوات الصليبية المتحشدة عند عكا فتهاجمها وتبيدها.

وهنا تبرز قيادة السلطان صلاح الدين وعبقريته، فقد رأى في المسلك الاول اطالة للوقت وعدم وصول الى نتيجة حاسمة مع العدو. اما المسلك الثاني فقد رأى ان فيه مجازفة وهو لا يريد ان يجازف بقواته بعد ان قام بعملية التحشد الضخمة هذه والتي وضعت تحت قيادته اضخم جيش اسلامي تصدى للصليبيين فقد وجب عليه استغلال الفرصة باستخدام هذه القوة في ضربهم والقضاء على قواتهم قبل ان يحين الوقت لعودة قطعاته الى

مناطقها وتضيع الفرصة منه[٣١] . خاصة وانه كان قد اعلن غايته من تحشيد هذه القوة وهي القضاء على مملكة بيت المقدس الصليبية وتحرير مدينة القدس ، ولا يتم ذلك الا بعد القضاء على جيش الميدان الصليبي المتحشد عند عكا .

وبناء على ذلك فانه قرر الخطة الاتية : -

١ - تعبر القوات الاسلامية نهر الاردن وتحتل موضعاً دفاعياً على الضفة الغربية للنهر ولبحيرة طبرية بحيث تجعل مصادر المياه خلفها وذلك لتامين الاغراض الاتية : -

أ - عدم التوغل بعيداً الى داخل المناطق الفلسطينية فتطول خطوط مواصلاتها وتحسباً لاي عملية انسحاب قسرية يضطرها الموقف .

ب - ابقاء المنطقة الخالية من المياه امام مواضعه لاغراء القوات الصليبية بالتقدم من خلالها .

جـ - السيطرة على مصادر المياه الموجودة في المنطقة وحرمان العدو منها ومنعه من الوصول اليها .

٢ - انتخب المنطقة المحصورة بين الجبال والتي تنعدم فيها المياه خلال اشهر الصيف والواقعة على محور صفورية - طبرية ارض قتل للقوات الصليبية .

٣ - وضع خطة عمل تجبر العدو على ترك مناطق تحشده وتغريه أو تضطره الى التقدم لمهاجمة القوات الاسلامية في مواضعها الدفاعية . ومن الاجراءات التي قرر السلطان اتخاذها لاجبار العدو على التقدم هي : -

أ - توجيه ارتال سيارة وقوية ودفعها الى الامام لمهاجمة المناطق الصليبية الواقعة امام الموضع الدفاعي .

ب - اذا لم يتحرك العدو نتيجة ذلك مهاجمة مدينة طبرية الواقعة خلف مواضع القطعات الاسلامية واجبار العدو على التقدم لانقاذها وانقاذ امير الجليل وطرابلس التي كانت فيها .

احتلال الموضع الدفاعي

تقدمت القوات الاسلامية من الاقحوانه وعبرت نهر الاردن على الجسر الواقع جنوب قرية الصنبرة يوم ٢٢ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ ١ تموز ١١٧٨ م واشغلت مواضعها على الشكل الاتي : -

١ - تحتل القطعات الساترة مواضعها امام الموضع الرئيس وتندفع الى الامام لاعاقة تقدم الرتل الصليبي وابقائه اطول مدة ممكنة في المناطق الحارة والخالية من المياه حتى تستنفد القطعات الصليبية ما تحمله من الماء .

٢ - يحتل القلب موضعاً دفاعياً قوياً على جانبي محور التقدم بين صفورية وطبرية ويشكل مصدراً قوياً لاحباط هجوم العدو المتوقع وايقاف قطعاته في منطقة القتل المنتخبة .

٣ - تحتل الميمنة مواضع دفاعية عند قرية لوبيا والى الشمال منها وتشكل الجناح الايمن للموضع الدفاعي وتحتل الميسرة مواضع دفاعية عند قرية كفرسبت وتشكل الجناح الايسر للموضع الدفاعي .

٤ - ثم اندفعت الميمنة والميسرة الى الامام حتى جعلت الموضع على شكل هلال وذلك لتامين غرضين هما : -

أ -عندما تدخل القوات الصليبية داخل الهلال تهاجم مؤخرتها وتمنعها من الانسحاب من ميدان المعركة .

ب - بعد توغل القطعات الصليبية داخل الموضع تقوم باكمال تطويقها وقطع طرق انسحابها .

بعد عبور القوات الاسلامية تقدمت باتجاه كفرسبت واحتلت الميسرة موضعاً يشكل الجناح الايسر للموضع الدفاعي، ثم اخذت القطعات الاخرى تحتل مواضعها الكائنة باتجاه الشمال من كفرسبت حتى امتدت الى لوبيا على التلول الواقعة غرب بحيرة طبرية بخمسة كيلو مترات . ثم اندفعت قوات الميمنة الى الشمال من قرية لوبيا وقوات الميسرة الى الغرب من كفرسبت حتى اصبح الموضع على شكل هلال فتحته الى الغرب . وقد اكملت القوات الاسلامية اشغال مواضعها يوم ٢٣ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ ٢ تموز ١١٧٨ م .

رد الفعل الصليبي

بعد ان وردت اخبار عبور القوات الاسلامية نهر الاردن واحتلالها موضعاً دفاعياً في منطقة كفرسبت - لوبيا الى الملك جاي الذي كان مع قواته في عكا ، عقد مجلساً حربياً مع باروناته كان الكونت رايموند الثالث امير طرابلس ابرز القادة الصليبيين في هذا الاجتماع واكثرهم خبرة في قتال المسلمين وكان اول المتكلمين فيه فاقترح التزام الصليبيين خطة الدفاع من منطقة صفورية الغنية بمراعيها ومياهها وعدم التورط بالتقدم ومهاجمة المسلمين مستنداً الى العوامل الاتية : -

١ - استناد القوات الصليبية التي ستدافع في صفورية الى الحصون والقلاع التي اصبحت شبه خالية من القوات . فاذا نجحت القوات الاسلامية في دحرها فانها ستتمكن من الانسحاب الى هذه القلاع والحصون وتدافع من خلالها .

٢ - حرارة الجو خلال شهر تموز وشحة المياه في المنطقة المقترحة للتقدم تجبر قوات العدو على البقاء في صفورية وعدم التقدم .

٣ - ان صمود القوات الصليبية في موضعها الدفاعي مدة طويلة ستجبر السلطان صلاح الدين الايوبي اخيراً على الانسحاب لانه لا يتمكن من ابقاء هذا الحشد الهائل من قواته مدة طويلة بعيدة عن مواطنها الاصلية وستنجو المملكة مما يبيته لها .

وقد عارض كل من الامير رينودي شاتيون (ارناط) ومقدم الراوية جيرار هذه المقترحات بدافع من كرههم للكونت رايموند الثالث وحبهم في الانتقام من المسلمين لقتلى معركة عين جوزه (كريسون) . وقد اتهما الكونت بالجبن والخيانة ، ونتيجة ذلك فقد اصدر الملك جاي امره الى القوات الصليبية بالتقدم الى

منطقة صفورية كمرحلة اولى ، وقد تمت حركتها يوم ٢ تموز ٢٣ ربيع الثاني فوصلتها وعسكرت فيها ظهر ذلك اليوم .

الهجوم الاسلامي على مدينة طبرية

كانت غاية السلطان صلاح الدين ارغام القوات الصليبية على التقدم والهجوم على موضعه قرب طبرية ، الا انه لم يرمنها ما يعطيه دليلاً على حركتها . فقرر الهجوم على مدينة طبرية التي كانت عاصمة اقليم الجليل ولها اهمية خاصة عند الصليبيين ، ولينتقم من الكونت رايموند الثالث الذي نقض الاتفاقية معه وكانت زوجته فيها . فقد قرر ان مهاجمة طبرية كمرحلة اخيرة من خطة المخادعة التي اتبعها لسحب القوات الصليبية سيجبرها على التقدم من منطقة تحشدها لانقاذها وانقاذ الاميرة التي بداخلها . وان عامل الوقت والمسافة سيجبران القوات الصليبية على تعقيب اقصر الطرق التي توصلها الى طبرية .

هاجم السلطان طبرية بتشكيل من قواته الخاصة وبقيادته واستصحب [٣٢] معه الجهد الهندسي المتيسر عنده من النقابين والخرسانية والحجارين والجاندرية ليلة الخميس ٢٣ ربيع الثاني ٢ تموز واستولى على المدينة وترك القلعة التي انسحبت الى داخلها القوات الصليبية ليعطي املاً للقيادة الصليبية لانقاذها .

وفي اليوم نفسه وصلت الملك جاي في صفورية اخبار سقوط مدينة طبرية بيد المسلمين وبقاء القلعة صامدة ، وقد اخبرته اميرة الجليل التي كانت داخل القلعة ان ضعف القوات الموجودة لديها لن تمكنها من الصمود مدة طويلة ولذلك فهي تطلب منه الاسراع بالتقدم لانقاذها .

عقد الملك جاي مجلساً حربياً في خيمته وكان الكونت رايموند اول المتكلمين وهو زوج الاميرة واقترح ترك مدينة طبرية تسقط بيد المسلمين والتزام خطة الدفاع حفاظاً على جيش الميدان الصليبي من الدمار ومملكة بيت المقدس من الضياع ، وقد قدم للمجلس جميع المبررات التي تزيد رأيه .

وقد أيد المجلس الحربي رأي الكونت رايموند وقرر قبول خطة الدفاع في منطقة صفورية ، الا ان تردد الملك ومعارضة امير الكرك ومقدم الراوية جعلا الملك يغير رأيه ويقرر بصفته القائد العام للقوات الصليبية التقدم لانقاذ مدينة طبرية وعلى المحور الذي يربط صفورية - طبرية مباشرة ، وقد صدرت اوامر الملك ليلاً بالحركة صباح يوم ٣ تموز ٢٤ ربيع الثاني .

وهكذا نجحت خطة السلطان صلاح الدين باثارة الصليبيين وحمله على التقدم على المحور الذي اختاره هو . وعندما وصلت اخبار التقدم الصليبي للسلطان ترك قوة قليلة لمراقبة قلعة طبرية وعاد مع قواته الى مواضعه واخذ يعد العدة لخوض معركته الفاصلة التي خطط لها بدقة .

وخلال تلك الليلة تهيات القوات الاسلامية لملاقاة القوات الصليبية فوزعت على القطعات اربعمائة حمل جمل من السهام كما انها اسست نقاط اعادة املاء وضعت فيها حمولة سبعين جملاً من السهام وقد بلغ المقاتلين ان كل من تنفد سهامه يمكنه التزود من هذه النقاط . وقام السلطان بتشكيل اعداد كبيرة من الارتال السيارة اختفت في منحدرات الجبال والوديان على جانبي محور التقدم اسند لها واجب مهاجمة الرتل الصليبي بصورة مباغته وسريعة لارباك تقدمه وايقاع الخسائر بين صنوفه . ثم قام السلطان بدفع ميمنة وميسرة الموضع الى الامام بحيث جعلها تتمكن من احاطة الرتل الصليبي في وقت مبكر .

لقد حسب السلطان صلاح الدين لكل شيء حسابه ،، فقد استغل تفوقه على العدو وارتفاع معنويات قطعاته ، واستفاد من طبيعة الارض والعوامل الجوية للقضاء على جيش الميدان الصليبي الذي سيتقدم في صفورية ويقال الخسائر واحتفظ بقواته سالمة استخدمها بعد المعركة في تحرير بيت المقدس وبقية الاراضي الفلسطينية .

سير المعركة

تقدمت القوات الصليبية من منطقة تحشدها في صفورية صباح يوم الجمعة ٢٤ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ ٣ تموز ١١٧٨ م هدفها طبرية ، وبعد مدة قصيرة خرج الرتل الصليبي من المناطق الخضر التي تكثر فيها المياه ودخل منطقة التلول الجرداء التي تشكل منحدرات المناطق الجبلية الواقعة على جانبي محور التقدم . وباشرت القوات الاسلامية التي كانت مختفية في ودیانها بهجماتها المباغته السريعة . وتحت وطأة الحر الشديد والتجهيز الثقيل للمقاتلين الصليبيين الذين كانوا يرتدون الدروع الثقيلة المصنوعة من الحديد والتي اصبحت تحت اشعة الشمس المحرقة لباساً لا يطاق . فبدأت صرفيات المياه تزداد واخذ ما كان يحمله الرتل الصليبي من المياه ينضب مما زاد من معاناة الجنود والخيول والعطش والحر ، وكان من شدة معاناتها ان هبطت مقدرتها على السير فاخذ تقدم الرتل الصليبي يتميز بالبطء [٣٣] .

وكلما تقدم الرتل الصليبي داخل الوادي اصبح تحت تاثير هجمات الارتال الاسلامية السيارة الشديدة والسريعة التي كانت توقع الخسائر بالمقاتلين والخيول فارتبك الرتل واستمر موقفه يزداد سوءاً حتى ظهر يوم ٢٤ ربيع الثاني ٣ تموز وقد وصل قرب لوبيا وهو على اسوأ حال وخاصة مؤخرة الرتل التي تعرضت لهجمات شديدة ومستمرة .

وبعد ان رأى الملك جاي ما حلّ بقواته قرر التوقف على الرغم من معارضة قادته الذين قدروا ان الهلاك في التوقف ، وقد اختارت القيادة الصليبية الهضبة الواقعة الى الشمال من قرية لوبيا مباشرة لوضعاً تسكن فيه للاستفادة من البئر الموجودة فيها ، الا انها بعد ان وصلت المنطقة وجدت ان البئر كانت جافة .

فاكملت القوات الصليبية تعسكرها على الهضبة قبل حلول ظلام يوم ٢٤ ربيع الثاني ٣ تموز وقامت القوات الاسلامية بتطويقها ليلاً وقبل حلول الصباح ، وقامت مجموعات صغيرة من

الصليبيين خلال الليل بمحاولات للوصول الى مصادر المياه الا انها لم تفلح مما زاد من الحط من معنوياتها ، وعندما اصبح يوم ٢٥ ربيع الثاني ٤ تموز كانت القوات الاسلامية قد سدت المنافذ جميعها على القوات الصليبية ، ولزيادة مشاكلها احرقت الاعشاب اليابسة التي كانت تغطي المنطقة فزادت النار والدخان من متاعبهم .

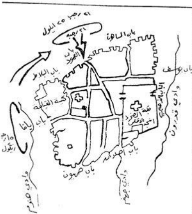
ثم قامت قطعة من القوات الصليبية بعملية خروج باتجاه المنحدر المؤدي الى بحيرة طبرية الا ان القوات الاسلامية استوعبتها وقضت عليها ، ثم قام الكونت رايموند الثالث بقيادة فرسانه بعملية خروج اخرى باتجاه الخلف لفتح طريق انسحاب للقوات الصليبية ففتحت له القيادة الاسلامية ثغرة خرج منها ثم عادت فسدت الثغرة واخذت تهاجم القوة التي خرجت فآثر الكونت رايموند الهروب من ميدان المعركة باتجاه مدينة صور ثم منها الى طرابلس .

وعندما رأى الملك جاي انه فقد كل أمل له للخلاص من المصير المحتوم قرر الزحف بمن معه من القوات الى التل المرتفع الذي يقع امام مواضعه والذي يدعى « قرون حطين » فزحفت القوات الصليبية وشقت طريقها الى هذا التل وعسكرت فيه واتخذت مواضع لها حول خيمة الملك الحمراء التي نصبت على قرون حطين .

قامت القوات الاسلامية بتطويقها من الموضع الجديد واخذت تمطرها بوابل من السهام الكثيفة التي كانت توقع بها الخسائر : وقد فشلت المحاولات التي قامت بها للخروج من الحصار . وبعد ظهر يوم ٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ ٤ تموز ١١٧٨ م شهد مرتفع حطين نهاية اعظم معركة في تاريخ الحروب الصليبية بعد ان قام السلطان صلاح الدين بنفسه بقيادة هجوم علم على مواضع الصليبيين التي كانت فوق المرتفع . وعندما تسلقت القوات الاسلامية مرتفع حطين وجدت بقايا القوات الصليبية قد رمت اسلحتها وجلست على الارض تنتظر وصول القوات الاسلامية التي ستنقذها من معاناتها فاسرتها كلها ، وهكذا انتهت معركة حطين بهذا النصر العظيم الذي كان من اهم نتائجه انه قضى على جيش الميدان الصليبي وعلى مملكة بيت المقدس الصليبية وباقل الخسائر[٣١] .

تحرير القدس راجع الخارطة رقم (٣)

انتهت معركة حطين بذلك النصر الرائع الذي حققته القيادة الاسلامية ، وقد قدر السلطان صلاح الدين اهمية الوقت بعد تلك الضربة التي وجهها للصليبيين . فلم تأخذ منه مرحلة اعادة التنظيم الا الوقت القليل ، وما كادت شمس يوم السبت ٢٥ ربيع الثاني ٤ تموز ان تغيب حتى انهى كل ما يتعلق بساحة المعركة فامر بسوق الاسرى الى دمشق فوراً وانهى مشكلتهم ، وفي صباح يوم ٢٦ ربيع الثاني ٥ تموز دخل قلعة طبرية التي منح اميرها وقواتها الامان فانسحبت الى طرابلس . ولم يبق له من واجب الا



خارطة رقم (٢)

تحرير بيت المقدس

التوجه لتحرير بيت المقدس وطرد الصليبيين من اكبر ما يمكن من الاراضي الفلسطينية مستغلاً عدم وجود قطعات لديهم وخلو حصونهم وقلاعهم من القوات . فقام بعملية تحرير واسعة وسريعة بحيث تمكن من تحرير اكثر من خمسين مدينة وقلعة وحصن ومعظم الاراضي التابعة لها وخصوصاً المناطق الساحلية لعزل بقية المناطق الداخلية عن الساحل ، وكانت مدينة القدس آخر المدن التي توجه اليها السلطان بعد ان عزلها عن بقية المناطق التي يسيطر عليها الصليبيون .

تقدمت القوات الاسلامية من مدينة عسقلان بعد ان فتحت طريق مصر . باتجاه بيت المقدس فوصلت مدينة القدس يوم الاحد ١٥ رجب عام ٥٨٣ هـ ٢٠ ايلول ١١٧٨ م وعسكرت امام اسوارها من ناحية الغرب [٣٢] . وبعد ان قام السلطان بعملية استطلاع منصلة استغرقت خمسة ايام وتجمعت لديه المعلومات الدقيقة ، قرر اختبار المكان الذي يمكنه الهجوم منه على المدينة . وقد وقع اختياره على الجهة الشمالية من المدينة المقابلة لباب العمود وكنيسة القيامة فاصدر اوامره ، الى قطعاته بالانتقال الى هذا القاطع وقد تم ذلك يوم الجمعة ٢٠ رجب ٢٥ ايلول .

وقد خرجت قوة من الفرسان الصليبيين من المدينة صباح يوم السبت ٢١ رجب ٢٦ ايلول تطلب القتال ، فشنت عليها القوات الاسلامية هجوماً عزوماً اجبرتها على الانسحاب باتجاه المدينة فتعقبتها القوات الاسلامية وهي ملتصقة بها فوصلت

الخندق فعبرته واندفعت نحو السور فالتصقت به وتقدم رماة السهام لسترها ، ومن ثم تقدم النقابون الى الزاوية المراقية قرب باب الصمود وباشروا عملهم وبعد مدة قصيرة تمكنوا من احداث فتحة في السور اندفعت القوات الاسلامية منها الى داخل المدينة . وبعد ان عجز الصليبيون عن سد الثغرة وشاهدوا شدة القتال عليهم وقد اوشكت المدينة ان تسقط بيد المسلمين ، قرروا طلب الامان من السلطان صلاح الدين الايوبي الذي رفض طلبهم مبدئياً وذكرهم بما قام به الصليبيون عندما احتلوا المدينة المقدسة عام ٤٩١ هـ ١٠٩٩ م

وبعد ان رأى الصليبيون تدهور موقفهم خرج قائدهم باليان ابلين وقابل السلطان شخصياً وفاوضه على منهم الامان ، وبعد مفاوضات جرت بينهما وبعد استشارة الامراء المسلمين وافق السلطان صلاح الدين على منحهم الامان بموجب الشروط الاتية :-

١ - يعد جميع الصليبيين اسرى لدى المسلمين على ان يدفع كل واحد منهم فداء لنفسه المبالغ الاتية :-

عشرة دنانير لكل رجل وخمسة دنانير لكل امرأة دينار عن كل طفل

ومن لم يستطع دفع الفدية بضمن المدة المقررة يصبح مملوكاً .

٢ - يغادر جميع الصليبيين بيت المقدس خلال مدة اقصاها اربعون يوماً . فاخذت جموع الصليبيين بعد ذلك تغادر المدينة المقدسة بعد احتلال دام ثمانية وثمانين عاماً . ودخل السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب مدينة القدس يوم الجمعة ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ ٢ تشرين الاول ١١٧٨ م مجاهداً مسلماً وقائداً محرراً تحت تهاليل وتكبيرات جنوده وامام اعين الغزاة المخذولين .

هوامش البحث

١ - سالم محمد الحميدة الحروب الصليبية - عهد الوحدة ٣ / ٢٧٤ - ٣٤١
٢ - ابن واصل مفرج الكروب ٢ / ١٦٨
٣ - ابن الاثير الكامل ٩ / ١٧٠
٤ - ابن شداد النوادر السلطانية ٧١
٥ - فولر معارك العالم الغربي الحاسمة ١ / ٤١٧
٦ - ابن واصل مفرج الكروب ٤ / ١٨٥
٧ - فولر معارك العالم الغربي الحاسمة ١ / ٤٢٣
٨ - عاشور الحركة الصليبية ٢ / ٧٦٩
٩ - باركر الحروب الصليبية ١٨٠
١٠ - رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ٢ / ٧١٦
١١ - المصدر السابق ٢ / ٧٢٤
١٢ - باركر دائرة المعارف البريطانية ٦ / ٧٨٤
١٣ - ابو شامة الروضتين ٢ / ٧٤
١٤ - المقريزي السلوك ١ / ٩٢
١٥ - عاشور الحركة الصليبية ٢ / ٧٦٨
١٦ - المقريزي السلوك ١ / ٩٢
١٧ - ابن واصل مفرج الكروب ٢ / ١٨٦
١٨ - المقريزي السلوك ١ / ٩٣
١٩ - ابو شامة الروضين ٢ / ٧٥
٢٠ - سالم محمد الحميدة الحروب الصليبية ٣ / ٢٨٢
٢١ - عاشور الحركة الصليبية ٢ / ٧٧٢
٢٢ - رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ٢ / ٧٣٠
٢٣ - ابن شداد النوادر السلطانية ٧٥
٢٤ - ابو شامة الروضين ٢ / ٧٦
٢٥ - الماضدي الوطن العربي والغزو الصليبي ٦٩
٢٦ - عاشور الحركة الصليبية ٢ / ٧٧٣
٢٧ - سالم محمد الحميدة الحروب الصليبية ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٢
٢٨ - المرجع السابقة هامش رقم (٧) ٣ / ٣١٥
٢٩ - الطلب - قوة مؤلفة من ١٧٠ - ٢٠٠ فارس
٣٠ - التشكيل السباعي للجيش - يعني ان الجيش يتقدم بسبعة كتل هي : - المقدمة - القلب - المؤخرة - الميمنة - الميسرة - جناح ايمن - جناح ايسر
٣١ - ابن الاثير الكامل ٩ / ١٧٧
٣٢ - الجاندرية - هم الفدائيون
٣٣ - رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ٢ / ٧٣٨
٣٤ - سالم محمد الحميدة الحروب الصليبية ٣ / ٣٠٥ - ٣١٢
٣٥ - ابو شامة الروضين ٢ / ٨٨ - ٨٩

ثبت المراجع والمصادر

١ - تاريخ الحروب الصليبية ، ستيفن رنسمان . بيروت ١٩٦٧
٢ - الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور . القاهرة ١٩٦٣
٣ - الحروب الصليبية ، أرنست باركر . بيروت ١٩٦٧
٤ - الحروب الصليبية ، سالم محمد الحميدة . بغداد ١٩٩٣
٥ - دائرة المعارف البريطانية . لندن ١٩٥١
٦ - الروضتين في اخبار الدولتين ، لابي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (المتوفي عام ٦٦٥ هـ) بيروت
٧ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، للمقريزي تقي الدين احمد بن علي (المتوفى عام ٨٤٥ هـ) القاهرة ١٩٣٦
٨ - الكامل في التاريخ لابن الاثير ابي الحسن عز الدين محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفي عام ٦٣٠ هـ) دار الفكر ١٩٧٨
٩ - معارك العالم الغربي الحاسمه ، معركة حطين ، الجنرال فلر . لندن ١٩٥٩
١٠ - مفرج الكروب في اخبار بن ايوب ، لابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (المتوفى عام ٦٩٧ هـ) القاهرة ١٩٥٧
١١ - النوادر السلطانية المحاسن اليوسفية لابن مقداد القاضي بهاء الدين (المتوفى عام ٦٣٢ هـ) القاهرة ١٩٦٢
١٢ - الوطن العربي والغزو الصليبي ، د . خاشع المعاضيدي . الموصل ١٩٨١

وجهة نظر استشراقية

و . ب ستيفنسن

معركة حطين وتحرير القدس*

ترجمة وتعليق
كاظم سعد الدين

حين هدأت الاحوال في شماليّ [الشام] وكانت الحرب وشيكة الاندلاع في فلسطين ، تطلّب الأمر حاكماً قديراً في مصر اكثر مما في حلب ، فعاد الملك العادل الى منطقته في خريف ١١٨٦ [١٩ تشرين الثاني ، ٥ رمضان ٥٨٢ هـ] .

وحين اصبح كي لوزينان ملكاً بعد موت بولدوين الخامس كانت معاهدة السلم ما تزال نافذة مع صلاح الدين . وكانت اجراءً وقائياً مهماً للمملكة ، بها وحدها يكبح السلطان من توجيه ضربة قاضية الى خصومه ، ومع ذلك فقد كانت تأثيرات قوية تعمل ضدها في صفوف الفئة الحاكمة . وقد أنهى ريموند الذي كان عدواً للملك [كي] حالة السلم السائدة . ووقف المسلمون ضد الحكوم الرسمية في الخصام بين ريموند وكي . وبهذا أضفى السلمُ شي شخصياً لريموند ، ووقف كي موقفاً عدائياً من السلطان . وم اليسير فهم الشعور المتنامي لدى طرف يَعدُّ الحربَ ضد المسلمي أمراً طبيعياً ومحتوماً ويعدُّ السلمَ فعلاً مريباً ، بل يكاد يكو خيانة . تحت هذه الظروف ، لم يكن متوقعاً ان ينتظر اللاتينيو [الصليبيون] انقضاء أجل الهدنة التي أمدها أربع سنوات قبل استئناف الاعمال العدائية[1] . إنّ ريتالد [ارناط] صاحب الكر هو الذي تجاهل أخيراً في ربيع ١١٨٧ شروط المعاهدة الت

● كتاب الصليبيون في الشرق The Crusades in the East تاليف و . ب ستيفنسن W . B . Stevenson غير مترجم للعربية . طبع اول مرة سنة ١٩٠٧ واعيد طبعه في سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦٨ ـ عدد صفحات الكتاب ٣٩٠ صفحة . يقع في مقدمة وستة فصول وملحقين .

١ ـ الحملة الصليبية الاولى . ٢ ـ تاريخ انطاكية واديسا ٣ ـ عماد الدين زنكي ٤ ـ نور الدين محمود ٥ ـ صلاح الدين يوسف [الايوبي]

٦ ـ القرن الثالث عشر . خاتمة . الملحق الاول تواريخ المؤرخين العرب . الملحق الثاني تاريخ وليم الصوري .

ترجمنا معركة حطين وتحرير فلسطين من الفصل الخامس ـ صلاح الدين الايوبي .

● **مصادر الكتاب**

١ ـ مصادر اوربية كثيرة جداً . ٢ ـ مصادر عربية مترجمة الى اللغات الاوربية . ٣ ـ مصادر سميت بمجموع تواريخ الحروب الصليبية

أ ـ تواريخ شرقية . ١ ـ ابو الفداء ٢ ـ ابن الاثير ٣ ـ العيني وتاريخ الدولة الاتابكية لابن الاثير ٤ ـ بهاء الدين ابن شداد ٥ ـ المهير ٦ ـ ابو المحاسن ٧ ـ سبط ابن الجوزي ٨ ـ كما الدين ابن العديم ٩ ـ ابو شامة

ب ـ تواريخ غربية مخطوطة اراكلز ووتلن جـ ـ تواريخ اغريقية

١ ـ انا كومنيا ٢ ـ نيكيتاس ٣ ـ كيناموس

د ـ وثائق ارمنية

١ ـ ابقيت تعابير المؤلف على ما هي عليه لكي يطلع القارىء عليها ووضعت ما يقابلها من التعابير المعروفة عند العرب امثال كلمة اللاتينين [الصليبين او الفرنجة] وحاولت ايضاح اسماء المؤلفين العرب واسماء كتبهم

٢ ـ وضعت شروحي وتعليقاتي داخل المتن بين حاصرتين مربعتين

٣ ـ الهوامش عموماً للمؤلف

ارتبط بها ، غير ان مسؤوليته عن نقض العهد قد ألقيت حصراً على رينالد نفسه . لعله كان متطرفاً في وجهات نظره ، وقد يكون من المحتمل هو الذي يعجل بالصراع ، بيد انه لم يقف وحده ، وقد ينظر الى فعله نظرة حصيفة على أنها الحصيلة العملية لشعور أحد الفريقين . وجه رينالد الضربة الاولى بصورة خاصة لانه كان يحتل المنصب المؤهل لذلك العمل .

كانت قلاعه تسيطر على الطرق المؤدية الى مصر ومكة ومنهما ، وقد اعتاد ان يسلب القوافل المارة فيها وكان على علاقات طيبة مع عرب المنطقة[2] غير الموالين لصلاح الدين والذين كان ايمانهم بالاسلام ضعيفاً ، ولا تربطهم اي معاهدات[3] . ولا عجب ان يغري ذلك رينالد في محاكاتهم في السلب والنهب ولعل قافلة محملة بالبضائع النفيسة أغرته في أوائل آذار سنة ١١٨٧ حتى لم يستطع كبح مطامعه . فاستولى على الاموال التي تحملها وأسر جميع من في القافلة وقد أرسل صلاح الدين يمنعه على ذلك دون جدوى ، فاقسم [صلاح الدين] ان يقتله اذا ما أسره . وعقد عزمه على الفور ان يجمع جيوشه في حوران ثم خرج من دمشق في نهاية آذار[4] ، وانشغل بالاستعدادات في رأس العام . واستدعى الجند في البلاد التي تحت سلطته الى ان يلتحقوا بالحرب المقدسة [الجهاد] . وفي غضون ذلك هدد رينالد بمهاجمة الحجاج العائدين من مكة ، فتحرك صلاح الدين نحو الكرك لحمايتهم . وعسكر في قصر السلامة قرب بصرى بمجموعة مختارة من الجند حتى مر الحجاج بسلام (في بداية أيار)[5] . وفي الوقت الذي كان فيه مرابطاً هناك سيطر على الحقول المحيطة بالكرك والشوبك وكان الذئب مدركاً ان الاسد كان في الخارج فلم يجرؤ على التحرك ووصل عندئذ الجيش المصري فالتقى به صلاح الدين عند القريتين . وبعد ذلك بوقت قصير تركز في تل عشترا (٢٧ أيار)[6] .

ووصلته الانباء ان الضربة الاولى من الحملة قد وقعت وان قطعات الجند المتجمعة في حوران كانت تغير على فلسطين في زمر . وقد أحرزت أحداها نصراً مؤزراً .

في الوقت الذي كان صلاح الدين فيه يقوم باستحضارات قواته لم يكن اللاتينيون عاطلين . فقد ادركوا خطورة الهجوم الذي يهددهم . وبقي ريموند منعزلاً [متحفظاً] في قلعته في طبرية ، غير ان الملك [كي] رأى الحاجة تدعو الى تامين مساعدته ، فارسل وفداً مفاوضاً من علية النبلاء يطلبون اليه أن يخفف من غلوائه . وحدث في اليوم نفسه من رحلتهم ان عبرت إحدى الحملات نهر الاردن من حوران (في يوم الجمعة الاول من أيار)[8] . وسمع الفرسان بذلك في الفولة في مرج ابن عامر حيث أمضوا ليلة الخميس[9] .

واسرعوا بتحشيد كل ما استطاعوا من جنود في المناطق المجاورة ، فجمعوا قوة من نحو مئة الى مئة وأربعين فارساً ، ومن ثلاث مئة الى أربع مئة من المشاة .[10] وهاجموا قوات العدو في صفورية .[11] وأحرز المسلمون نصراً ، ربما لتفوقهم في العدد ، إذ قتل كثير من الفرسان وأسر أغلب الباقين . شجعت الحادثة طرفاً وارعبت طرفاً آخر . ولعلها اثرت في ريموند فجعلته يطرح ضغينته على الملك جانباً . وعقد الصلح فاجتمعت جميع قوات المملكة في صفورية ، ولكن القادة كانوا ما يزالون منقسمين ، ولم يجتمع الشمل وتتم الثقة الحقيقية المتبادلة إلا في غضون ايام قلائل ، فقد كانوا يشكون بان ريموند كان متحالفاً سراً مع المسلمين ولكن الشك لم يكن في محله ، غير ان النتائج كانت مصيرية .[12]

كان تل عشترا ، حيث اجتمعت قوات صلاح الدين ، يقع على مسافة قصيرة غربي طريق الحج ، على الطريق الى فلسطين جنوبي بحيرة طبرية .[13] وكان آخر من وصل قوات حلب والموصل التي تاخرت بسبب عمليات أُمرت بتنفيذها في بداية نيسان .[14] فقد كانوا منشغلين بحركات ضد انطاكية وضد الارمن في قيليقية .

يمكن تعليل هذه الحركات برغبة صلاح الدين ، من ناحية ، في الدفاع عن الجنوب ، ومن ناحية اخرى ، بموت روبين الارمني[15] . على ان تقي الدين تلقى في بداية حزيران أوامر للسلم وقد فعل ذلك . وصل في الاسبوع الثالث من حزيران[16] تل عشترا ، ورحبوا به بكثير من الرضا ، لان الجيش كان متاهباً للتقدم . وفي [الاسبوع] الرابع[17] عُقد مجلس الامراء وقر قرارهم ان يغزوا القدس ، وفي اليوم نفسه جرى استعراض عظيم للقوات العسكرية ، وكان عدد القطعات النظامية ، الذي ارتفع بالمجندين ، ١٢٠٫٠٠٠ (مئة وعشرين الفاً)[18] ، ولعل عدد القوات الاضافية بلغ عدة اضعاف .[19] وتفرق المعسكر بعد يومين ، في يوم الجمعة ، في ساعة الصلاة (٢٦ حزيران)[20] .

وعلى وفق عادة صلاح الدين التقية ، الورعة ، كانت أهم مشروعاته تبدأ في يوم العبادة [الجمعة] في ساعة الصلاة فعبر في يوم لمعركته . وعند المساء نزل لمهاجمة طبرية نفسها بمجموعة من السبت نهر الاردن ، عند جنوبي بحيرة طبرية مباشرة ونزل غير بعيد عن ضفة النهر (عند الاقحوانة في الصنبرة)[21] مز يوم أو يومان . وكان اللاتينيون ما يزالون في صفورية ، ثم نقل صلاح الدين قوته المحاربة فعلاً الى كفر سبت ، ومن هناك سعت مناوشاته الى استفزاز اللاتينيين للاشتباك في اثناء اليومين التاليين .[22]

ومع ذلك لم يتحركوا ، لذلك حاول تجريب خطة اخرى ، في يوم الخميس الثاني من تموز ترك صلاح الدين الجزء الرئيس من جيشه على الهضبة غربي طبريا التي اختارها لتكون ميداناً

القطعات المختارة.[23] وكانت صولة عظيمة في ساعة واحدة كافية لاحتلال المدينة. فتراجعت زوجة ريموند والحامية الصغيرة الى القلعة ولكن صلاح الدين كان قد انجز بلوغ هدفه.

في تلك الليلة نفسها انعقد مجلس الحرب في صفورية، ونوقشت فيه سياستان، كان رأي ريموند التزام الدفاع، ورأي رينالد ومقدم الداوية [فرسان الهيكل او المعبد] القيام بالهجوم. كان ريموند يرى ان المسلمين لا يمكنهم الحاق الاذى الدائم وسرعان ما ينسحبون كما فعلوا سابقاً. واذا ما هاجموا اللاتينيين في صفورية فلن يكون في ذلك ضرر عليهم وانهم [المسلمين] سيكونون بعيدين عن قواعدهم، وسوف يعانون من قلة الماء، فليأخذوا طبرية فان الخسارة سوف تعود على صلاح الدين وسوف يكابدون كثيراً، وذلك في مصلحة البلاد؛ ويمكن استعادة المدينة بعدئذ. أما عن سياسة الهجوم فان اعداد الاعداء ستجعل الامر خطيراً ولا سيما صعوبة الحصول على الماء بين صفورية وطبرية.[24] كانت الحجج وجيهة وقد كسبت رضا اكثر البارونات المجتمعين، ولما انفض الاجتماع عند منتصف الليل اعتقدوا ان ريموند اقنع الملك باتباع نصيحته، ولكن مقدم الداوية وريناك صاحب الكرك كان لهما رأي آخر وتأثير خاص لدى الملك وكان ريموند موضع شك الثلاثة بالخيانة، اذ كان الجيش اللاتيني أقوى من أي وقت في السنوات الاخيرة.[25] وأما عن اعداد الجيش فان ريناك قال هازئاً: « لا يضير النار كثرة الحطب ».[26] وكسب موافقة « كي » على التقدم قبل ان يخلد الى الراحة، وأصدر اوامره. في صباح اليوم التالي دون استشارة احد.

التقى الجيشان المتعارضان في الصباح، بعد ساعتين او ثلاث ساعات من شروق الشمس.[27] انتظر صلاح الدين اللاتينيين على التلال التي فوق طبرية في المواضع التي اختارها. وكان ذلك اليوم مرة اخرى يوم صلاة المسلمين وعبادتهم، الجمعة، الثالث من تموز.[28] كان تسجيل اليوم من القتال بسيطاً، فقد كان غاية اللاتينيين شق طريقهم الى طبرية ولكنهم اخفقوا في ذلك. ولما تقدموا، احاط بهم جيش المسلمين احاطة تامة.[29]

وعلى الرغم من الجهود كلها توقف تقدمهم تدريجاً. لا ريب ان العوامل الحاسمة هي الحر الشديد في نهار تموز، ونقص الماء نقصاً تاماً. ثم هبط المساء دون التوصل الى نتيجة حاسمة، غير ان القضية لم تعد موضع ريبة. عسكر كلا الطرفين في المكان الذي قاتل فيه.[30] وطوّق المسلمون اللاتينيين تطويقاً محلبقاً بحيث لا يمكن ان تهرب قطة من بين صفوف المسلمين.[31] وانهك اللاتينيون وخارت عزيمتهم، وكان جند صلاح الدين مبتهجين واثقين بالنصر. وقد مرّ الظلام على احد الطرفين مضنياً ولم ينقطع التكبير، شعار الاسلام العظيم، الا نادراً: « الله اكبر، الله اكبر: لا اله إلا الله! » بل ظل يتردد في هدأة الليل. « وهيئت دركات النيران وهنئت درجات الجنان، وانتظر مالك واستبشر رضوان.[32] وفي صباح اليوم التالي لم تستمر المعركة طويلاً. فقد شدد صلاح الدين هجومه بعزم لا يلين، كان اللاتينيون مدحورين، منهكين. وقد تفرق مشاتهم وفرسانهم في الوقت الذي كان الواجب فيه يدعو ان يحمي بعضهما بعضاً.[33] وتراجع المشاة الى سفح التل وقد اضناهم العطش. وكان الفرسان معرضين للسهام التي انطبقت على كلا صنفي الجيش. عند هذه النقطة.[34] لاذ ريموند وجنوده بالفرار. ولا يحتمل ابداً ان يكون حلفاؤه الجدد قد استحسنوا هربه[35]. وتراجع أغلب القادة الان وآووا الى جبل حطين حيث جرت آخر معركة حول « خشبة الصليب الاعظم ». وأحرق بعض المسلمين العشب اليابس فزاد الدخان والنار من انهاك اللاتينيين وصاروا كالاغنام تساق الى المجزرة. وقد بلغ عدد القتلى والاسرى آلافاً. ولم تستيقظ المستوطنات الصليبية قط من الضربة التي تلقتها في ذلك اليوم المصيري (السبت ٤ تموز ١١٨٧).[36]

وكان اول ما قام به صلاح الدين صلاة الشكر لله لتتويج جهاده بالنصر. فنصب سرادقه وبحضور المؤمنين سجد وشكر « الله الرحمن الرحيم الذي جعله سلطاناً ومنّ عليه بالقوة لتنفيذ ارادته [سبحانه]. » ثم جلبوا كبار الاسرى واجلسوهم برهة الى جانبه. وقرّع ريناك على غدره، فدافع عن نفسه بدعوى تقاليد الحرب. وحين أتي بماء مثلوج حصلت حادثة انذرت بالشؤم إذ لما اعطى « كي » الكاس التي كان يشرب بها الى ريناك قال الترجمان للملك ما قاله صلاح الدين: « لم تاخذ مني في سقيه إذناً، فلا يوجب له مني أمناً. »

كانت هزيمة اللاتينيين في حطين مقدمة لما يمكن ان يوصف بانهيار مملكة القدس. فسقطت فلسطين جميعاً بسرعة مذهلة ما عدا قلاع الحدود بايدي المنتصر، وقبل نهاية العام احتلت جيوش صلاح الدين جميع المدن المهمة في المملكة باستثناء صور، وصار صلاح الدين ينتقل، من تموز الى تشرين الثاني، بسرعة خاطفة، من فتح الى فتح. ولم تبرز مقدرته بنحو متميز ولم تكافأ بالنصر اكثر من ذلك. ويجب ان تنال عبقرية صلاح الدين اسمى منزلة في صدد تعليل احداث هذه الشهور. فقد رأى فرصته مواتية وعرف كيف يفيد منها .. ووقف نفسه دون كلال على عمله. وفي هذا تتجلى ماثرة كل قائد عظيم، بيد ان اخفاق اللاتينيين المطلق في تقديم أي اجراء للمقاومة له تعليل خاص فقد تحطم جيش القدس بكامله بضربة واحدة في ميدان حطين، وليس هذا حسب فكل مدينة وقلعة قد جردت من افضل المدافعين عنها

وفقدت قطعات الجند ، التي بقيت ، قادتها ، لذلك ظل اللاتينيون بلا جيش ، ولا حاميات وافية بالمرام ، وبلا قادة حقيقيين ، وكان ذلك كله نتيجة ذلك اليوم المصيري نفسه . ولا عجب ان يبقى مزيد يضاف الى ذلك . فحالة اليأس التي كانت تتجمع منذ عهد طويل نزلت عليهم فوراً بقوة شلّت قدراتهم . وضاع جيشهم ، ووقع ملكهم أسيراً ، ولكن اسوأ من ذلك كله ان ربهم قد تخلى عنهم لذنوبهم ، وأخذ منهم صليبُهم ، ضمانةُ نصرهم ، فلم يكونوا جديرين به لانهم فقدوا ايمانهم بالمخلّص الذي صلب عليه .

لكي نفهم أهمية معركة حطين وضآلة صلاح الدين التي تجلّت في مواصلة الافادة من نصره الاول من الضروري تتبع تقدمه يوماً بعد يوم في الاسابيع التي تلت ذلك النصر ، في يوم الاحد الخامس من تموز بعد المعركة ، عاد صلاح الدين فدخل طبرية . ولم يكن يحتاج الى ضربة لتامين استسلام قلعتها الهائلة . في طبرية وضع صلاح الدين خططه . فقدّر ان المدن الساحلية يجب ان تكون اول اهداف هجومه . كانت تلك المدن اهم ، لان القدس وحدهما من مدن الداخل كانت ذات حجم مساو لها ، فهي منفتحة لتلقي المساعدة من اوربا وهي اجدى بتامين الاتصال بمصر .

م[كانت عكا اقرب المدن التي حررها صلاح الدين وفرض عليها شروط الاستسلام ، ثم حرر جميع المدن الصغيرة جنوبي عكا ، وجميع المدن جنوبي السهل العظيم وشماليه . ولم تبق إلا صور في ايدي الصليبيين . فقد تعززت فيها قوات من الاسرى والسجناء وسكان تلك المدن والحاميات العسكرية الذين اطلق صلاح الدين سراحهم . وجاءت اليها تعزيزات سفينة صليبية تحمل جنوداً وثروة . وشجع قائد السفينة كونراد من مونتفيرات المدافعين عن صور فاتخذوه قائداً لهم .]

واخيراً صار الطريق مفتوحاً للتقدم نحو القدس ، وسار مرة اخرى جيش من المؤمنين الصادقين لتحرير المدينة المقدسة من ايدي الكفرة . يدفعهم شعور ديني واحساس بالواجب وثقة عالية .

في ٢٠ ايلول اقترب جيش صلاح الدين من الاسوار . كان هجومه من الغرب ولم يكن له اي تاثير . وفي ٢٥ ايلول وضع آلات الحصار الحربية على جهة الشمال حيث كان السور أضعف . وسرعان ما حصل صدع فيه ، فارسلت الحامية رسلًا يسالون عن شروط الاستسلام ، غير ان صلاح الدين اعلن ان القدس يجب الا تحصل على الشروط الطيبة التي منحت للمدن الاخرى .[٣٧] فالمشاهد الدموية التي تميز بها غزو الصليبيين ما تزال عالقة في الذاكرة . هدد صلاح الدين باخذ الثار للمذبحة الرهيبة التي اقترفها الجيش المسيحي . وحين اعلن باليان حاكم نابلس القوي عزم المدافعين . عندئذ خفف صلاح الدين تشدده لانه لم يرغب في رؤية الاماكن المقدسة مخرّبة. ورؤية كل ما له قيمة مدمراً ، وكل امرأة وطفل مذبوحين بايدي المدافعين انفسهم لمنع وقوعهم في يديه . كانت السياسة والانسانية تدعوان الى الاعتدال . وكان صلاح الدين يتمتع بالاثنتين معاً . حددت مبالغ الفدية عن كل رجل وامرأة وطفل ، وقُبل مبلغ ثلاثين الف قطعة ذهب عن عدد معين من الفقراء .[٣٨] وفي ما عدا دفع هذه الفدية فقد سمح في حالات اخرى بنقل جميع الاموال [الممتلكات] . وحتى كنوز الكنائس جردت ونقلت باوامر من البطريرك وحين احتج مستشار صلاح الدين لديه اجاب متفطرساً انه لن يخالف التفسير المسيحي للاتفاقية ؛ ولا يريد ان يظن ان كلمته غير جديرة بالثقة . في يوم الجمعة الثاني من تشرين الاول ١١٨٧ بدأ الخروج من المدينة فوضع المسلمون اليد عليها وطهرت المباني المقدسة واعيدت الامور الى سابق وضعها .. وشكر الناس الله واسرعوا بتقديم نذورهم في المدينة التي ظلت ترزح تحت النير طويلًا ، وامتلات المدينة بسرعة ، وفي يوم الجمعة التالي (٩ تشرين الاول) ، احتفل الناس مرة اخرى على وفق الشعائر الاسلامية في المسجد الاقصى واقيمت الصلاة تحت قبة الصخرة التي بناها الخليفة عمر [هذا خطأ شاع بين الفرنجة انها مسجد عمر (رض) ، بل هي التي بناها عبد الملك بن مروان في سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م في بيت المقدس قرب المسجد الاقصى] كان يوماً مذكوراً عند المصلين المجتمعين . وقد خطب قاضي حلب محي الدين محمد بن زكي الدين في المسجد الاقصى ، وما تزال خطبته في تلك المناسبة محفوظة .

بعد تحرير القدس توقفت العمليات العسكرية ستة اسابيع . كانت الحملة شاقة . وبقيت مسائل التنظيم التي تتطلب الاهتمام والحل . فقد استغرق اخلاء اللاتينيين القدس وقتاً ، وسمح باربعين يوماً لدفع الفدية . وأجيزت المغادرة لاعداد غفيرة دون الم... بين . ولم يكن كونراد يكلف نفسه باستقبالهم في صور لئلا يض... قوته الدفاعية . ورفضت السفن الايطالية في الاسكندرية [يسميها الفرنجة اسكندرون ويسميها المسلمون اسكندرلونه وهي جنوبي صور] رفضت نقل اللاجئين الى أوطانهم ما لم يدفعوا مالًا حتى اجبرهم المسلمون على نقلهم .

دفع فدية ، وهرب آخرون برشوة الموظفين او بوسائل اخرى . وابدى صلاح الدين تسامحاً يفوق ما اعتاده امراء زمانه وحتى مُثُل ذلك الزمان . وكان حرس من الجيش يرافقون اللاتينيين لحمايتهم في طريقهم الى المدن المسيحية . وكانت معاملة صلاح الدين النساء والاطفال اكثر رفقاً من معاملة اخوانهم

الهوامش :

١ ـ برأي بندكت بيتربورو جـ ١ ص ٣٥٩ ان كي جدد معاهدة السلام ثلاث سنوات حين اصبح ملكاً غير ان تاريخ التجديد المعطى هو عيد الفصح سنة ١١٨٦ قبل ان يصبح كي ملكاً وفضلًا عن ذلك فانه اذا كانت معاهدة السلم قد عقدت لمدة اربع سنوات فان امده لم ينته بعد .

٢ ـ [هذا تبرير ستيفنسن لافعال رينالد عن اعماله العدائية] المترجم .

٣ ـ [هونا تبرير آخر منه] المترجم .

٤ ـ ذكر عماد الدين الكاتب في « الفتح القسي في الفتح القدسي » ان ذلك كان في منتصف رمضان (اي ٢٧ آذار) .

٥ ـ نهاية صفر الذي ينتهي في ١٠ آيار ـ عماد الدين وابو شامة

٦ ـ ١٧ ربيع الاول ،

٧ ـ [لم تكن عصابات كما يدعي المؤلف بل كانت مجموعات من المجاهدين في شكل ارتال ضارية] المترجم

٨ ـ تاريخ ارنو وبرنار لو تريسوريه ١٨٧١ ، ص ١٤٥ وفتوح صلاح الدين ، ابن الاثير ، نهاية صفر ٥٨٣ ، ١٠ آيار .

٩ ـ يبين ارنو ، والفتوح ان المسلمين عبروا الاردن في ليلة الخميس وفجر الجمعة .

١٠ ـ يقدرهم كتاب فتوح صلاح الدين للاراضي المقدسة ب ١٣٠ فارساً و ٣٠٠ ـ ٤٠٠ راجل ، ويختلف الرواة الاخرون قليلًا في تقديرهم

١١ ـ يذكر عماد الدين وابن الاثير وبندكت والفتوح وادي صفورية على انه معسكر جزء من القوات الاسلامية ولكن ميدان المعركة غير معين بالضبط . حدده ارنو على بعد فرسخين من الناصرة على طريق طبرية بجانب عين جوزة (كريسون) ، وتمهيد مآثر شيبروا في كاسال روبرت اي (كفر كينا) قرب الناصرة

١٢ ـ فريدريش فيلكن ، يعتقد ان الشكوك كانت مبررة .

١٣ ـ تماماً شرق بحيرة طبرية وشمال غربي المزريب .

١٤ ـ نهاية محرم ٥٨٣ (كمال الدين ابن القديم ، وابو شامة مقتبساً من بهاء الدين يوسف بن شداد ٩ صفر ، ٢٠ نيسان على انه تاريخ مغادرتهم حلب في حملتهم .

١٥ ـ هنا برأي بهاء الدين ابن شداد . نص « مجموع تواريخ الحروب الصليبية » خطأ . كان الهجوم على انطاكية واقاليم ارمينيا كما يبين نص ابي شامة مقتبساً من بهاء الدين ابن شداد . يطلق بهاء الدين على روبين اسم ابن لاون ، ابن ليو ، خلفه اخوه ليو العظيم (١١٨٧ ـ ١٢١٩) ويقول بهاء الدين انه ابن اخيه .

١٦ ـ بهاء الدين ابن شداد ، سيرة صلاح الدين .

١٧ ـ ١٥ ربيع الثاني ـ ابو شامة عن بهاء الدين ابن شداد

١٨ ـ ابن الاثير (الفرسان) ، عماد الدين كما اقتبسه ابو شامة (مدججون) اي نظاميون)

١٩ ـ اقل تقدير تعطيه المصادر الغربية هو ٢٥٫٠٠٠ ، ولعلها تكون مقاربة للحقيقة . ويبدو ان اعلى رقم هو ٧٠٠٫٠٠٠ .

٢٠ ـ الجمعة ١٧ ربيع الثاني ، بهاء الدين ابن شداد .

٢١ ـ يذكر ابو شامة وعماد الدين وابن الاثير الاقحوانة ، ويذكر بهاء الدين الصنبرة [ولذلك يذكر المؤلف ستيفنسن الاقحوانة او الصنبرة . فقد اتخذت قوات صلاح الدين منطقة الاقحوانة قاعدة لها وعبرت جسر الصنبرة . فالصنبرة اذن جزء من منطقة الاقحوانة] المترجم .

٢٢ ـ هذا برأي ابي شامة وبهاء الدين ، اما عماد الدين وابن الاثير فقد ذكرا ان قواته بقيت خمسة ايام .

٢٣ ـ يذكر عماد الدين وابن الاثير تاريخ اليوم انه الخميس ٢٣ ربيع الثاني ، ويذكر فتوح صلاح الدين الخميس ٢٠ تموز ، اما بهاء الدين فلم يذكر يوماً معيناً . وكان ابن الاثير وحده قد حدد ان الهجوم حدث في المساء . اما كمال الدين ابن العديم فيذكر ان طبرية فتحت في الساعة الواحدة في صباح الجمعة .

٢٤ ـ نقل ذلك فتوح صلاح الدين وارنو وابن الاثير ، ولعل تأكيد الاولين حجة ان الحاجة الى الماء كانت نتيجة تجارب فعلية لدى اللاتينيين . وقد اخطأ عماد الدين في افتراضه ان ريمون حث على التقدم [الهجوم] غير ان القول نفسه ورد في رسالة من جنوا الى البابا وهي اقدم الوثائق عن المعركة .

٢٥ ـ لعل القوة كانت تتكون من ٢٠٫٠٠٠ في الاقل . وكان تقدير ابي شامة ٢٣٫٠٠٠ ، ودليل سجلات ريجارد (المخطوط) اكثر من ١٠٠٠ فارس واكثر من ٢٠٫٠٠٠ راجل ، اما فتوح صلاح الدين فهو ١٢٠٠ فارس واكثر من ١٨٫٠٠٠ راجل .

٢٦ ـ ان لم تكن هذه الكلمات موثوقة فانها تعبر عن نفسية ريनالد . نقلها ابن الاثير ، ولعلها جاءت من مصدر جيد

٢٧ ـ وصلت ابناء تقدم اللاتينيين الى المسلمين عند ساعة صلاة الفجر ، اي قبل طلوع الشمس (ابو شامة) .

٢٨ ـ يذكر ابو شامة وارنو والفتوح يوم الجمعة ٣ تموز ، وعماد الدين جعل هجوم اللاتينيين يوم الخميس ، واما لاندنبرك فيذكر الخميس ١٤ ربيع الثاني ، وجعل بهاء الدين التقدم والمعركة يوم الخميس .

٢٩ ـ ابو شامة

٣٠ ـ جعل بهاء الدين المعركة في اليوم الثاني تقع في اطراف لوبيا ، ويسمى الفتوح المكان الذي جرى فيه التقدم Marescalciae ومن الواضح انها التي يسميها دليل سجلات ريجارد Marecallia An broses Mamschaucie

٣١ ـ ارنو

٣٢ ـ هما ملكا النار ـ الجنة ، عماد الدين

٣٣ ـ فتوح صلاح الدين للاراضي المقدسة

٣٤ ـ قبل ان يحرق العشب

٣٥ ـ صار هذا الهرب بطبيعة الحال مناسبة جديدة لكيل التهم بالخيانة التي راح يكيلها اليه الكتاب في ما بعد . ولكن ليس ثمة سند في المصادر العربية تؤيد ذلك . ينتهي دور ريموند في التاريخ عند هذه النقطة ، فقد مات بعد ثلاثة اشهر من المعركة في رجب ٥٨٣ / ٦ ايلول ـ ٥ تشرين الاول ١١٨٧ بعد فتح القدس في ٢ تشرين الاول ١١٨٧ ، يقول رالف دي ديسيتو انه توفي بعد خمسة عشر يوماً من فتح القدس . وقد مكث بعد هربه بعض الوقت في صور . ولم يُسجل شيء آخر عنه في تلك الفترة .

٣٦ ـ يذكر عماد الدين السبت ٢٥ ربيع الثاني ، وابن الاثير يذكر ان المعركة وقعت قبل خمسة ايام من نهاية شهر ربيع الثاني .

٣٧ ـ يبدو انه قدم شروطاً مرتين ـ مرة عندما اخذت عسقلان (ارنو) ومرة اخرى عندما عسكر امام المدينة (ارنو) هذه العروض تنسجم مع سياسة صلاح الدين خلال هذه المدة ، غير ان المصادر العربية لا تذكر شيئاً عنها .

٣٨ ـ يقول ارنو ان العدد ٧٠٠٠ وهو مؤكد في رسالة صلاح الدين في تاريخ البطريرك الكسندر (واقتبسها بلوشيه) . امرأتان وعشرة اطفال كلهم يعدون شخصاً واحداً . ويبدو ان العدد الكلي الذين اطلقوا ازداد بتسريح بعضهم دونما دفع اي شيء ، يقول عماد الدين ان ١٨٫٠٠٠ سرحوا ويقول عماد الدين ان ١٥٫٠٠٠ لم يدفع عنهم فدية اما ارنو فيذكر ان عددهم ١١٫٠٠٠ .

القدس في مشاريع

تقسيم فلسطين

أ . د . طاهر خلف البكاء
كلية التربية ـ الجامعة المستنصرية

القدس تلك المدينة المقدسة لدى الديانات الرئيسة الثلاث ، تعرض تاريخها القديم الى التحريف والتزوير من اليهود الذين اغتصبوا هذه المدينة بالقوة من أصحابها الشرعيين ، وسيطروا عليها قرابة قرنين ونصف[1] . ثم قاموا في القرن العشرين بالاستناد الى توارتهم المزور ، واغتصابهم السابق فادعوا حقاً لهم في هذه المدينة ، والبلاد التي تشرفت بها . فكانت المدينة المقدسة عقدة العقد في القضية الفلسطينية التي شغلت الدنيا في القرن العشرين ، وماتزال تلك القضية ، وهذه المدينة إحدى أهم القضايا الساخنة ، التي تهدد السلام في العالم بشكل عام وفي المنطقة العربية بشكل خاص .

وقد التقت الأطماع الصهيونية بالمصالح الاستعمارية الغربية ، وتضافرتا في مطلع هذا القرن للسيطرة على المشرق العربي بشكل عام ، وفلسطين بشكل خاص . فكان (وعد بلفور) الخطوة الاولى ، والتعهد العلني لتحقيق الاطماع الصهيونية . وكانت الخطوة العملية في هذا الاطار أن وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني في مؤتمر الصلح بباريس ١٩١٩ ، واجتماع الحلفاء في سان ريمو ١٩٢٠ .

ولم تخف بريطانيا الدولة المنتدبة نواياها اتجاه فلسطين فاعلنت عن خطتها في تاسيس الوطن القومي لليهود في الرسالة التي بعثها ملك بريطانيا الى الشعب الفلسطيني ، بعد أن قرر أن تتولى بلاده الانتداب على فلسطين ، والتي جاء فيها :

« لا يخفى عليكم أن الدول المتحالفة والمتعاهدة قررت أن تتخذ التدابير المتضمنة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين بالتدريج »[2]

وقد عمل الصهاينة ـ لتبدو خطواتهم الاستعمارية اللاحقة خطوات قانونية وشرعية ـ على تضمين أهدافهم في صك الانتداب الذي اقترن بموافقة عصبة الامم ، إذ استطاعوا ادخال (وعد بلفور) في مقدمته ، وقد نصت مادته (الثانية) على مسؤولية بريطانيا عن انشاء الوطن القومي لليهود ، واعتراف سلطة الانتداب بالوكالة هيئة رسمية تمثل اليهود ، وتُسهم في إدارة شؤون البلاد ، وتُسهِّل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وضمان حصولهم على الجنسية الفلسطينية ، واتباع نظام اراضٍ يتفق مع سياسة زيادة تدفق المهاجرين الى فلسطين ، وعد اللغة العبرية لغةً رسمية في فلسطين الى جانب الانجليزية والعربية[3] .

استطاعت الحركة الصهيونية بالتعاون مع المندوب السامي تحشيد المهاجرين اليهود في فلسطين ، والاستيلاء على الاراضي ، وخلال سبع عشرة سنة ارتفع عدد اليهود في فلسطين من (٥٦) الفاً عام ١٩١٨ الى (١٥٧ , ٣٥٥) عام ١٩٣٥ ، ونقلت مساحات واسعة من أراضي فلسطين الى اليهود . اما بالشراء أو عن طريق المصادرة ، ومنحت سلطان الانتداب بعض الشركات الصهيونية مساحات من أراضي فلسطين مجاناً[4] .

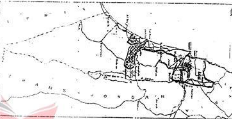
أدت سياسة سلطات الانتداب هذه ، والهجرة اليهودية ، وانتقال الاراضي بشكل واسع الى المهاجرين الجدد الى قيام « ثورة » ١٩٣٦ في فلسطين[5] . الامر الذي أقلق السلطات البريطانية ، فارسلت لجنة لتقصي أسباب تلك الثورة ، ووضع المعالجات لمنع تكرارها وعرفت اللجنة باسم « اللجنة الملكية لفلسطين » وقد تشكلت في (١٧) آب ١٩٣٦ برئاسة اللوردبيل (Peel) وعرفت اللجنة باسم رئيسها ، وبعد اجراء لقاءات مع العرب والصهاينة ، ودراسة الحالة ميدانياً ، تدمت اللجنة تقريرها بعد ستة أشهر من مغادرتها فلسطين في ١٧ كانون الثاني ١٩٣٧ ، والذي عُرف بالكتاب الابيض رقم (٥٤٧٩) لسنة ١٩٣٧[6] . ، واقترحت فيه للمعالجة ، اعتماد نظام المقاطعات ، الذي تصبح بموجبه فلسطين عبارة عن ولايات أو مقاطعات تتمتع بالحكم الذاتي ، وتقوم بريطانيا « الدولة المنتدبة » مقام الحكومة المركزية أو حكومة الاتحاد ، وهي مسؤولة عن السياسة الخارجية والدفاع والكمارك والبريد والبرق .

وقد كانت القدس ، والمناطق الاخرى ذات القدسية المجاورة لها ، عقبة في طريق الحل ، فإذا كانت الاغلبية السكانية هي التي تحدد هوية المقاطعة ، عربية كانت أم يهودية ، فان الامر اختلف في (القدس) ، فقد أوصت اللجنة ان تدير القدس، وبيت لحم ، وميناء حيفا حكومة الانتداب مباشرة(٧) .

طرحت اللجنة حلاً بديلاً ، اكثر واقعية من وجهة نظرها ، وهو تقسيم فلسطين الى دولتين إحداهما : عربية ، وأخرى يهودية ، أما القدس وبيت لحم والناصرة وحوض بحيرة طبريا فتكون منطقة انتداب دائم ، تربط بممر يصل مدينة القدس وبيت لحم بمدينة يافا ماراً باللد والرملة(٨) . وقد أغفلت اللجنة الحقيقة التي أقرتها في تقريرها ، وهي أن عدد السكان العرب في القدس كان قد بلغ (٨٥) ألفاً في حين كان اليهود لا يتجاوزون ١٢,٢٢٠٠ يهودياً . ويقع على عاتق بريطانيا أيضاً المحافظة على الاوقاف والاماكن المقدسة ـ لدى العرب واليهود ـ الواقعة في أراضي الدولتين العربية واليهودية المقترحتين(٩) . ووضعت اللجنة خارطة لمشروعها خارطة رقم (١) .

إنحاء فلسطين وشرق الاردن ، وبعد جمع المعلومات التي أرادت جمعها ، غادرت فلسطين في الثالث من آب ١٩٣٨ ، ونشرت تقريرها في لندن باسم الكتاب الابيض رقم (٥٨٥٤) لسنة ١٩٣٨ وذلك بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٣٨(١٢) .

وقد أوصت اللجنة الفنية برفض مشروع التقسيم الذي اقترحته اللجنة الملكية ، للمعوقات الكبيرة التي تحول دون تنفيذه ، وطرحت مشروعين آخرين أحدهما : معدل لمشروع اللجنة الملكية ، الذي لم يحظ الا بموافقة عضو واحد من اعضائها الاربعة ، والاخر : وهو مشروع الاكثرية ، الذي اخرج مساحات واسعة من الدولتين العربية واليهودية ، وضمها الى منطقة الانتداب البريطاني ، وبذا أصبحت القدس ، والمناطق المقدسة الاخرى ، ومساحة أوسع من الاراضي الزراعية حول القدس ، وصولاً الى البحر المتوسط عند مدينة حيفا ، بموجب هذا المشروع ، تحت الانتداب البريطاني الدائم ، وقد عُدَّ العرب في منطقة القدس بحوالي ٤٠٠ ، ٢١١ نسمة ، واليهود فيها حوالي



خارطة رقم « ١ »

استقبل العرب قرار اللجنة الملكية بالرفض والاستنكار مما أدى الى تصاعد الثورة(١٠) . أما الصهاينة فعلى الرغم من فرحهم بماذهبت اليه اللجنة ، إلا انهم طبقاً لاطماعهم التوسعية يرون أن فلسطين لابد ان تكون باجمعها دولة يهودية(١١) ، وأمام هذا وارتفاع الخسائر في صفوف البريطانيين في فلسطين ، ولوضع حدود الدولتين العربية واليهودية بشكل نهائي ، شكل وزير المستعمرات البريطاني في اذار ١٩٣٨ لجنة فنية برئاسة جون وود هيد (John wood head) ، وقد عرفت اللجنة باسم رئيسها ايضاً فكان لها رأي آخر يختلف عن اللجنة الملكية السابقة .

القدس واللجنة الفنية :

غادرت اللجنة لندن في ٢١ نيسان ١٩٣٨ ، ووصلت القدس في ٢٧ منه ، ومن المدينة المقدسة قامت بجولات في



خارطة رقم « ٢ »

٨٠ ألف نسمة ، ويمتلك العرب فيها ١,٤٨٥,٢٠٠ دونم ، ولليهود فيها فقط ٧٨,٧٠٠ دونم[١٣] ، وأوصت اللجنة انشاء اتحاد كمركي بين الدولتين العربية واليهودية ، ومناطق الانتداب بما فيها القدس ، وبهذا لم يختلف موقف لجنة وود هيد عن اللجنة الملكية ، اذ اهملت هي الاخرى الغالبية العربية في المدينة ، كما اهملت ملكية العرب المطلقة للأراضي فيها ، والخارطة رقم (٢) التي وضعتها اللجنة لمناطق فلسطين المقترحة توضح ذلك .

رفض العرب مشروع التقسيم الجديد ، وقالوا : إنه ولد ميتاً[١٤] ، وإنه باطل . أما الصهاينة فقالوا : انهم لا يقبلون أيّ مشروع لا يشمل حيفا والجليل وقسماً من القدس[١٥] . كما ان بريطانيا عدلت عنه بعد ان لاحت في الافق بوادر حرب عالمية جديدة .

ونتيجة لفشل سياسة التقسيم ، والوضع الدولي المتأزم في أوربا ، وحاجة بريطانيا الى ان يقف العرب الى جانبها في ظل الوضع الدولي الجديد ، دعت حكومتها ، الحكومات العربية المستقلة أنذاك ، وهي : العراق ومصر والسعودية ، واليمن ، وإمارة شرق الاردن ، وعرب فلسطين مع الصهاينة لعقد مؤتمر في لندن[١٦] ، غير ان تقاطع الأهداف والمصالح ادى إلى فشل المؤتمر في الخروج باية نتيجة ، مما دفع الحكومة البريطانية الى اصدار الكتاب الابيض في (٧) آيار ١٩٣٩[١٧] إلا انه لم يدخل حيز التنفيذ بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية ، مما عطل كل الجهود الرامية الى تقسيم فلسطين .

فلسطين بعد الحرب :

ما ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى أصدرت الحكومة العمالية البريطانية بياناً في ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥ ، تضمن اقتراحاً بتشكيل لجنة تحقيق انكلو ـ امريكية ، والدعوة الى وضع فلسطين تحت نظام الوصاية الدولية .

ثم قامت اللجنة بزيارة فلسطين ، واستمعت الى إفادات الفرقاء ، وبعد ان أنهت مهمتها غادرت فلسطين في ٢٨ آذار ١٩٤٦ ، وفي لوزان اصدرت توصياتها التي من غريبها قولها : « لا نعرف بلداً آخر تتمكن الاكثرية الساحقة من هؤلاء اليهود أن تهاجر اليه غير فلسطين »[١٨] .

ومن الغريب أيضاً ما جاء في الفقرة الثالثة من توصياتها التي نصت على انه « يجب أن يضمن بموجب ضمانات دولية حماية مصالح الديانات الثلاث في الارض المقدسة ورعايتها » ، لكن الاغرب منه هو تعليق اللجنة على هذه الفقرة بقولها : « ان فلسطين أرض مقدسة في نظر أصحاب الديانات الثلاث على السواء ، فهي ليست ولا يمكن ان تكون ملكاً لاي شعب على انفراد ، ولذلك ليس من العدل في شيء ان تصبح فلسطين دولة عربية تهيمن فيها اكثرية عربية على مقدرات أقلية يهودية »[١٩] .

وبينما كانت الحكومتان البريطانية والامريكية تتبادلان وجهات النظر بتوصيات اللجنة الانكلو ـ امريكية ، أعلن هربرت موريسون رئيس مجلس اللوردات البريطاني في (٣١) تموز ١٩٤٦ مقترحاً جديداً للحكم الذاتي تضمن تحويل الانتداب الى وصاية ، تقسم بموجبه فلسطين الى مناطق ادارية تتمتع بالحكم الذاتي ، وتخضع لاشراف حكومة مركزية .

كان وضع القدس في هذا المقترح ، ان اصبحت مقاطعة تشمل مدينة القدس وبيت لحم وضواحيهما المباشرة ، ويُنشأ مجلس في القدس له صلاحيات المجلس البلدي ، ينتخب معظم اعضائه انتخاباً ، وللمندوب السامي تعيين عددٍ منهم[٢٠] .

وتنفيذاً لهذه الفكرة دعت الحكومة الى عقد مؤتمر في لندن ، حضرته وفود من : العراق ، ومصر ، والسعودية ، واليمن ، وشرق الاردن ، وسوريا ، ولبنان وأمين عام الجامعة العربية ، والوكالة اليهودية ، وممثلين عن يهود بريطانيا وفلسطين ، ولم يحضر وفد فلسطين ، بسبب اصرار الحكومة البريطانية على حقها في اختيار تشكيلة الوفد الفلسطيني[٢١] .

ونظراً لتعارض وجهات النظر بشكل حاد أجّل المؤتمر الى (٢٧) كانون الثاني ١٩٤٧ ، وعند استئناف جلساته ، ظهر الخلاف مرة اخرى بين الفرقاء ، بعد ان طرح « بيفن » وزير خارجية بريطانيا مشروعاً يلغي مشروع موريسون ، ويطرح بدلاً منه استمرار الانتداب لمدة خمس سنوات أخرى تنشا خلالها حكومات ومجالس محلية عربية ويهودية تتمتع باستقلال ذاتي[٢٢] .

قوبلت مقترحات بيفن بالرفض من العرب واليهود ، وهكذا أوصلت بريطانيا مؤتمر لندن الى طريق مسدود ، وكان هذا المؤتمر أخر المؤتمرات التي عقدت في ظل الانتداب البريطاني ، حيث أعلن بيفن في (١٤) شباط ١٩٤٧ رسمياً قرار حكومته باحالة القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة[٢٣] .

قرار التقسيم ١٩٤٧ :

شكلت الامم المتحدة ، بناء على ما تقدم ، اللجنة الخاصة بفلسطين « ينسكوب » بقرارها ذي العدد (١٠٦) في ١٥ أيار ١٩٤٧ ، وقد وصلت اللجنة الى فلسطين ١٤ /١٥ حزيران من العام نفسه ، وبعد اجراء مسح للواقع ، واجراء مقابلات ، أعلنت توصياتها في (٣١) آب ١٩٤٧ ، وقدمت مشروعين المهم فيهما ، مشروع الاكثرية : الذي نص على تقسيم فلسطين الى مناطق ثلاث ، دولتين إحداهما عربية ، واخرى يهودية ، ومنطقة القدس .

كما نص مشروع الاكثرية على وضع القدس التي يقطنها ١٥٠ ألف عربي ومائة ألف يهودي تقريباً تحت نظام الوصاية الدولية وقيام مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة بتعيين حاكم القدس العام ، على ان لا يكون عربياً أو يهودياً ، كما يجب أن لا تكون هذه المنطقة ، محصنة او منطقة عسكرية ، وان يدخل الاتحاد الاقتصادي المشترك بين الدولتين العربية واليهودية[٢٤] .

أما مشروع الاقلية ، فقد نص : على إقامة دولة اتحادية في فلسطين تتكون من حكومتين مستقلتين استقلالاً ذاتياً ، أحداهما : عربية واخرى : يهودية : وتكون القدس عاصمة لهذه

الدولة ، مع ضمان حرية المرور للاماكن المقدسة[35] .

وقد ناقشت الامم المتحدة المشروعين ، اللذين قوبلا برفض الهيأة العربية العليا ، التي اكدت أن الحل المطروح لا يتوافق مع شرعية الامم المتحدة ومبادئها[36] ، في حين أعلنت الوكالة اليهودية رفض مشروع الاقلية ، وقبول مشروع الاكثرية ، واستعداد اليهود لضمان القوة اللازمة لحفظ الامن وملء الفراغ[37] .

بعد مناورات وتأجيل وضغوط مارستها الولايات المتحدة على الجمعية العامة للامم المتحدة ، عقدت الأخيرة اجتماعها ذي العدد (١٢٨) في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ للتصويب على مشروع الاكثرية بعد استبعاد المشروع الاخر ، ففاز باغلبية (٣٣) صوتاً ، ورفض ١٣ مندوباً ، وامتناع عشرة عن التصويت[38] .

ونص قرار الأمم المتحدة ذو العدد (١٢٨) في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ على ان تكون القدس كياناً منفصلاً خاضعاً لنظام دولي خاص ، تتولى الامم المتحدة ادارته ، وتعين له مجلس وصاية يقوم باعمال السلطة الادارية نيابة عن الامم المتحدة ، ويقوم بوضع دستور للمدينة خلال خمسة أشهر من الموافقة على المشروع ، وفي مدة أقصاها الاول من تشرين الاول ١٩٤٨ ، وتكون مهمات السلطة الادارية حماية المصالح الروحية والدينية ، ودعم روح التعاون بين سكان المدينة . أما حاكم المدينة فيعينه مجلس الوصاية ، ويكون مسؤولاً امامه ، واشترط القرار ان لا يكون « الحاكم » مواطناً من أيٍّ من الدولتين العربية واليهودية ، بل ممثلاً عن الامم المتحدة في مدينة القدس ، يمارس جميع السلطات الادارية ، على ان تعاونه مجموعة من الموظفين الاداريين الذين يعدّون موظفين دوليين .

وقد اشترط المشروع لتسهيل ادارة شؤون منطقة القدس الدولية إعلان حيادها ، وتجريدها من السلاح ، وعدم السماح لأي نشاط عسكري في ضمن حدودها ، ونص القرار على انتخاب مجلس تشريعي بالاقتراع السري ، وعلى اساس التمثيل النسبي لسكان القطاع البالغين ، توكل اليه سلطة التشريع ، وتحديد الضرائب ، كما نص على انشاء نظام قضائي مستقل أيضاً وضمان حرية الدخول والاقامة بضمن حدود المدينة للمقيمين في الدولتين العربية واليهودية ، وجعل العربية والعبرية لغتي المنطقة الرسميتين ، ويجوز إستعمال بلغات أخرى ، كما أصبح جميع المقيمين في القدس مواطنين فيها ـ بموجب قرار التقسيم ـ مالم يختاروا جنسية الدولة التي كانوا من رعاياها .

وتكونت حدود القدس الدولية من بلدية القدس بحدودها المعروفة آنذاك ، فضلاً عن القرى المجاورة وأبعدها شرقاً ، أبو ديس ، وجنوباً بيت لحم ، وغرباً عين كارم ، وتشمل معها المنطقة المبنية من قرية قالونيا[39] . وأرفقت الامم المتحدة قرارها بالخارطة رقم (٣) .

أدى صدور قرار التقسيم الى نشوب أعمال عنف ومجازر وحشية رهيبة قام بها الصهاينة ضد العرب ، وفي الوقت الذي اعلن العرب فيه رفضهم للقرار المذكور ، تمسك الصهاينة به ،



خارطة رقم « ٣ »

واعلنوا في الاسبوع الاول من أيار ١٩٤٨ ، خلال انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة تمسكهم به ، وان حكومتهم المؤقتة تبدأ عملها بالتعاون مع مندوب الأمم المتحدة في مدة اقصاها ١٦ أيار ١٩٤٨[40] ، وقد أعلن الصهاينة قيام دولتهم اللقيطة يوم ١٤ أيار ١٩٤٨[41] ، قبل يوم واحد من مغادرة المندوب السامي البريطاني نهائياً فلسطين .

وقد ردت الدول العربية على قرار التقسيم ، وانسحاب

المندوب السامي ، واعمال الارهاب التي قامت بها العصابات الصهيونية ، بدخولها الحرب ضد الصهاينة في ١٥ أيار ١٩٤٨ ، والتي ادت الى نتائج مخزية ، فارسلت الامم المتحدة وسيطاً دولياً هو السويدي الكونت فولك برنادوت ، بصلاحيات واسعة تعيد النظر في التقسيم والتوصية[٢١] .

وبعد سلسلة من المشاورات قدم برنادوت مشروعه في ٢٧ حزيران ١٩٤٨ ، الذي أدخل من خلاله تعديلات مهمة على القرار الدولي ، نعل أبرزها وسو مايهم هذه الدراسة في جعل القدس منطقة دولية تقع داخل الدولة العربية ، وضم النقب كلها الى الدولة العربية أيضاً ، الامر الذي ادى الى اغتياله في القدس من العصابات الصهيونية في ١٧ أيلول ١٩٤٨[٢٢] .

ولم تكتف القوات الصهيونية باحتلال الاراضي المخصصة للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم بل احتلت أجزاء من الاراضي المخصصة للدولة العربية ، وجزءاً من منطقة مدينة القدس ، وقامت في عدوان ٥ حزيران ١٩٦٧ باحتلال الضفة الغربية كلها بمافيها القدس ، وغزة ، والجولان وسيناء .. وبعدها ضمت القدس الى الدولة الصهيونية ، واتخذتها عاصمة لها . واليوم وفي ظل التسوية الاستسلامية الحالية تشكل القدس عقدة العقد ، لذلك حرص المتفاوضون في أوسلو ومدريد على تأجيل مناقشتهما الى المرحلة النهائية التي لم تبدأ بعد .

■ الهوامش والمصادر ■

١ ـ ينظر : د . عواد مجيد الاعظمي ، تاريخ مدينة القدس ٣٠٠٠ ق . م ـ ١٠٩٩ م ، بغداد ، ١٩٧٢ ص ص٤٩ ـ ٥٦ .

٢ ـ جامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسة في القضية الفلسطينية ، المجموعة الاولى وثيقة رقم (٢٦) ، ص ١٢٢ .

٣ ـ ينظر النص الكامل لصك الانتداب في :ـ
المصدر نفسه ، ص ص ١٢٨ ـ ١٣٨ .

٤ ـ طاهر خلف البكاء ، مشاريع تقسيم فلسطين ١٩٣٦ ـ ١٩٤٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ١٩٨٣ ، ص٢٢

٥ ـ عن الثورة ينظر :
مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، جمعية صندوق فلسطين ، بغداد ، وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٧٦ .

٦ ـ الحكومة البريطانية ، تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، مطبعة حكومة فلسطين ، د . ت ص٥٢ .

٧ ـ المصدر نفسه ، ص٤٩٦ ـ ٥١٣ .

٨ ـ المصدر نفسه .

٩ ـ المصدر نفسه ، ص٤٩٩ .

١٠ ـ عوني عبد الهادي ، أوراق خاصة ، إعداد خيرية قاسمية ، بيروت ١٩٧٤ ، ص٨٨ .

١١ ـ طاهر خلف البكاء ، المصدر السابق ، ص٧١ .

١٢ ـ تقرير لجنة التقسيم ، القدس ، بلا

١٣ ـ المصدر نفسه ، ص ص١٤٧ ـ ١٤٨ ؛ طاهر خلف البكاء ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

١٤ ـ يوميات اكرم زعيتر ، الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٥١٤ .

١٥ ـ تقرير لجنة التقسيم ... ص ٢١٦

١٦ ـ أميل توما ، جذور القضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٢ ، ص٢٧٢ .

١٧ ـ الوثائق الرئيسة ، م ١ ، وثيقة رقم ٣٨ ، ص ص ٣١٠ ـ ٣٢٢ ـ

١٨ ـ المصدر نفسه ، م١ ، وثيقة رقم ٤٦ ، ص ص ٣٦٢ ـ ٣٧٧ .

١٩ ـ المصدر نفسه ، م ١ ، ص٣٦٧

٢٠ ـ المصدر نفسه ، م ١ ، ص ص٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

٢١ ـ الحكومة البريطانية ، تاريخ فلسطين تحت الادارة البريطانية ، ترجمة د . فاضل حسين بغداد ١٩٥٦ ، ص٦١ ؛ طاهر خلف البكاء ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

٢٢ ـ بيان نويهض الحوت ، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨١ ، ص٥٦٤ ـ

٢٣ ـ المصدر نفسه ، ص٥٦٥ ـ

٢٤ ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، قرارات الامم المتحدة بشان الصراع العربي الاسرائيلي ، ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

٢٥ ـ الوثائق الرئيسة ، م٢ ، ص١١٧ ؛

٢٦ ـ John and Hadawi , The Palestine Diary 1914 – 1948 . Beirat , The P . L . O .Palestine Research centke , Vol .III , p .195 – 198 ; بيان نويهض الحوت ، المصدر السابق د ص ٥٧٥

٢٧ ـ نلاح خالد علي ، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨٠ ص٢٥٧ .

٢٨ ـ قرارات الامم المتحدة ... ص ١٦ .

٢٩ ـ المصدر نفسه ، ص١٧ .

٣٠ ـ احمد طربين ، قضية فلسطين ١٨٩٨ ـ ١٩٤٨ ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٩١١ .

٣١ ـ لان يوم ١٥ آيار يصادف يوم السبت فقد اعلن قيام دولة اسرائيل يوم ٤ أيار إلا ان يوم ١٥ آيار هو اليوم الرسمي لقيام هذه الدويلة المزعومة .

٣٢ ـ الهياة العربية العليا ، قضية فلسطين ، المؤامرة الكبرى على تقسيم فلسطين وتدويل القدس ، بغداد ١٩٦٢ ، ص١٩ .

٣٣ ـ عارف العارف ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢ ، ج٣ بيروت ، بلا ، ص٥٧٢

دور الكوفة في علم القراءات

ومدرسة
عبد الله بن مسعود

أ . د . أحمد نصيّف الجنابي

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل :

أسس الخليفة الراشد : عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ) ، رضى الله عنه ، مدينة الكوفة (سنة ١٧ هـ) . وأرسل اليهم مرشداً ومعلّماً ، عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ) ، وأرسل الى أهل الكوفة رسالة يقول فيها : (لقد اثرتكم به على نفسي) .

لقد أقام (إبن مسعود) ، رضي الله عنه ، صرح مدرسة علمية قرآنية - فقهية ، والتفّتْ حوله كوكبة من نابهي أهل الكوفة ، سيجد القارىء تفاصيلها في القسم الاول من البحث .

ويعد البحث اشادة بجهود الاستاذ الاول لاول جامعة في الكوفة : الحافظ المفسّر الفقيه : عبد الله بن مسعود ....

وجاء البحث في ثلاثة اقسام وخاتمة :

الاول : مدرسة ابن مسعود ، وملامحها الفكرية

والثاني : دور الكوفة في فنّ القراءات .

والثالث : اسهام الكوفة في حركة التاليف ، في علم القراءات .

والفرق بين فن القراءات وعلمها ، ان الاول يؤخذ شفاها ، ويُعطى اداء . والاخر : تنظيري ، يضع القواعد والاصول ، واللمسات الدقيقة .

والله أسأل ان يوفقني الى العمل ، من أجل لغة القرآن العظيم وعلومه .

والحمد لله على نعمه السابغات

وهو حسبي ونعم الوكيل .

★ القسم الاول ★

مدرسة ابن مسعود
وملامحها الفكرية

كانت السنة السابعة عشرة للهجرة بداية عهد علمي جديد ، ليس في الكوفة وحدها ، وانما في العراق كله ، ثم في العالمين العربي والاسلامي .

لقد شاء الله ان تُبنى الكوفة بامر الخليفة الراشد : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، لتكون مدينة القراءة والاقراء ، وان يرسل « عمر » الى الكوفة الصحابي الجليل ابن مسعود (ت ، ٣٢ هـ) ... ليكون له شان فيها .. وقد أدرك « عمر » كفاية هذا الرجل فقال في رسالته الى اهل الكوفة : (لقد آثرتكم به على نفسي)[١] .

ولا نعلم دلالة هذا النص حتى نعرف ان « أبن مسعود » كان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً احكامه ، وكان الى جانب ذلك ، حسن الصوت ، حتى شهد له الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فقال : (مَنْ أحَبّ أنْ يقرأ القرآن غَضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أمّ عبد)[٢] .

وروى « مسلم » في « صحيحه » عن أبي مسعود أنه قال : (والله لا أعلم أحداً تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعلم بكتاب الله من هذا ، وأشار الى أبن مسعود)[٣] .

وقد وصفه أستاذ القراءات - في عصره - أبنُ الجزَرَيّ - فقال ، في وصفه : (هو الامام في تجويد القرآن وتحقيقه

وترتيله ، مع حسن الصوت)[4] .

وظل يُقرىء في خلافة عمر بن الخطابُ « رضي الله عنه » (من سنة ١٣ - ٢٣ هـ) ، وخلال تسع سنين من خلافة عثمان « رضي الله عنه » ، وتوفى سنة ٣٢ هـ .

والاثر الكبير الذي تركه « أبنُ مسعود » يتجلى في ميدان « الاقراء » ، وهو يُعدّ - بحقّ - رائد اول مدرسة للاقراء في عالمنا الاسلامي ، وهو اول استاذ في هذه المدرسة . وقام (بعده) بهذه المهمة تلاميذه الذين اخذوا عنه القراءة . وقد استطعت - بحمد الله - ان احصي عددهم - بعد جولة في ربوع المصادر - فكانوا ثلاثة عشر .

ويمكن تقسيمهم ثلاث مجموعات

المجموعة الاولى : الذين تفرغوا للقراءة . وسميتهم : (المقرئين) .

المجموعة الثانية : الذين اقرأوا وافتوا ، وسميتهم : (القراء الفقهاء) .

المجموعة الثالثة الذين اقرأوا ورووا الحديث ، وسميتهم :(القراء المحدِّثين) .

★ المجموعة الاولى : المقرئون ★

وهؤلاء جعلوا القراءة وكدهم وهمّهم ، ولم يُشغلوا بغيرها ، وهم خمسة أعلام :

(اولهم) : الاسود بن يزيد بن قيس النخعيّ (المتوفى ٧٥ هـ) .

وقد وصفه الذهبي : بأنه « الامام القدوة »[5] . وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد ، ووالد عبد الرحمن بن الاسود ، وأبن أخي علقمة ابن قيس ، وخال ابراهيم النخعيّ

ويعدون من رؤوس العلم والعمل [6] . فهم أهل بيت كريم .

أخذ الاسود القراءة (عَرْضاً)[7] ، عن أبن مسعود .

أما الذين قرؤوا عليه من أهل الكوفة فهم : ابراهيم بن يزيد النخعيّ ، وابو اسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعيّ ، ويحيى بن وثاب [8] .

وصف تلميذه وابن اخته ابراهيم النخعي ، قراءته ، فقال : « كان الاسود يختم القرآن في كل ست ليالٍ ، وفي رمضان في كل ليلتين »[9] .

وهذا ليس بعيداً عمن جعل الله القرآن ربيع قلوبهم ونور ابصارهم وشفاء صدورهم !

واذا كان الجزاء من جنس العمل ، فان الله تعالى رزق امثال الاسود النخعيّ ، حسن الذكر في الدنيا « وهذا مما يعجّلُ الله به من الثواب » فصار من مشاهير علماء الكوفة ومن ثقاتهم [10] .

وثانيهم : الربيع بن خُثَيم بن عائذ ، ابو يزيد الكوفي الثوري . (المتوفى سنة ٦٣ هـ)

وقد وصفه « أبنُ حبّان » في كتابه : « مشاهير علماء الامصار » بقوله : (كان من عُبّاد أهل الكوفة وزُهّادهم والمواظبين على الورع الخفيّ ، والعبادة الدائمة الى ان مات)[11] .

ووصفه « الذهبي » في : « سير أعلام النبلاء » فقال عنه : انه « الامام القدوة العابد ، أحد الاعلام . وكان قليل الرواية كبير الشان » .

أخذ القراءة عن أبن مسعود[12] .

وقد أُعجب به أستاذه « وكان الربيع اذا دخل على أبن مسعود لم يكن إذنٌ لاحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه »[13] . فاي منزلة فوق هذه المنزلة ؟ !

ولذلك قال له مرة :[14] يا أبا يزيد لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاحبّك ، ومارأيتك الا ذكرت المخبتين [15] (بكسر الباء) .

وقد روى عنه الشعبي : عامر بن شراحيل (وكان من الفقهاء في الدين وجلة التابعين) : فقال : « حدثنا الربيع وكان من معادن الصدق »[16] .... فماذا يقول القائلون ، بعد هذا القول ؟ !

وقد أجمع الناس على انه وليّ من الاولياء[17] .

وثالثهم : زرّ بن حُبَيْش بن حُباشة ، الاسدي الكوفي ، (المتوفى سنة ٨٢ هـ)

هو الامام القدوة مقرىء الكوفة في زمانه مع ابي عبد الرحمن السُّلميّ [18] . عرض القراءة على عثمان وعلي وأبن مسعود ، رضى الله عنهم [19] .

وعرض عليه القراءة : عاصم بن أبي النجود ، وسليمان بن مهران الاعمش ، وابو اسحاق السبيعي ويحيى بن وثاب [20] .

وهؤلاء الخمسة صاروا من قراء الكوفة المشهورين ، وسلامة البناء من اتقان الباني وحسن تخطيطه ....

وكان متقناً للقراءة مجوداً فيها ، حتى وصف قراءته تلميذه « عاصم بن ابي النجود » فقال : « مارأيت اقرأ من زرّ »[21] .

ولزرّ تاثير كبير في قراءة عاصم بن ابي النجود ، حتى ان رواية ابي بكر شعبة بن عياش عن عاصم هي القراءة التي عرضها عاصم على زرّ بن حُبيش عن أبن مسعود[22] .

ورابعهم : عُبيد بن نضلة ، ابو معاوية الخزاعي الكوفي ، (المتوفى سنة ٧٥ هـ) .

وهو من التابعين الثقات .

أخذ القراءة عرضاً عن أبن مسعود .

وروى عنه القراءة : حمران بن أعْيَن ويحيى بن وثاب وكان مقرئاً مجوداً وله منهجه الخاص في الاقراء اذ كان يقرىء في الليلة آية واحدة[23] .

وأحب المقرىء المعروف « عاصم » ان يطبق هذا المنهج مع تلميذه ابي بكر بن عياش ، فقال لتلميذه : الا تقرأ عليّ كما قرأ يحيى بن وثاب على عبيد بن نضلة ، في كل يوم آية[24] ؟

وقد وثقه أبن حبّان [25] .

وخرّج له مسلم في صحيحه[26] .

وخامسهم : عبد الله بن حبيب بن ربيعة المشهور بكنيته ونسبته فهو « ابو عبد الرحمن السُلَميّ » .

ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه صُحبه .

وهو مقرىء الكوفة - بعد استاذه ابن مسعود - الامام العلم . فقد قرأ القرآن الكريم وجوده وبرع في حفظه[٢٧] .

قال ابو عمرو الداني : (أخذ القراءة عرضاً عن : عثمان وعلي وأبن مسعود وزيد بن ثابت وابي بن كعب)[٢٨] ، رضي الله عنهم .

وأنتهت اليه القراءة في الكوفة تجويداً وضبطاً[٢٩] .

وقال المقرىء البغدادي ابو بكر بن مجاهد : (اول من أقرأ الناس بالكوفة ، بالقراءة المجمع عليها ، ابو عبد الرحمن السلمي)[٣٠] . ويريد « بالقراءة المجمع عليها » قراءة المصحف الامام الذي ارسله الخليفة الراشد عثمان بن عفان الى الكوفة وبقية الامصار : مكة والمدينة والبصرة والشام .

وقد أخذ عنه القراءة (عرضاً)[٣١] :

الحسن والحسين (رضي الله عنهما) .

وعاصم بن ابي النجود .

وابو اسحاق السبيعي : (عمرو بن عبد الله)

وعامر الشعبي .

وعبد الله بن عيسى بن ابي ليلى

ومحمد بن ابي ايوب

وابو عون محمد بن عبيد الله الثقفي .

ويحيى بن وثاب .

والعرض : ان يقرأ التلميذ على استاذه من المصحف او من حفظه .

وظل يقرىء في مسجد الكوفة الاعظم (الذي اقرأ فيه استاذه ابن مسعود) ، اربعين سنة[٣٢] ، الى ان توفي (سنة ٧٤ هـ) .

★ المجموعة الثانية : القُرّاء المحدّثون ★

وقد احصيت من اصحابه : ثلاثة يمكن ان يوصفوا بهذه الصفة ، وهم :

(١) عمرو بن شُرحبيل ، ابو ميسرة الهَمْداني الكوفي ، (المتوفى قبل سنة ٧٨ هـ) .

تابعي جليل صالح عابد . وقد وصفه الذهبي بانه « من العباد الاولياء »[٣٣] .

أخذ القراءة عرضاً عن أبن مسعود[٣٤] .

وروى الحديث عن الخليفتين الراشدين عمر وعليّ ، رضي الله عنهما .

وروى عنه : ابو وائل شقيق بن سلمة ، وعامر الشعبي ، والقاسم ابن مُخَيمرة ، وابو اسحاق السبيعي[٣٥] .

(٢) عمرو بن ميمون الاودي الكوفي ، المتوفى سنة ٧٤ هـ (او ٧٥ هـ) .

وهو تابعيّ ثقة من ثقات اهل الكوفة في زمانه[٣٥] .

أخذ القراءة (عرضاً) عن أبن مسعود .

وروى القراءة عنه : ابو اسحاق السبيعي[٣٦] .

وروى الحديث عن عمر وعلي وابن مسعود وابي ذر وسعد بن ابي وقاص ، (رضي الله عنهم) .

وروى عنه الحديث : سعيد بن جبير ، والربيع بن خثيم وابو اسحاق السبيعي ، وعامر الشعبي[٣٧] .

ووثّقه يحيى بن معين امام الجرح والتعديل في عصره . ووثّقه ايضاً العِجلي والنَّسائيّ[٣٨] .

ووصفه الذهبي بانه « الامام الحجة »[٣٩] .

(٣) ابو وائل : شقيق بن سلمة الاسدي : أسد خزيمة . الامام الكبير شيخ الكوفة ، المتوفى سنة ٨٢ هـ (او ٨٣ هـ) .

أخذ القراءة عرضاً عن ابن مسعود[٤٠] .

وحدّث عن : عمر وعثمان وعليّ وعمّار ومعاذ وأبن مسعود وابي الدرداء ، وابي موسى الاشعري ، وحذيفة بن اليمان ، وعائشة الصديقة وخبّاب بن الارتّ واسامة بن زيد والاشعث بن قيس ، (رضي الله عنهم) وخلق سواهم[٤١] .

ويرى عمرو بن مُرّة ان ابا وائل اعلم اهل الكوفة بما يُروى عن ابن مسعود من احاديث[٤٢] .

وقد جعله « ابن حبّان » اول مشاهير التابعين في الكوفة[٤٣] .

ويؤيد هذا المنحى . المقرىء الكوفي سليمان بن مهران الاعمش . وكذلك ابراهيم النخعي الكوفي ، فيقول مغرياً الاعمش بالاخذ عن « شقيق » . (عليك بشقيق فاني ادركت الناس وهم متوافرون وانهم ليعدونه من خيارهم) .

★ المجموعة الثالثة : القراء الفقهاء ★

والذين يتصفون بهذه الصفات من اصحاب ابن مسعود خمسة :

(١) الحارث بن عبد الله . الملقب بالاعور ، الهمداني الكوفي ، (المتوفى سنة ٦٥ هـ) .

قرأ على الخليفة الراشد علي بن ابي طالب وابن مسعود ، رضي الله عنهما وقرأ عليه ابو اسحاق السبيعي : عمرو بن عبد الله[٤٤] .

وقد وصفه « الذهبي » بقوله : (هو العلامة الامام ابو زهير صاحب علي وابن مسعود . كان فقيهاً كثير العلم ، على لين في حديثه)[٤٥] . واللين في الحديث : الضعف . اي ان علماء الحديث ضعفوه . وهذه الصفة تتردد في كتب الرجال وكتب الجرح والتعديل[٤٦] .

(٢) الحارث بن قيس الكوفي العابد كان من قدماء تلاميذ ابن مسعود ، اذ قتل وهو يقاتل مع الامام عليٍ كرم الله وجهه[٤٧] .

وقد اجمع الذين ترجموا له على انه من خيار الكوفيين وعبادهم[٤٨] .

وروى القراءة عن ابن مسعود[٤٩] .

(٣) عبيدة بن عمرو السلماني ، (المتوفى سنة ٧٢ هـ) كان من كبار التابعين في الكوفة ، ومن الاعلام الفقهاء .

اسلم عبيدة عام الفتح ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم[٥٠] .

أخذ القراءة عرضاً عن ابن مسعود .

وأخذها عنه عرضاً : ابراهيم النخعيّ وابو اسحاق السبيعى[٥١] .

وكان عبيدة أحد أصحاب عبد الله الذين يقرئون ويفتون[٥٢] .

(٤) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعيّ ، المتوفى سنة ٦٢ هـ

ولد في حياة النبى صلى الله عليه وسلم . وليس له صحبة[٥٣] وقال الذهبي : (ولد في ايام الرسالة المحمدية ، وعداده في المخضرمين ، وهاجر في طلب العلم والجهاد . ونزل الكوفة ولازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل ، وتفقه به العلماء ، وبعد صيته)[٥٤] .

وقد قرأ القرآن على أستاذه في سنتين .

وعرض عليه القرآن من اهل الكوفة :

ابراهيم بن يزيد النخعى ، وعبيد بن نضلة ، وأبو اسحاق السبيعى ، ويحيى بن وثاب[٥٥] .

وقد رزق حسن الصوت ، حتى اجمع من ترجم له على انه من احسن الناس صوتاً بالقرآن . وهو القائل : (كنت رجلاً قد اعطاني الله حسن الصوت بالقرآن ، وكان ابن مسعود يستقرئني ويقول لي : فداك ابي وامي ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان حسن الصوت يزيّن القرآن) .

وكان – اذا سمعه ابن مسعود يقول : لورآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسُرَّبكَ[٥٦] .

وهو صاحب سر استاذه . وقد قال الشعبي : (وهو يوازن بين تلاميذ ابن مسعود) : (كان علقمة ابطن القوم به ، وكان مسروق قد خلط منه ومن غيره ، وكان الربيع بن ختيم اشد القوم اجتهاداً ، وكان عبيدة يوازي شريحاً في العلم والقضاء)[٥٧] .

ولكن ... ما ابعد مرمى « شريح » في القضاء ، اذا كان معروفاً به ، فقالوا : « شريح القاضي » ..

فقول الشعبى ذو دلالة قوية على رسوخ قدم « عبيدة » في القضاء ...

وهذا يحيى بن معين : استاذ علم الجرح والتعديل يقول : (لم يكن احد من الصحابة له اصحاب حفظوا عنه وقاموا بقوله في الفقه الا ثلاثة : زيد بن ثابت وابن مسعود وابن عباس . واعلم الناس بابن مسعود : علقمة والاسود وعبيدة والحارث)[٥٨] .

(٥) مسروق بن الاجدع بن مالك بن امية ، الهمداني الكوفي ، (المتوفى سنة ٦٣ هـ)

والاجدع لقب ابيه واسمه « عبد الرحمن »[٥٩] .

أخذ القراءة عرضاً عن ابن مسعود .

وروى القراءة عنه عرضاً يحيى بن وثاب[٦٠] .

ويُعدُّ احد الرجال الافذاذ الذين يصدر الناس عن رأيهم ، حتى قال ابراهيم النخعىّ : (كان اصحاب ابن مسعود الذين يُقرئون الناس القرآن ويعلمونهم السُنة ، ويصدر الناس عن رأيهم ستة : علقمة والاسود ومسروق وعبيدة وابو ميسرة عمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس)[٦١] .

ومجمل هذا القول ورد[٦٢] عن محمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ) وعامر[٦٣] الشعبي (ت ١٠٥ هـ) .

وقد قال فيه الامام احمد بن حنبل : (بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه احد)[٦٤] .

وقد وثّقه العجلي وقال فيه (كان احد اصحاب عبد الله الذين يقرئون ويفتون)[٦٥] .

وقال يحيى بن معين : (مسروق ثقة لا يُسأل عن مثله)[٦٦] .

وقد وصفه الامام الذهبي بقوله : (الامام القدوة العلم)[٦٧] .

والذهبي من الرجال الذين يعرفون ما يقولون ويفقهون ما يكتبون ، فوصفه مسروقاً بهذه الصفات له معناه الدقيق ، وماذا بعد العلم الربانى الصادق من جزاء في الدنيا الا ان يكون المرء اماماً قدوة ... وهذا دعاء المؤمنين ربهم : (واجعلنا للمتقين اماماً) .

وهكذا يتضح اثر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) . في ايجاد هذه الحركة النشطة للاقراء في الكوفة ، وفي ترسيخ هذه « المدرسة الاقرائية » التي انجبت هذه المجموعة الطيبة من القراء ومن اعيان رجال العلم والفقه ، الذين يعدون من اساتذة هذه المدرسة الاولى وتلامذتها .... !!

وكوكبة القراء من اصحاب ابن مسعود تعد اساس الحركة القرآنية في الكوفة ، وهم الارض الطيبة التي انبتت نباتاً حسناً او نشأ عنها حركة قوية للاقراء استمرت امداً طويلاً ، وبقيت فروعها المباركة الى اليوم .

وعلى ايدي هؤلاء القراء – او على يد تلامذتهم – قرأ من اراد القراءة من اهل الكوفة ، فنشأ عنهم القراء المشهورون والائمة الذين يقرأ الناس برواياتهم وقراءاتهم ، ومنهم برز ثلاثة من القراء السبعة .

وبذلك تكون مدرسة « ابن مسعود » الاقرائية اول مدرسة للاقراء في الكوفة ، وهي كذلك اول مدرسة للاقراء في العالم الاسلامي

فالكوفة صاحبة الريادة في هذا الميدان ..... والجامعة بمعناها العلمي ومفهومها الثقافي قد وجدت ، لاول مرة ، في هذه الارض المباركة ، وكانت اول شجرة مباركة نبتت في ارض الاسلام ، غذّاها القرآن ، وحمل لواءها المؤمنون به ، العالمون بكتاب ربهم ، المتجردون للعلم ، الواهبون له وقتهم ، من اجل

مرضاة الله ورسوله ، لا يبغون جاهاً ولا منصباً ، ولا مالاً . يواصلون الليل بالنهار ...

كل واحد منهم « كالنخلة » الشجرة الطيبة : اصلها ثابت وفرعها في السماء ، وكل ما فيها منفعة للناس.... فما اجلّهم ، وما أسعدهم !!

★ القسم الثاني ★

دور الكوفة في فن القراءات

لقد بدأ تاريخ القراءات بقراءة اول سورة من القرآن الكريم على لسان رسول رب العالمين : « إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق » .

ومرت القراءات - بعد ذلك - بمراحل هي :

المرحلة الاولى : مرحلة عصر الحديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .

المرحلة الثانية : مرحلة المصحف الامام .

المرحلة الثالثة : مرحلة التأليف في القراءات .

المرحلة الرابعة : مرحلة كتاب السبعة ....

- ١ -

ففي المرحلة الاولى كان الصحابة يأخذون عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كل ما يتصل بحياتهم صغيراً كان او كبيراً .

وقد ثبت في الحديث الذي رُوي من طرق متعددة ، انهم كانوا يرجعون اليه فيأخذون عنه القراءة فاذا سمعوا ما يخالف ما اخذوه عنه ، رجعوا اليه يسألونه فيخبرهم انه اقرأ هذه القراءات قائلاً : « انزل القرآن على سبعة احرف »[١] .

وهذا الحديث ثبت من طرق متعددة جمع اكثرها المقرىء احمد بن ابي عمر المعروف بالاندرابي (المتوفى سنة ٤٧٠ هـ) ، في رسالة عنوانها : « ما جاء في نزول القرآن على سبعة احرف » .

ولا اريد ان اطيل في ذكر الاراء التي قيلت بشأن معنى الاحرف السبعة الواردة في الحديث . فقد اوردتها في الدراسة التي قدمتها لتحقيق رسالة « الاندرابي » السالفة ، (وستنشر باذن الله) .

غير انني ارى ان المقصود بالاحرف السبعة ليس العدد المحدد بل الكثرة ، وهي ما يراد بالسبعة (أحياناً) وبالسبعين ، كقوله تعالى « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » (سورة التوبة ، الاية ٨٠) .

والحكمة من هذا التعدد هي التيسير . فقد روى « مسلم » في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقرأني جبريل على حرف واحد فراجعته فلم ازل استزيده حتى انتهى الى سبعة احرف[٢] .

وقد يسمع النبي الكريم صحابياً يقرأ فيقره فتصبح هذه القراءة سنة متبعة .

والثابت عند علماء القراءات انه (لم تحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم قراءة مجردة على وجه واحد من اول القرآن الى آخر ، لانه كان يقرىء او يقرأ بالوجوه كلها ، مرة على ذا الوجه ، ومرة على ذلك)[٣] . اي : انه لم يلزم الامة قراءة مخصوصة من فاتحة القرآن الى خاتمته ، تيسيراً وتوسعة .

وظل هذا المبدأ معمولاً به حتى خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه (من سنة ٢٢ - ٣٥ هـ)

ومن المعروف ان الصحابة تفرقوا ، منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (من ١٣ - ٢٣ هـ) ، في الامصار ، وتوزعوا في طريق الدعوة الى الاسلام في بقاع الارض ، واخذ كل فريق منهم يقرأ بقراءة احد الصحابة المعروفين بالحفظ والاتقان .

ان الذي حدث هو ان كل جماعة تعصبت لقراءة الصحابي الذي قرأت عليه ، فلما انتهى ذلك الاختلاف الى ان انكر كل فريق على الاخر قراءته ، واشتد الخصام ، وقال كل فريق :

« قراءتنا اولى من قراءتكم » ، راع ذلك الصحابي الجليل « حذيفة بن اليمان » فقدم من « ارمينية » على الخليفة الراشد « عثمان بن عفان » فقال له : ادرك هذه الامة قبل ان تختلف في كتاب الله[٤] ، فدعا زيد بن ثابت وانتدب معه لجنة ، وامرهم بنسخ المصحف على « حرف واحد » ، وسمى مصحفه « المصحف الامام » ، ثم امر بنسخ خمس نسخ ثم وزعها على خمسة امصار هي : مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق .

فما احسن ما فعله وما اجلّه !!

وقد لاحظ (الطبري) ذلك وهو يتحدث عن « المصحف الامام » فقال : (إن امام المسلمين وامير المؤمنين عثمان بن عفان ، جمع المسلمين ، نظراً منه لهم ، وإشفاقاً منه عليهم ، ورأفة منه بهم ، حذار الردة - بمحضره - من بعضهم بعد الاسلام ، والدخول في الكفر بعد الايمان ، إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، مع سماع اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، النهي عن التكذيب بشيء منها ، فحملهم ، اذ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره ، وبحداثة عهدهم بنزول القرآن ، وفراق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إياهم ، بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين ، من تلاوة القرآن على حرف واحد ، وجمعهم على مصحف واحد ، وحرف واحد . وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه ، ان يحرقه . فاستوثقت له الامة بالطاعة ، ورأت ان فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتركت القراءة بالاحرف التي عزم عليها امامها العادل ، في تركها ، طاعة منها له ، ونظراً منها لانفسها ولمن بعدها من سائر ملتها)[٥]

إنّ هذا العمل الكبير يدل دلالة واضحة على بُعد نظر الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .. وقد وفقه الله لذلك .

ويعد عمله أمراً حاسماً في تاريخ الاسلام والقرآن ... فما أبعد نظره ـ وما أجلّه من امام !

فسقط العمل بما يخالف خط « المصحف الامام »

بالاجماع ، وصارت القراءة - عند جميع العلماء - بما يخالفه بدعةً وخطأ ، وإن صحّتْ ورويت [1] متصلة ثابتة .

- ٢ -

وهكذا بدأت مرحلة المصحف الامام ....

غير ان الرسم المصحفي يحتمل (أحياناً) اكثر من قراءة ، كقراءة « مالك يوم الدين » من سورة الفاتحة ، فقد قرئت « ملك يوم الدين » ، و « مالك »[7] ، لانها مرسومة من غير ألف هكذا : « ملك » .

فضلًا عن ذلك ما جاء من القراءات المتواترة المرافقة للمصحف الامام ، كقراءة : « جمع مالًا وعدده » في سورة الهمزة بتشديد ميم « جمع » وتخفيفها[8] .

وقد أدّت الاحتمالات في القراءة والرسم الى ان يقرأ بعض الذين يحبّون الاختلاف ، بكل وجه محتمل . وهذا أمر خطير وباب يؤدي الى عواقب وخيمة .... اذ لا بد من أن نحذّر من الظن الذي يذهب الى جواز القراءة بأي وجه من غير رواية ثابتة ، لان علماء القراءات رفضوا أية قراءة لا تثبت بالرواية الصحيحة عن صحابي قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم . ولذلك قال المقرىء المشهور ابو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) : (وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والاقيس في العربية ، بل على الاثبت في الاثر والاصح في النقل)[9] .

ولذلك رفضت قراءة عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) ، في « أختياره » . قال ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) : (كان من قراء البصرة عيسى بن عمر الثقفي وكان عالماً بالنحو غير انه كان له اختيار في القراءة على مذاهب العربية ، يفارق قراءة العامة ، ويستنكره الناس)[10] .

لذلك ارى ان الشرط الذي وضعه علماء القراءات في شروط تصحيح القراءة ، في القرن الخامس وما بعده ، وهو موافقة القراءة للعربية ، ولو بوجه ، شرط متأخر لا اعتقد بصحته ، وحجتي في ذلك ما قاله الازهري (ت ٣٧١ هـ) في كتابه : (القراءات وعلل النحويين فيها) ، اذ جاء قوله : (من قرأ بحرف [11] لا يخالف المصحف بزيادة او نقصان ، او تقديم مؤخر ، اوتأخير مقدم ، وقد قرأ به امام من أئمة القراء المشتهرين في الامصار ، فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها) . وختمه بقوله : (وهذا مذهب اهل العلم الذين هم القدوة ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً) .

فيجب - الآن - أنْ تكونَ تلك الاوجه المحتملة ثابتة من حيث الرواية مسندةً الى امام من أئمة القراء ، حتى لا يعمد بعض ضعفاء الايمان فيصحف او يحرّف بحجة موافقة المصحف الامام ... وهذا ما حدث كما اورد الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، في « تاريخ بغداد »[12] وابو شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) في « المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز »[13] ، و « الذهبي » (ت ٧٤٨ هـ) ، في كتابه « معرفة القراء الكبار »[14] ، اذ ظهر ابن مقسم : محمد بن الحسن بن يعقوب (٢٦٥ - ٣٥٤ هـ) ، فزعم ان « كل قراءة توافق المصحف فالقراءة بها جائزة » . فتصدى له المقرىء البغدادي : عبد الواحد بن عمر بن ابي هاشم (ت ٣٤٩ هـ) : فرد عليه قائلًا : (وقد نبغ في عصرنا هذا نابغ فزعم ان كل من صح عنده وجه في العربية ، لحرف من القرآن ، يوافق خط المصحف فقراءته به جائزة ، في الصلاة وفي غيرها ، فابتدع لذلك بدعة ضل بها عن قصد السبيل ، واورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الاسلام واهله ، وحاول الحاق كتاب الله من الباطل ، مالا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، اذ جعل لأهل الالحاد في دين الله ، عز وجل - بسيء رأيه طريقاً الى مغالطة اهل الحق بتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالاراء ، دون الاعتصام والتمسك بالاثر المفترض على اهل الاسلام قبوله ولاخذ به كابراً عن كابر ، وخالفاً عن سالف)[15] .

والمسألة أقدم من « ابن مقسم » بكثير ، اذ ترجع الى بداية ، القرن الثاني الهجري ، حيث شعر المؤمنون الصادقون بهذا الخطر الذي ينشأ من القراءة بالاهواء من دون الاعتماد على الاثر والنقل الثابت ، فنشأت مرحلة اختيار القراءات الصحيحة في النقل الثابتة في الاثر . (وهذا ما سيظهر في القسم الثالث) .

وقد قال الامام « القسطلاني » في كتابه : « لطائف الاشارات » : (لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم وقرأ أهل البدع والاهواء - بما لا يحلّ لأحد تلاوته - وفاقاً لبدعتهم ، رأى المسلمون ان يُجمعوا على قراءة أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم فأختاروا من كل مصر وُجِّه إليه مصحف ، أئمة مشهورين بالثقة والامانة في النقل ، وحسن الدراية ، وكمال العلم وأفنوا عمرهم في القراءة والاقراء ، وأجمع أهل مصر هم على عدالتهم ، فيما نقلوا ، والثقة بهم فيما قرأوا ، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم)[16] .

- ٣ -

وهكذا نشأت المرحلة الثالثة وكان رُواد هذه المرحلة قراء الكوفة ، فكان اول من كان له « اختيار في القراءة » هو المقرىء : طلحة بن مصرف بن عمرو الهمداني الكوفي (ت ١١٢ هـ) ، الذي كانوا يسمونه (سيد القراء)[17] .

ثم توالت كتب « الاختبارات » وفي القرن الثاني الهجري (أيضاً) بدأ التأليف بكتب أفردها القراء لقراءاتهم ، وأول من فعل ذلك حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) بكتابه (قراءة حمزة) ، وتوالى بعد التأليف في هذا النمط من القراءات ، وسمى فيما بعد بكتب « المفردات » .

وفي هذا القرن ألف القراء وغيرهم ما يسمى بكتب « القراءات » ، والريادة في هذا النمط للقراء وأول من فعل ذلك مقرىء الشام : عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ) . وتوالت المؤلفات في هذا القرن من غير تحديد عدد القراء . ولكن لا بد من ان يحتوى المؤلف ، على مقرىء واحد في الاقل من الكوفة .

اما في القرن الثالث فاول من ألف في ذلك الامام المقرىء : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) بكتابه : القراءات ،

تذكر فيه مجموعة من الصحابة والتابعين ، واردفهم بقوله : (فهؤلاء الذين سمينا من الصحابة والتابعين ، هم الذين يحكى عنهم عظم القراءة ، وأن كان الغالب عليهم الفقه والحديث) ، ثم قال : (ثم قال من بعدهم بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ، ولا قدمهم ، غير أنهم تجردوا للقراءة فاشتدت بها عنايتهم ، ولها طلبهم ، حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ، ويقتدون بهم فيها ، وهم خمسة عشر رجلاً من هذه الامصار[18] ، في كل مصر منهم ثلاثة رجال) . وذكر من قراء الكوفة : الاعمش : سليمان بن مهران ، وعاصم بن أبي النجود ويحيى بن وثاب . وأضاف قائلاً : (ثم تلاهم حمزة رابعاً .... اما الكسائي فانه كان يتخير القراءات)[19] .

ومن كلام أبي عبيد الاخير فاخذ بنتيجتين : الاولى : أن أبا عبيدة قد ذكر خمسة قراء من الكوفة ، في حين ذكر من غيرها ثلاثة .

النتيجة الاخرى : أنّ هذا أول كتاب يذكر فيه هذا العدد من قراء الكوفة

وفي القرن الثالث (أيضاً) ألف اللغوي المشهور : أبو حاتم السجستاني البصري (ت ٢٥٥ هـ) كتاب « القراءات » . ولا ندري ما عدد القراء الكوفيين في الكتاب ، ولكن لا بد من ان يكون قد ذكر بعضهم ، لان الكوفة هي مصر من الامصار التي وجه اليها الخليفة الراشد عثمان بن عفان بمصحفه .

وقد وهم « ابن الجزري » حين قال عن أبي حاتم : « وأحسبه أول من صنف في القراءات »[20] .

وألف في هذا القرن المقرىء الكوفي : احمد بن جبير (ت ٢٥٨ هـ) ، كتاباً سماه (كتاب الخمسة) ، واختار من كل مصر من الامصار الخمسة قارئاً[21] . ولا نعرف من هو قارىء الكوفة المختار لان الكتاب مفقود . ولكنه لا بد من أن يكون منهم واحد ...

وفي القرن نفسه ألف اسماعيل بن اسحاق القاضي الازدي البغدادي (ت ٢٨٢ هـ) كتاباً في القراءات ، جمع فيه قراءة عشرين إماماً ، منهم القراء السبعة[22] : عاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن كثير ونافع بن أبي نعيم ، وعبد الله بن عامر .

والثلاثة الاولون من قراء الكوفة .

وجاء بعد الامام الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) فألف كتابه : « الجامع في القراءات » ، وفيه قراءة ما يزيد على عشرين أماماً مقرئاً ، منهم القراء السبعة[23] ، وفيهم الثلاثة الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي .

ولم يقتصر التأليف في القراءات المشهورة على هؤلاء العلماء بل ألف غيرهم ، في القراءات كتباً ، منهم : خلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩ هـ) ، ومحمد بن سعدان (ت ٢٣١ هـ) ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، وثعلب ، وغيرهم .

ثم جاء دور المقرىء البغدادي المشهور : أبو بكر بن مجاهد : احمد بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، فقد ألف كتابه : « السبعة في القراءات » ، حوالى سنة ٣٠٠ هـ ، وفيه ثلاثة قراء من الكوفة ، وهم : عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) . وحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) ، والكسائي (ت ١٨٩ هـ) .

وقد أعطيت كتاب السبعة أهمية خاصة لأن أثره في علم القراءات مثل أثر صحيح البخاري في الحديث ، وأثر كتاب سيبويه في النحو .

ولا بد من التفريق - في هذا المقام - بين مفهوم الأحرف السبعة الواردة في الحديث ، والقراءات السبع ، لان قسماً من المؤلفين في القراءات وقعوا في الوهم فخلطوا بين المفهومين . وهذا الخلط قديم . حتى قال الاستاذ المقرىء : اسماعيل بن ابراهيم بن محمد (المتوفى سنة ٤١٠ هـ) ، المعروف (بالقرّاب) في كتابه (الشافي في القراءات) : (وينبغي الا يتوهم متوهم في قوله صلى الله عليه وسلم :

« أنزل القرآن على سبعة أحرف » أنه منصرف الى قراءة سبعة من القراء الذين ولدوا بعد التابعين ، لانه يؤدي أن يكون الخبر متعرياً عن الفائدة الى أن يولد هؤلاء الأئمة السبعة فتؤخذ عنهم القراءة ، ويؤدي أيضاً الى أنه لا يجوز لاحد من الصحابة ان يقرأ إلا بما يعلم أنّ هؤلاء السبعة من القراء اذا ولدوا وتعلموا أختاروا القراءة به ، وهذا تجاهل من قائله ....) ، الى ان قال : (وانما ذكرت ذلك لان قوماً من العامة[24] يقولون جهلاً ويتعلقون بالخبر ، ويتوهمون ان معنى السبعة الاحرف المذكورة في الخبر اتباع هؤلاء الائمة السبعة ، وليس ذلك على ماتوهموه ، بل طريق أخذ القراءة ان تؤخذ عن امام ثقة لفظاً عن لفظ ، وإماماً عن امام ، الى ان يتصل بالنبي ، صلى الله عليه وسلم) .

ثم نعود الى أهمية ذكر هؤلاء الثلاثة الكوفيين .

وأهمية ذكر القراء الثلاثة : عاصم وحمزة والكسائي ، أنهم أصبحوا بعد تاليف كتاب السبعة أئمة يقتدى بقراءاتهم ويتعبد الناس بها في الصلاة ، وغير الصلاة ، وغطى ذكرهم من سواهم من القراء او حجبهم في الاقل[25] .

غير ان الذي وجدته ان قراءة عاصم بن أبي النجود « حازت قصب السبق واشتهرت منذ وقت مبكر ، فقد ذكر « الاندرابي » (ت ٤٧٠ هـ) في كتابه : « قراءات القراءات المعروفين بروايات الرواة المشهورين » ، وهو يتحدث عن قراءة عاصم : (كان قارىء أهل الكوفة ومقرئهم بعد ابي عبد الرحمن السلمى ، وامامهم الذي تمسكوا بقراءته واقتدوا به فيها بعد التابعين الى وقتنا هذا)[26] . ووقته هو القرن الخامس الهجري .

وقال المقرىء البغدادي : أحمد بن عبد الله المعروف بالطنافسي (من قراء بغداد في القرن الرابع الهجري) : « من اراد افصح القراءات فعليه بقراءة عاصم » .

ولما تحدث مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) عن كتب الاختيارات قال : (وهؤلاء الذين أختاروا انما قرؤوا لجماعة وبروايات . فاختار كل واحد مما قرأ وروى قراءة تنسب اليه بلفظ

الاختيار)[27].

الى ان قال : « وربما جعلوا الاختيار على ما أتفق عليه نافع وعاصم ، فقراءة هذين الامامين اوثق القراءات وأصحها سنداً ، وأفصحها في العربية ، ويتلوها في الفصاحة قراءة أبي عمرو والكسائي)[28].

وأخيراً أقول : ان قراءة « عاصم » قد كتب لها الفوز الساحق ، واصبحت من القرن الحادي عشر الهجري قراءة جل المسلمين في مشارق الارض ومغاربها (الا في المغرب العربي حيث يقرؤون بقراءة نافع).

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

★ القسم الثالث ★

إسهام الكوفة في علم القراءات

يتجلى جهد علماء الكوفة في هذا الميدان حين نجد أنهم أسهموا في ثلاثة حقول تتصل بعلم القراءات ، وهي :

(١) كتب الاختيارات ....

(٢) كتب المفردات .....

(٣) كتب القراءات العامة ...

[١] أما « الاختيار في القراءة » فمفهومه ان يعمد المقرىء الى مجموعة من قراءات الائمة المشهورين فيختار من قراءة كل واحد ما يراه « أكثرها من الائمة أصلاً ، وأعربها في كلام العرب لغة ، وأصحها في التاويل مذهباً »[1]. من غير ان يخالف في شيء من ذلك الائمة الذين اختار من قراءاتهم [2].

واول من ألف في « الاختيارات » : المقرىء الكوفي المعروف « طلحة بن مصرف » بن عمرو الهمداني (المتوفى سنة ١١٢ هـ) وكان يسمى في عصره (سيد القراء)[3].

وقد روى عنه أختياره : فياض بن غزوان الضبى الكوفي ، وهو « مقرىء موثق »[4]. وكذلك وُثِّقَ في الحديث [5].

واقرأ « فياض » باختيار استاذه (طلحة) ، في الرى ، واخذه الناس عنه هناك [6].

فاذا تتبعنا تاريخ هذا النمط وجدنا « طلحة بن مصرف » رائده ، ويليه من الكوفيين « يحيى بن ابي سليم النحوي الكوفي » ، فله أختيار « أكثره على قياس العربية »[7] ، كما يقول أبو عمرو الداني .

وبعد « يحيى النحوي » من علماء النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، لانه روى عن الشعبي [8] ، (المتوفى سنة ١٠٥ هـ) .

ويليهما ابو جعفر الرؤاسي : محمد بن ابي ساره الكوفي النحوي : استاذ الكسائي والفراء . وله اختيار في القراءة يروى عنه[9]. وقد وصفه ابن الجزري بانه « امام مشهور »[10].

وجاء بعدهم « محمد بن سعدان الكوفي الضرير » (ت ٢٣١ هـ) . وله أختيار في القراءة ، غير ان علماء القراءات كانوا يرون انه لم يكن دقيقاً فيه ، اذ قال المقرىء البغدادي المعروف بابن المنادي : احمد بن جعفر بن محمد ، في كتابه : « تسمية قراء أهل مدينة السلام » : (كان ابو جعفر محمد بن سعدان النحوي الضرير يقرىء بقراءة حمزة ، ثم اختار لنفسه ففسد عليه الاصل والفرع)[11].

- ٢ -

اما في حقل « المفردات » فقد كان رائد هذا الفن من التاليف المقرىء الكوفي المشهور : حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) : احد القراء السبعة ، فهو مؤلف كتاب « قراءة حمزة بن حبيب الزيات »[12].

والمفردة هي قراءة مقرىء واحد من اول القرآن الى آخره

وقد اسهم في ذلك المقرىء الكوفي : ابو علي النقار : الحسن بن داود[13] بن الحسن (المتوفى قبل سنة ٣٥٠ هـ) ، بكتابه : « قراءة الاعشى »[14].

و « الاعشى » هو المقرىء الكوفي : ابو يوسف يعقوب بن محمد بن سعيد[15] التميمى (ت ٢٠٠ هـ) ، وقد قال فيه المقرىء الكبير : ابو بكر النقاش : (كان الاعشى صاحب قرآن وفرائض ، ولست اقدم عليه احداً في القراءة على ابي بكر)[16]. ويقصد بابي بكر : شعبة بن عياش ، اشهر تلاميذ عاصم بن ابي النجود . اي : ان الاعشى - من وجهة نظر النقاش - اضبط من روى عن ابي بكر بن عياش .

وقد تطور هذا الفن فاصبح له اسم آخر في القرن الثالث الهجري ، اذ كانت المفردة تسمى : « حروف فلان » ، ككتاب « حروف عاصم »[17] ، للمقرىء : عمرو بن الصباح بن صبيح (ت ٢٢١ هـ) ، الذي كان أحذق من روى القراءة عن « حفص »[18] : تلميذ عاصم ، وقرين ابي بكر بن عياش .

اما التسمية « بالمفردة » فلم تظهر الا في القرن الرابع الهجري . واول من سمى كتاباً بهذا الاسم المقرىء : محمد بن احمد بن عبد الوهاب (٢٧٣ - ٣٥٥ هـ) ، اذ ألف « مفردة عاصم »[19].

وقد وصفه ابن الجزري بانه : « امام مقرىء محرر مؤلف »[20].

وقد طور هذا النمط المقرىء المشهور : ابو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، فالف « المفردات السبع » ، وكتابه مطبوع بمصر .

وبهذا التاليف اصبحت المفردات تشمل قراءة اكثر من مقرىء واحد .

لكن التاليف على المنحى السابق ، في المفردات بقي أيضاً .

- ٣ -

اما في حقل « القراءات » ، بهذه الصيغة العامة ، فقد كان المقرىء الكوفي : ابان بن تغلب (ت ١٤١ هـ) ، اول كوفي يؤلف في هذا الحقل من الدراسات القرآنية ، اذ ألف كتاب (القراءات) ، الذي ذكره له « الداودي »[21] ، وقد ذكر غيره

ما يخالف هذا[21]

و« أبان » مقرىء كوفي ، قرأ على ثلاثة من اشهر قراء الكوفة ، وهم : عاصم وطلحة بن مصرف والاعمش[22] : سليمان بن مهران .

و« أبان » اول من ترجم له ابن الجزري في « طبقات القراء » ووصفه « بالجليل »[23] ولا يخفى على القارىء مالهذا الوصف من دلالة على جلالة قدر هذا العالم بالقراءات .

ويليه : « زائدة بن قدامة الثقفي » (ت ١٦١ هـ) .

وقد قرأ على الاعمش . وقرأ عليه الكسائي[24] .

وله كتاب في « القراءات »[25] .

ويليه كتاب « القراءات »[26] للكسائي (ت ١٨٩ هـ) . وهو أشهر من ان عُرِّفَ .

وبعده جاء دور : محمد بن سعدان الكوفى الضرير (ت ٢٣١ هـ) فالف « كتاب القراءات »[27] .

ويليه هارون بن حاتم الكوفى (ت ٢٤٩ هـ) ، اذ ألف كتاباً في « القراءات »[28] ، وروى (هارون) الحروف عن ابي بكر شعبة بن عياش[29] .

وقد وصفه ابن الجزري بانه « مقرىء مشهور »[30] .

ثم ياتي دور كتاب « الجامع في القراءات »[31] لابي هشام الرفاعي : محمد بن يزيد بن محمد بن كثير الكوفي (ت ٢٤٨ هـ) .

والرفاعي احد العلماء المعروفين والقراء المشهورين الكبار[32] .

ودور معاصره احمد بن جبير (ت ٢٥٨ هـ) ، الذي ألف كتاباً بهذا العنوان : « الجامع في القراءات »[33] .

من هذا العرض السريع عرفنا ان علماء الكوفة وقراءها قد أسهموا إسهاماً واضحاً في ثلاثة من حقول التاليف : اولها : حقل « الاختيارات » فكانوا فيه رواداً . وكان لهم تاثير في تطوير هذا النوع من التاليف ، في علم القراءات .

وظل التاليف فيه مستمراً الى القرن الخامس الهجري .

وثانيها : التاليف في « القراءة الخاصة » ، فكان مقرنهم : حمزة ابن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) رائد هذا الفن ، الذي تطور بسببهم الى التاليف في المفردة ، والمفردات .

والتاليف في « المفردة » ظل مستمراً بعد حمزة اكثر من الف سنة . وثالثها : حقل التاليف في القراءات العامة . وقد أسهموا فيه اسهاماً واضحاً .

خاتمة البحث ونتائجه

لقد كان « دور الكوفة في القراءات » متجلياً في ثلاثة حقول :

الحقل الاول : ريادة الكوفة في الاقراء ، وقيام اول مدرسة فيها .

والحقل الثاني : بروز ثلاثة من القراء السبعة من الكوفة .

والحقل الثالث : اسهامها في حركة التاليف في القراءات .

ومن خلال البحث توصلت الى نتائج الاتية :

ان اول مدرسة (للاقراء) تاسست (سنة ١٧ هـ) ، وكان مؤسسها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وكان محلها (المسجد الاعظم) في الكوفة .

وان اول استاذ في هذه المدرسة هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) : المقرىء المفسر الفقيه المجود .

وان الطلاب المعيدين في تلك المدرسة والمدرسين - فيما بعد - هم تلامذته من التابعين ، الذين كان عددهم ثلاثة عشر . وكانوا ثلاثة أنواع ، الاول : الجماعة الذين اختصوا بالقراءات . والثاني : الجماعة الذين درسوا القراءات والحديث . والثالث : الذين درسوا القراءات والفقه .

وهؤلاء جميعاً أساس حركة الاقراء في الكوفة ، ومنشئو علم التجويد ، وعلم التفسير في الكوفة ، لان أستاذهم كان مفسراً ، وكانت قراءته اول قراءة تفسيرية .

فالكوفة رائدة في ميدان الاقراء والتفسير معاً .

وان اول تاليف أظهر ان للكوفة دوراً أساسياً في القراءات هو اول كتاب يحمل عنوانه عدداً محدداً من القراءات ، وهو (كتاب الخمسة) للمقرىء الكوفي احمد بن جبير (المتوفى ٢٥٨ هـ) . وقبله ألف ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، كتابه (القراءات) ، وذكر فيه خمسة عشر قارئاً تخصصوا بالقراءات ، منهم خمسة قراء من الكوفة . اي : ثلث القراء » في كتابه ......!!

وقد ضمن كثير من أئمة القراءات في القرن الثالث ثلاثة من قراء الكوفة في مؤلفاتهم ، مثل ابي حاتم السجستاني في كتابه « القراءات » ، واسماعيل بن اسحاق القاضي ، والطبري ، في كتابيهما عن القراءات .

ولهذا العدد دلالته الكبيرة على أهمية الكوفة ودورها الرائد ، في القراءات والاقراء .

وآخر من نقف عنده المقرىء المعروف ابن مجاهد ، مؤلف كتاب السبعة ، اذ ألف كتاب السبعة في القراءات (سنة ٣٠٠ هـ) ، وضمنه ثلاثة من القراء الكوفيين ، فاعطى لهم صفة الاستقرار والثبات في عالم القراءات مدة طويلة ، ثم أصبحت قراءة « عاصم بن ابي النجود » الكوفي هي قراءة العالمين :

العربي والاسلامي (عدا المغرب العربي) ، الى اليوم ، فهي خالدة خلود كتاب الله .

اما في حقل التاليف في القراءات فقد كان قراء الكوفة وعلماؤها رواداً في حقل (الاختيارت) ، و حقل (مفردات القراء) . كما كان لهم دور في تطويرها .

وفي الختام ....

ارجو ان اكون قد جلّيت هذا الموضوع الحيوي المهم وابرزت اهمية الكوفة ودورها في القراءات وخلود هذا الدور الى اليوم بخلود قراءة عاصم ...

ولا بد من ان اقول في هذا المقام : هذا مبلغ جهدي وقصارى طاقتي ، وان الانسان مهما بذل ومهما كتب فان عمله يبقى معرضاً للاخذ والرد ، لانه بشر محدود ينقصه الكمال ، وفوقه من هو اعلم منه (وفوق كل ذي علم عليم) .

والحمد لله في الاولى والاخره ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

• هوامش القسم الاول

(١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب . لابن عبد البر ٣ / ٩٨٨ .
(٢) رواه ابن ماجه والامام احمد في مسنده والحاكم في مستدركه (ينظر تخريجه في : معرفة القراء الكبار . للذهبي ١ / ٣٤ (هامش ٢)
(٣) انظر : صحيح مسلم من مطبوعات محمد علي صبيح واولاده ، بمصر ، سنة . ١٣٨ هـ / ١٩٦٠ م . (الحديث ٢٤٦١)
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء . لا بن الجزري محمد بن محمد ، تحقيق : برجشتراسر / نشر مكتبة الخانجي ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ١٤ / ٤٥٩
(٥) سير اعلام النبلاء للذهبي ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت من ١٤٠١ - ١٤٠٥ / ١٩٨١ - ١٩٨٥ م ٤٤ / ٥٠
(٦) المرجع نفسه ٤ / ٥٠ ومعرفة القراء الكبار للذهبي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الارناؤوط وصالح مهدي عباس / نشر مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ١٤ / ٥٠
(٧) معرفة القراء الكبار ١ / ٥٠ وغاية النهاية ١ / ١٧١
(٨) المرجمان السابقان وسير اعلام النبلاء ٤ / ٥١
(٩) معرفة القراء الكبار ١ / ٥٠
(١٠) مشاهير علماء الامصار . لابن حبان / س ١٠٠ محمد بن حبان بن احمد التميمي ، تحقيق . م فلايشهمر ، (ط القاهرة ١٩٥٩ م) ص ١٠٠
(١١) المرجع نفسه / ٩٩ - ١٠٠
(١٢) غاية النهاية ١ / ٢٨٣
(١٣) سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٥٨
(١٤) المرجع نفسه ٤ / ٢٥٨ وغاية النهاية ١ / ٢٨٣
(١٥) هم المتواضعون الخاشعون لله .
(١٦) سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٥٨
(١٧) حلية الاولياء . لابي نعيم الاصفهاني ٢ / ١٠٧
(١٨) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٦٦ - ١٦٧
(١٩) غاية النهاية ١ / ٢٩٤ (رقم ١٢٩٠)
(٢٠) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٦٧ وغاية النهاية ١ / ٢٩٤
(٢١) غاية النهاية ١ / ٢٩٤
(٢٢) معرفة القراء الكبار ١ / ٩٢
(٢٣) غاية النهاية ١ / ٤٩٨
(٢٤) المرجع نفسه / ٤٩٨
(٢٥ - ٢٦) المرجع نفسه / ٤٩٨
(٢٧) معرفة القراء الكبار ١ / ٥٢ وسير اعلام النبلاء ٤ / ٢٦٧
(٢٨) معرفة القراء الكبار ١ / ٥٣
(٢٩) غاية النهاية ١ / ٤١٣
(٣٠) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د . شوقي ضيف ، ط : دار المعارف الثانية بمصر ، ١٩٨٠ ، ص ٦٧
(٣١) معرفة القراء الكبار ١ / ٥٣ وغاية النهاية ١ / ٤١٣
(٣٢) سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٦٧ وغاية النهاية ١ / ٤١٣
(٣٣) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٣٥
(٣٤) المرجع نفسه / ١٣٥ وغاية النهاية ١ / ٦٠٢
(٣٥) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٥٨ وتهذيب التهذيب لابن حجر العقلاني (طبعة حيدر آباد - الدكن ١٣٢٥ هـ) ٨ / ١٠٩ - ١١٠
(٣٦) غاية النهاية ١ / ٦٠٣
(٣٧) تهذيب التهذيب ٨ / ١٠٩ ، ١١٠
(٣٨) المرجع نفسه ٨ / ١١٠
(٣٩) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٥٨
(٤٠) غاية النهاية ١ / ٣٢٨
(٤١) الجرح والتعديل . لابن ابي حاتم الرازي (طبعة حيدر آباد - الدكن ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م) . ق ١ ص ٣٧١ وتهذيب التهذيب ٤ / ٣٦١
(٤٢) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٦١
(٤٣) مشاهير علماء الامصار / ٩٩
(٤٤) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٥٢ وغاية النهاية ١ / ٢٠١
(٤٥) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٥٢
(٤٦) ينظر في سبيل المثال : الجرح والتعديل ، وميزان الاعتدال .
(٤٧) سير اعلام النبلاء ٤ / ٧٥ ، ٧٦
(٤٨) مشاهير علماء الامصار / ١٠٨ وسير اعلام النبلاء ٤ / ٧٥ وغيرهما .
(٤٩) غاية النهاية ١ / ٢٠١
(٥٠) سير اعلام النبلاء ٤ / ٤٠ ، ٤١
(٥١) غاية النهاية ١ / ٤٩٨
(٥٢) سير اعلام النبلاء ٤ / ٤١
(٥٣) سير اعلام النبلاء ٤ / ٥٤ ومعرفة القراء الكبار ١ / ٥١
(٥٤) سير اعلام النبلاء ٤ / ٥٣ وما بعدها
(٥٥) غاية النهاية ١ / ٥١٦
(٥٦) المرجع نفس / ٥١٦
(٥٧) سير اعلام النبلاء ٤ / ٥٣
(٥٨) المرجع نفسه / ٥٤
(٥٩) مشاهير علماء الامصار / ١٠١
(٦٠) غاية النهاية ٢ / ٢٩٤
(٦١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : احمد بن علي (مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م) ١٣ / ٢٣٣ وسير اعلام النبلاء ٤ / ٥٦ (وربما نقل منه) .
(٦٢) سير اعلام النبلاء ٤ / ١٥٣
(٦٣) سير اعلام النبلاء ٤ / ٥٦
(٦٤) تاريخ بغداد ١٣ / ١٣ / ٢٣٤ وتهذيب التهذيب ١٠ / ١١٠
(٦٥) تهذيب التهذيب ١٠ / ١١١ .
(٦٦) الجرح والتعديل م ٤ ق ١ ص ٣٩٧
(٦٧) سير اعلام النبلاء ٤ / ٦٣

• هوامش القسم الثاني

(١) ينظر الحديث في صحيح البخاري مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، بمصر ١٣٧٧ هـ ٦/ ١٠٠ وصحيح مسلم ٢/ ٢٠٢ وسنن ابي داود مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢م ٢/ ١٠١ ، وصحيح الترمذي ٤/ ٢٦٤ ومسند الامام احمد ٥/ ١٢٧ (وغيرها) .

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٢٠٢

(٣) الايضاح في القراءات (للاندرابي) احمد بن ابي عمر ، (مخطوط مصور) ، الورقة ٧٧ : ب

(٤) الابانة عن معاني القراءات . لمكي بن ابي طالب القيسي ، تحقيق : د . عبد الفتاح شلبي ، (ط ، القاهرة ١٩٦٠ م) ص ٢٨

(٥) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، نشر : مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م ١/ ٢٨

(٦) الابانة عن معاني القراءات/ ٣ ، ٤

(٧) التبصرة في القراءات (لمكي بن ابي طالب) منشورات معهد المخطوطات العربية ، بالكويت ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م بتحقيق د . محيي الدين رمضان ، / ٥٤

(٨) التبصرة في القراءات/ ٢٨٩ والابانة/٧٦

(٩) منجد المقرئين . لابن الجزري نشر مكتبة القدسي ، بالقاهرة ١٣٥٠ هـ) ص ٦٥

(١٠) غاية النهاية في طبقات القراء . لابن الجزري ١/ ٦١٣

(١١) الحرف في أصطلاح القراء : هو ما أختلف فيه القراء من كلم القرآن سواء أكان أسماً ام فعلًا ام حرفاً .

(١٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٠٧

(١٣) المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لابي شامة المقدسي : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ، تحقيق : طيار آلتي قولاج ، (نشر : دار صادر بيروت ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥) . ١٨٧

(١٤) معرفة القراء الكبار ١/ ٣٠٨

(١٥) المرشد الوجيز/ ١٨٦ ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٠٨

(١٦) لطائف الاشارات لفنون القراءات ، للامام الحافظ شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق : الشيخ عامر عثمان و د . عبد الصبور شاهين ، (نشر المجلس الاعلى الاسلامي ، بالقاهرة ١٣٩٢ هـ) . ١/ ٦٦

(١٧) غاية النهاية ١/ ٣٤٣

(١٨) يقصد بالامصار الخمسة : المدينة ومكة والكوفة والبصرة ودمشق .

(١٩) المرشد الوجيز/ ١٦٤ (وكتاب القراءات لابي عبيد مفقود) .

(٢٠) غاية النهاية ١/ ٣٢٠

(٢١) ،(٢٢) النشر في القراءات العشر . لابن الجزري تصحيح الشيخ : علي محمد الضباع ، نشر المكتبة التجارية بمصر (د . ت) ١/ ٣٤

(٢٣) المرجع نفسه ١/ ٣٤ وغاية النهاية ١/ ١٦٢

(٢٤) والخاصة أيضاً . ينظر : لطائف الاشارات ١/ ٨٦

(٢٥) النشر ١/ ٣٦

(٢٦) قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين للاندرابي احمد ابن ابي عمر ، تحقيق : د . احمد نصيف الجنابي ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ ، ط . ثانية) . / ٩٥

(٢٧) غاية النهاية ١/ ٧٥

(٢٨) الابانة عن معاني القراءات/ ٤٩ ، ٥٠

• هوامش القسم الثالث

(١) قراءات القراء المعروفين / ١٤٢

(٢) المرجع نفسه/ ١٤٢ ، ١٥١

(٣) غاية النهاية ١/ ٣٤٣

(٤ - ٥) المرجع نفسه ٢/ ١٣

(٦) غاية النهاية ١/ ٣٤٣

(٧) غاية النهاية ٢/ ٣٧٣

(٨) المرجع نفسه ١/ ٣٥٠

(٩) غاية النهاية ٢/ ١١٦ - ١١٧

(١٠) المرجع نفسه ٢/ ١١٦

(١١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٤

(١٢) الفهرست لابن النديم ، تحقيق ، فلوجل ، (ط . لايبزك ١٨٧١ م) .

(١٣) ترجمته في غاية النهاية ١/ ٢١٢

(١٤) الفهرست/ ٣٢

(١٥ - ١٦) غاية النهاية ٢/ ٣٩٠

(١٧) الاقناع في القراءات السبع . لابن البانش ١/ ١٢٢

(١٨) معرفة القراء الكبار . للذهبي ١/ ٢٠٣

(١٩ - ٢٠) غاية النهاية ٢/ ٦٩ - ٧٠

(٢١) طبقات المفسرين للداودي : محمد بن علي (ت ٩٤٥ هـ) . تحقيق : محمد علي عمر ، (نشر مكتبة وهبة ، بمصر ١٩٧٢) ١/ ١ اذ ذكر ابن عطية في اول تفسيره / ٦١ ، ان يحيى بن يعمر المتوفى ١٢٩ هـ ، ألف كتاباً في القراءات ، غير ان قراءة النص الذي وردت فيه الاشارة تدل على انه ألف كتاباً في نقط المصاحف ، وليس في القراءات بمعناها العلمي الذي نقصده في البحث) .

(٢٢ - ٢٣) غاية النهاية ١/ ٤

(٢٤) غاية النهاية ١/ ٢٨٨

(٢٥) طبقات المفسرين ١/ ١٧٥

(٢٦) المرجع نفسه ١/ ٤٠٢

(٢٧) الفهرست/ ٣٥

(٢٨) الفهرست/ ٣٥

(٢٩ - ٣٠) غاية النهاية ٢/ ٣٤٥

(٣١ - ٣٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٢٢٤ - ٢٢٥

(٣٣) الاقناع في القراءات السبع . لابن البانش ١/ ٢٩٩

الاداء باللون في شعر سهيم عبد بني الحسحاس

أ . د . محمود عبد الله الجادر
كلية الاداب - جامعة بغداد

حين يتجه الشاعر الى محاولة تشكيل بنية صيغته الشعرية يكون عليه ان يستحضر مفرداته التي لابد ان تكون ضاربة بجذورها في عمق تربة ثقافته وموروثه الفني والفكري ثم يكون للابداع فرصته في ضخ معطياته التي تتشكل في ضوء التجربة الشعرية وبواعثها وأهدافها .

وبين مفردات الثقافة الموروثة ومفردات الابداع يكون على النص ان يقيم صيغته التي تستعير مادتها من الاطار البيئي والاجتماعي والانساني لتغدو تشكيلاتها التاثيرية جسر انتقال الهاجس الابداعي من وعي المبدع الى وعي المتلقي ، ومن هنا يكون على اللغة الشعرية ان تنبثق من تربة الارضية المشتركة بين طرفي عملية الإبداع .

ويكاد النص الشعري العربي القديم يمثل الصيغة الاكثر انفتاحاً للتعامل مع مفردات البيئة الحسية وتوظيفها لإغناء التجربة الإبداعية ، ولعل مرد ذلك الى انبثاق التجربة الشعرية نفسها من تجارب يومية فردية او جماعية لا تشكل هماً ثقافياً قدر تشكيلها هماً تطبيقياً ، فضلًا عن طبيعة تكوين الذهن البدوي الذي ترغمه طبيعة نشاطه على التعامل مع ادق تفاصيل البيئة وموجوداتها اليومية المتاحة .

والمتامل للنص الشعري العربي القديم قادر على ان يكتشف بيسر ان عبقرية ذلك النص لا تتمثل في ضخ الصورة الذهنية الصرف قدر ما تتمثل في إعادة تشكيل الصورة المادية المتاحة الى صورة شعرية مدهشة ، ومن هنا كانت الصورة الحسية هي المعين الرئيس للصورة الشعرية حتى في تلك النصوص التي يبدو

النشاط الذهني اقدر على التسلل الى محاورها الرئيسة .

لقد ظل الشاعر العربي القديم يتعامل مع تجاربه من خلال ما تترجمه له حواسه ، فالمفردة الحسية هي المنطلق الى التشكيل الشعري ، ولعل الصورة البصرية كانت المحور الاكثر حضوراً على الإطلاق ، بيد ان عناية الشاعر كانت تنصب على توظيف هيئة تلك الصورة او حركتها او ابعادها او ماهيتها ، وهكذا كان حضور المفردة اللونية وسيلة لا غاية ، فالشاعر لا يمنح اللون وظيفة تأثيرية صرفاً الا في القليل النادر ولكنه يستحضره لأداء خدمة هامشية للصورة البصرية في اغلب الاحيان ، وبهذا نستطيع ان نفسر سبب شحة الدراسات التي عنيت بوظيفة اللون في القصيدة العربية القديمة[1]

على ان في شعر سحيم عبد بني الحسحاس ما يغري بتأمل حالة خاصة من حالات توظيف اللون في عملية تشكيل الصيغة الشعرية في عدد غير يسير من النصوص الشعرية التي يضمها ديوانه .

وسحيم شاعر جاهلي ادرك الاسلام ، واخباره من الندرة بحيث لا يمكن تقديم تصور تفصيلي لمجرى حياته في الجاهلية والاسلام وان كانت اخبار مقتله مما يتردد في عدد من المظان .

ذكروا انه كان عبداً حبشياً مغلطاً قبيحاً[2] وانه كان مولى رجل يقال له ابو معبد جندل من بني الحسحاس بن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن اسد بن خزيمة[3]

وكان سحيم ذا لكنة اعجمية فكان اذا انشد شعراً قال : (أهسنتُ والله) . يريد أحسنتُ والله[4]

وذكر الرواة ان عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي اشترى سحيماً وعرضه على عثمان بن عفان (رض) قبل توليه الخلافة فرفض شراءه عندما علم انه شاعر ، وقال : لا حاجة لي به ، فإن حظ اهل العبد الشاعر منه إذا شبع ان يشبب بنسائهم وإذا جاع ان يهجوهم[5] فاشتراه جندل الاسدي ، ولكننا لا نعرف شيئاً عن مولاه الذي باعه اول مرة سوى ان اسمه (سلّام) وان سحيماً كان متعلقاً به مشفقاً من ان يبيعه فهو يقول :

وما خفتُ سلّاماً على ان يبيعني
بشيء ولو أمستْ أناملُهُ صِفْرا[6]

ويروي الرواة اخباراً شديدة الاختلاف عن مقتله ، فقد ذكر الزبير بن بكار ان مولاه هو الذي قتله لأنه شبب بامرأة له كانت من بني يربوع[7] وذكر ابو عبيدة مرة ان مولاه اتهمه بابنته لابيات قالها[8] وذكر مرة اخرى انه اتهمه باخته[9]

ولا تخرج سائر الروايات عن هذا الخلاف ، ولكنها تجمع على ان مقتله كان بسبب تشبيبه بامرأة بعينها من نساء مواليه او بهن جميعاً ، وان عمر بن الخطاب (رض) سمع ابياتاً له في التشبيب فتنبأ له بانه سيقتل[10] وصحت النبوءة ، فقد قتله مواليه وذكر انهم جمعوا له حطباً فاحرقوه فيه[11] ، وذكر ايضاً انهم قتلوه ضرباً بالخشب[12] وكان مقتله سنة ٣٥ هـ او ٤٠ هـ[13]

كان سحيم شاعراً محسناً[14] تمثل النبي (ﷺ) بقوله :

عميرةَ ودِّعْ ان تجهَّزتَ غاديا
كفى الشيبُ والاسلامُ للمرءِ ناهيا

وكان يرويه (كفى بالشيب والاسلام)[15] ، وقيل ان عمر بن الخطاب (رض) لما سمع بيته هذا قال له : لو قلت شعرك مثل هذا اعطيتك عليه[16] .

وقد ذكر ابن سلام سحيماً رابع شعراء الطبقة التاسعة من طبقات فحول الجاهليين العشر ، على ان ما وصل الينا من شعره ــ على الرغم مما يبدو عليه من نقص ــ يومىء الى شاعرية متميزة لا يخل بها الا قلة ما نقله الرواة من نتاجها .

وتشغل المرأة شطراً كبيراً من شعر سحيم ، الا ان ذلك لا يعني انه لم يقل في سواها فثمة نصوص عالج فيها اموراً ذاتية وقبلية تعكس مدى انشداده الى حياة مواليه الأسديين .

ومن خلال عملية إحصائية لموضوعات شعره في النصوص التي ضمها ديوانه خرجنا بالمسرد الاتي :

رمز القصيدة في الديوان	موضع ورودها في الديوان	عدد ابياتها	الموضوعات الشعرية
أ	١٥ ــ ١٦	٤	١ ــ ٤ قصة ماجنة مع فتيات من صبير بن يربوع .
ب	١٦ ــ ٣٢	٩١	١ ــ ٣٢ نسيب وغزل وقصص ماجنة ٣٣ ــ ٤٤ تشبيب بمجموعة من النساء
ــ	ــ	ــ	٤٥ ــ ٤٧ ظعن ٤٨ ــ ٦٩ عودة الى التشبيب بمجموعة من النساء
ــ	ــ	ــ	٧٠ ــ ٧١ رحلة على ناقة ٧٢ ــ ٧٨ تشبيه الناقة
ــ	ــ	ــ	ــ بثور وحشي يخوض صراعاً مع كلاب صياد ــ ٧٩ ــ ٩١ وصف المطر وما نتج عنه من سيول .
ــ	ــ	ــ	
ج	٢٤	٢	١ ــ ٢ غزل بابنة مولاه
د	٣٤ ــ ٣٦	٨	١ ــ ٨ غزل وقصة ماجنة

هـ	٣٦	٤	١ ـ ٤ مديح امرأة ووصف من تليق به من الرجال.
و	٣٧ ـ ٣٨	٨	١ ـ ٢ شكوى من الهم ٣ ـ ٥ طلل ونسيب ٦ ناقة ٧ ـ ٨ تشبيه الناقة بظليم.
ز	٣٨ ـ ٣٩	٦	١ ـ ٦ فخر بنصر على بني جشم
ح	٣٩ ـ ٤٢	١٦	١ ـ ٤ نسيب وغزل ٥ ـ ١٦ حكمة في الحياة والموت واستطراد الى وصف فرس.
ط	٤٢ ـ ٤٨	٣٢	١ ـ ٢ طيف ٣ ـ ١٤ نسيب ١٥ ـ ١٦ شيب ١٧ ـ ١٨ فخر بالكرم
ــــ	ــــ	ــــ	١٩ ـ ٢٢ فخر بالشجاعة ٢٣ ـ ٣٢ وصف المطر.
ي	٤٩ ـ ٥٠	٩	١ ـ ٢ طلل ٣ ـ ٩ فخر بانتصارات اسد على بني عامر وبني كعب.
أي	٥١	٥	١ ـ ٥ فخر انتصار اسد على بني سعد بن مالك وسعد بن ثعلبة.
بي	٥٢	٣	١ نسيب ٢ ـ ٣ مديح لبني مالك.
جي	٥٢ ـ ٥٤	٩	١ ـ ٦ مديح بني نصر الذين اجاروه ٧ ـ ٩ رحلة على ناقة.
دي	٥٤	٤	غزل (مشكوك في نسبتها له)
هي	٥٤ ـ ٥٥	٢	١ ـ ٢ فخر باخلاقه (تروى لنصيب)
وي	٥٥	٢	١ ـ ٢ فخر بشاعريته وكرم نفسه وبياض خلقه بالرغم من سواده
زي	٥٦	٣	١ ـ ٢ شوقه الى مولاه سلام وقومه
حي	٥٦	٢	١ ـ ٢ خشيته من ورود ماء (لعلها غزل)
طي	٥٦ ـ ٥٧	٤	١ ـ ٤ غزل بامرأة من قوم بني ايمن وتمنيه ان يكون راعياً لابلهم
ك	٥٧	٢	١ ـ ٢ فخر بنفسه واستهانة بالسجن (جزء من النص أل)
أك	٥٨	١	١ غزل.
بك	٥٩	١	١ غزل بامرأة ضحكت منه عند مقتله.
جك	٥٩	٢	١ ـ ٢ غزل ماجن عند مقتله.
دك	٦٠	١	١ غزل ماجن عند مقتله.
هك	٦٠	٢	١ ـ ٢ غزل ماجن عند مقتله.
وك	٦٠ ـ ٦٢	١٥	١ ـ ١٥ نسيب وغزل بفتاتين.
زك	٦٢ ـ ٦٣	٣	١ ـ ٣ نسيب وغزل
حك	٦٣ ـ ٦٤	٨	١ ـ ٨ نسيب.
طك	٦٥	٢	١ ـ ٢ تهديد قاتليه وهجاؤهم
ل	٦٥ ـ ٦٦	٦	١ ـ ٦ رد على ابي الجوزاء الذي نصحه بتجنب التعرض لزوجة مولاه
أل	٦٦ ـ ٦٧	٦	١ ـ ٦ استهانة بالسجن والقتل وفخر بنفسه المنحول
بل	٦٨	١	١ مطر
جل	٦٨	١	١ شكر لله
دل	٦٨ ـ ٦٩	٢	١ ـ ٢ فخر ببياض خلقه بالرغم من سواده
هل	٦٩	٢	١ ـ ٢ هجاء نفسه

ولنا ان نخرج من المسرد بجملة حقائق لعل أهم ما يعنينا منها الآتي :

١ ــ ان صورة المرأة محور أساس من محاور شعر سحيم .

٢ ــ ان صورة المرأة تحتل موضعها من المقدمات الفنية لنصوص عالجت موضوعات شعرية اخرى (النصوص : ب ، و ، ح ، طـ ، ي ، بي) ولكن حضورها في نصوص مقصورة عليها هو الأعم الاغلب (النصوص : أ ، ج ، د ، هـ ، دي ، طي ، اك ، بك ، جك ، وك ، زك ، حك) .

٣ ــ ثمة نصوص خلت من صورة المرأة تماماً وعالجت موضوعات ذاتية او قبلية (النصوص ز ، اي ، بي ، جي ، هي ، وي ، زي ، حي ، ك ، طك ، ل ، أل) .

٤ ــ ان اغلب ما وصل الينا من شعر سحيم مقطوعات او بقايا قصائد ، فليس في ديوانه نصوص طويلة ، اذ لو استثنينا النصوص ب ، ح ، طـ ، وك ، لكانت سائر النصوص مما لا تبلغ عدة ابياتها العشرة ، بيد ان تأمل نصوصه الطويلة ــ لا سيما يائيته ــ التي تقع في واحد وتسعين بيتاً قد يحملنا على الظن ان اصول عدد صالح مما بين ايدينا من مقطوعاته قصائد لم يحتفظ الرواة او لم تحتفظ النسخ الخطية من ديوانه إلا بالنزر من ابياتها .

٥ ــ ان اهم الموضوعات التي عالجها سحيم ــ عدا موضوع المرأة ــ تقع في إطار الفخر القبلي والتهديد القبلي والفخر القبلي والذاتي والمديح وبث الهموم الشخصية والحكمة ، ولكن هذه الموضوعات برمتها لا تضاهي موضوعات المرأة من طلل ونسيب وغزل وقصص غرام وتشبيب فاذا وضعنا في اعتبارنا ان لوحات المرأة في العادة هي احفل اللوحات باستحضار المفردة اللونية تصريحاً او ايحاءً كان لنا ان ندرك سر كثافة شيوع ظاهرة توظيف اللون في شعر سحيم ، على ان ذلك لا ينبغي ان يعني غياب الظاهرة عن موضوعاته الشعرية الاخرى لاسيما تلك التي كان لعقدة اللون اثرها في تشكيل بعض مضامينها ، على ان لنا قبل ان نمارس الدراسة التحليلية لمضامين الظاهرة اللونية في شعر سحيم ان نتابع مسرداً احصائياً يضع ايدينا على الجانب الكمي الصرف لتوظيف المفردة او الصورة اللونية لنقيم منه منطلقاً اولياً للظاهرة الفنية واتجاهاتها .

رمز النص في الديوان	موضع وروده في الديوان	عدد ابياته	عدد ابيات توظيف اللون	ارقام ابيات توظيف اللون من النص
أ	١٥–١٦	٤	٢	١، ٢
ب	١٦–٣٢	٩١	٢٢	١، ٢، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٧، ٢٧، ٤٩
—	—	—	—	٥٥، ٥٨، ٦٠، ٦٥، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٧٩، ٨٠.
ج	٣٤	٢	١	٢.
د	٣٤–٣٦	٨	٢	٣، ٧.
هـ	٣٦	٢	—	—
و	٣٧–٣٨	٨	١	٤.
ز	٣٨–٣٩	٦	—	—
ح	٣٩–٤٢	١٦	١	١٢.
ط	٤٢–٤٨	٣٢	١٠	٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٥، ١٦، ٢٢، ٢٤، ٢٩.
ي	٤٩–٥٠	٩	٣	٢، ٣، ٦.
أي	٥١	٥	—	—
بي	٥٢	٢	—	—
جي	٥٢–٥٤	٩	١	٢.
دي	٥٤	٤	١	٢.
هي	٥٤–٥٥	٢	٢	١، ٢.
وي	٥٥	٢	١	٢.
زي	٥٦	٣	—	—
حي	٥٦	٢	—	—
طي	٥٦–٥٧	٤	—	—
ك	٥٧	٢	١	١.
اك	٥٨	١	١	١.
بك	٥٩	١	—	—
جك	٥٩	٢	—	—
دك	٦٠	١	—	—
هك	٦٠	٢	—	—
وك	٦٠–٦٢	١٥	٤	٥، ١٠، ١٢، ١٥.
زك	٦٢–٦٣	٣	—	—
حك	٦٣–٦٤	٨	—	—
طك	٦٥	٢	—	—
ل	٦٥–٦٦	٦	—	—
أل	٦٦–٦٧	٦	١	٢
المنحول				
بل	٦٨	١	١	١.
جل	٦٨	١	—	—
دل	٦٨–٦٩	٢	٢	١، ٢.
هل	٦٩	٢	—	—
المجموع		٢٥٨	٥٨	

ونستطيع ان نخرج من المسرد بالحقائق الإحصائية الاتية .

١ ـ يضم الديوان خمسة وثلاثين نصاً بينها ثلاثة نصوص معتلة النسبة الى سحيم[١٧] فضلاً عن النصوص الاربعة التي يضمها ذيل الديوان (المنحول) وهي نصوص لا نمتلك دليلًا قاطعاً على صحة نسبتها او اعتلال نسبتها اليه ، ولهذا فاننا سنغض النظر عن مسالة الشك فيها في اطار الدراسة الاحصائية حسب .

٢ ـ وظف سحيم اللون في ثمانية عشر نصاً من مجموع نصوصه فنسبتها الى مجموع نصوص الديوان ٤٣ ر٥١٪ وهي نسبة عالية جداً اذا قارناها بالنسبة نفسها في ديوان النابغة الذبياني مثلًا والذي كانت النسبة فيه ٨٥ ر ٤٢٪ حيث وظف اللون في ثلاثة وثلاثين نصاً من مجموع سبعة وسبعين نصاً ضمهاديوانه[١٨]

٣ ـ ان مجموع ابيات الديوان هو ثمانية وخمسون ومائتا بيت ورد توظيف اللون تصريحاً او ايحاء في ثمانية وخمسين بيتاً منها ، فنسبة ابيات الاداء باللون الى مجموع ابيات الديوان هي ٤٧ ر ٢٢٪ وهي نسبة اعلى من النسبة التي يضمها ديوان النابغة وهي ٧٦ر١٠٪ اما نسبة الابيات التي ورد فيها توظيف اللون عند سحيم الى مجموع ابيات النصوص التي وردت فيها (٢١٤ بيت) فهي ١٠ر٢٧٪ بينما كانت هذه النسبة عند النابغة الذبياني ٤٢ر١٥٪

ان هذه الكثافة في استحضار المفردة اللونية او الإيحاء بدلالتها في شعر سحيم قياساً الى ديوان النابغة الذبياني الذي رأينا انه من اغزر الشعراء الجاهليين استحضاراً للمفردة اللونية ظاهرة لا نعزوها الا الى ما سبقت الاشارة اليه من استكثاره من استحضار صورة المرأة التي تستدعي طبيعتها توظيف اللون فضلًا عن عقدة السواد التي كان يعاني منها والتي سنرى انها استدرت من شاعريته معالجات لونية مكثفة .

ان نتائج الدراسة الإحصائية تضعنا امام دلالات اولية لا نريد ان نعدها المحور الاساسي للنتائج المستخلصة من الاستقراء قبل ان نشفعها بنتائج الدراسة التحليلية لطبيعة توظيف اللون والتعامل مع مدلولاته في شعر الشاعر .

وحين نتامل النصوص التي يضمها ديوان سحيم تطالعنا حقيقة انشداد المحاور الاساسية لتوظيف اللون في شعره الى

الثوابت التراثية ، فلوحات المرأة والرحلة والمطر تستدعي حضور مفردات لونية طالما مارسها الجاهليون حتى غدت تحقق حضوراً تلقائياً في نصوص لا حصر لها في الجاهلية والاسلام ، وتغطي مساحات صارت كانها مهياة لها فهي تستدعيها بعفوية خالصة في اي نص شعري ولاي شاعر كان .

لقد اقترن البياض بصورة المرأة في شعر الجاهليين ، وربما كان لندرة هذا اللون في بشرة النساء البدويات ودلالته في حالة وجوده على الغنى والترف ونقاء الجمال هي العلة الخفية لتمسك الشعراء به ، فهم يعلمون ان المرأة لا تكون بيضاء البشرة الا حين تستغني عن العمل فلا تتعرض للفح شمس الصحراء ولا تبذل جمالها لسمومها وغبارها وهوامها وحشراتها ، وقديماً ارسى امرؤ القيس هذه الحقيقة حين استكثر من وصف ترف الحبيبة (البيضاء) التي صانها غناها عن ان تشد النطاق للعمل كما تفعل الاخريات .

مهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مفاضةٍ
ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجنجلِ

كبِكرِ مقاناةِ البياضِ بصفرةٍ
غذاها نميرُ الماءِ غيرُ المحلَّلِ

• • •

تضيءُ الظلامَ بالعشاءِ كأنها
منارةُ ممسى راهبٍ متبتلِ

وتضحي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشِها
نؤومُ الضحى لم تنتطقْ عن تفضلِ[19]

ولعل هذه الصيغة من الصيغ التي رصدها القدماء في شعر امرىء القيس فقالوا فيه : (سبق الى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء)[20]

اما استحسان العرب فآيته إقبالهم على الشعر ما كانت صورة المرأة فيه منتمية الى هذه النمط التصويري الرائد ، واما اتباع الشعراء فحسبنا ان نتامل آثاره في اي ديوان جاهلي حتى زمن المخضرمين لنرى مدى اتباع الشعراء لذلك الابتداع ، ولعل من اطرف ما يمكن ان يروى عن تمسك الشعراء بمنح المرأة اللون الابيض ما رواه الاصفهاني عن حماد الراوية من ان رجلاً نظر الى الحطيئة في الفراش والى جانبه امة سوداء قد اخرجت رجلها من تحت اللحاف فظنها رجل الحطيئة وقد انتعل خفاً أسود فلما سأل الحطيئة عنها قال له ضاحكاً : هي والله التي اقول فيها : (وآثرت ادلاجي على ليل حرة ... البيت) وذلك مطلع قصيدة يفتتحها بالغزل بهذه الامة ويقول في وصفها .

تفرّق بالمدرى اثيثاً كأنهُ
على واضح الذفرى أسيل المقلَّدِ[21]

ان التقليد الذي أرسى اصوله امرؤ القيس ومنحته البيئة مشروعية امتداده ، وتماوره الشعراء حتى غدا نسقاً في تربيتهم الفنية ، ثم ما كان على سحيم الا ان يتلقفه ليعبر في شعره عن انتمائه الى هذا التراث ، بيد ان الامر لم يقف عند هذا الانتماء وحده كما نظن فالشاعر يعاود استحضار البياض تصريحاً او تلميحاً بشكل مكثف في احاديثه عن المرأة ، فهي عنده (بيضة) كما كانت عند امرىء القيس ، فهو يقول :

فما بيضةٌ بات الظليمُ يحفّها
ويرفع عنها جؤجؤاً متجافيا

• • •

باحسن منها يوم قالت اراحلٌ
مع الركبِ أم ثاوٍ لدينا لياليا[22]

وهو يستغني بصفة (البياض) عن ذكر الموصوف ، فكان (البيضاء) عنده هي المرأة دون سواها

من كل بيضاء لها كَعْثَبٌ
مثلُ سنامِ البَكْرةِ المائرِ (الديوان ٣٤)

وتتردد صفة البياض بهذا الاتجاه الى اقامة مقام الموصوف :

فلو كنتُ مختاراً لنفسي وصاحبي
من الناس بيضاوينِ قلت هما هما (الديوان ٦٢)

وهو يتابع ذلك بصيغة الجمع فيقول

ولم تلهُ بالبيضِ الكواعبِ كالدمى
زماناً ولم تقعُدْ من الارضِ مَقْعَدا
(الديوان ٤٢)

ويقول

لعمري لنعمَ الحيُّ حلماً ونَجْدَةً
اذا ضيَّعَ البيضَ الحِسانَ مُضيعُها
(الديوان ٥٣)

على ان المجرى الاداني في شعر سحيم لم يكن وقفاً على هذا النمط من التصريح دائماً ، فثمة إيماءات متشعبة الموارد وظفها سحيم لتقرير الصفة نفسها ، فنساء بني صبير بن يربوع البيضاوات يتحولن ظباءً في قوله :

كأنَّ الصبيرياتِ يومَ لقيننا
ظباءٌ حنتْ أعناقُها في المكانس
(الديوان ١٥ وينظر ٥٨)

وتتحول (عميرة) في مطولته اليائية ريما يحلي جيدها الدر والياقوت

وجيدٍ كجيدِ الريمِ ليس بعاطلٍ
من الدُّرِّ والياقوتِ والشذرِ حاليا
(الديوان ١٧)

ويبدو سحيم مشغوفاً باقتران صورة المرأة بصورة الدمية فذلك ما يتكرر في اكثر من موضع لتقرير صفة البياض للمرأة ، وقديماً قال النابغة في المتجردة

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ
بُنيت بآجرٍ يشادُ بقرمدِ[٣٣]

اما سحيم فإنه يرى في (هند) واترابها صورة الدمى فيقول

لهندٍ وأترابٍ لها شبهُ الدمى
يصدْنَ فما ينجو لهنَّ سليم
(الديوان ٣٧)

وتتحول (مية) دمية في نص آخر له (الديوان ٤٣)

وفي اطار المجرى الإيحائي نفسه تتحول المرأة مهاة بيضاء في اكثر من نص :

وقمنَ كما قام المها قابل المها
وهدْينَ بيضاوين عبلٍ شواهما
(الديوان ٦٢ وينظر ٤٣)

على ان الذي ينبغي ان نتامله ان استحضار مفردة البياض لم يكن المحور الوحيد في جهد سحيم الطامح الى تقديم الصورة الفنية المثلى للمرأة التي شغلت حواسه وامتلكت نفسه ، فقد اتخذ السواد موضعه ايضاً ليشكل مع البياض صورة أخاذة للتضاد اللوني وهكذا عاود سحيم تقرير لون السواد لشعر المرأة (فعميرة) الحبيبة الراحلة اصطادت قلبه بشعر اسود فاحم

ليالي تصطادُ القلوبَ بفاحمٍ
تراهُ اثيثاً ناعمَ النبتِ عافيا
(الديوان ١٧)

اما (مية) فحسب شعرها (الوحف الغداف) ان يمنح بشرتها البيضاء التي منحتها صورة الدمية تالقاً وبهاءً

وما دميةٌ من دمى بينا
نَ معجبةٌ نظراً واتصافا
باحسن منها غداة الرحيـ
ـل قامت ترائيكَ وحفا غدافا
(الديوان ٤٣)

على ان سحيماً قد يمنح الصورة زخم التشكيل اللوني الذي ربما يكون البياض والسواد محوريه الرئيسين ولكنه يبقى مفتوحاً للزخرفة اللونية المنبثقة من الزخرفة التشكيلية للصورة نفسها ، ولعل صورة (عميرة) في يائيته المطولة احفل صوره بهذا المزج التشكيلي واللوني الذي يمتزج فيه البياض والسواد والخضرة والصفرة والحمرة والاشراق حتى ان الاداء الشعري فيها يتحول مهرجاناً لونياً لنا ان نتابع تفاصيله في هذه المجموعة المنتقاة من ابياتها

عُميرة ودِّعْ ان تجهَّزْتَ غاديا
كفى الشيبُ والاسلامُ للمرء ناهيا

• • •

ليالي تصطادُ القلوبَ بفاحمٍ
تراهُ أثيثاً ناعمَ النبتِ عافيا
وجيدٍ كجيدِ الرئمِ ليس بعاطلٍ
من الدُرِّ والياقوتِ والشذْرِ حاليا
كانَ الثريَّا عُلِّقتْ فوقَ نحرِها
وجمرَ غضىً هبَّتْ لهُ الريحُ ذاكيا
إذا اندفعتْ في ريطةٍ وخميصةٍ
ولاثتْ باعلى الرِّدفِ بُرداً يمانيا
تُريك غداةَ البينِ كفاً ومعصماً
ووجهاً كدينار الاعزةِ صافيا
فما بيضةٌ باتَ الظليمُ يُحفُّها
ويرفعُ عنها جُؤجؤاً متجافيا
ويجعلُها بينَ الجناحِ ودفِّه
ويُفرشها وحفاً من الزِّفِّ وافيا
فيرفعُ عنها وهي بيضاءُ طلَّةٌ
وقد واجهتْ قرناً من الشمسِ ضاحيا
باحسنَ منها يوم قالت أراحلٌ
مع الركبِ ام ثاوٍ لدينا لياليا

• • •

وبتنا وسادُنا الى علجانة
وحقفٍ تهاداهُ الرياحُ تهاديا

• • •

فياليتني والعامريةُ نلتقي
نرودُ لاهلينا الرياضَ الخواليا

• • •

اغاليَ ما شمس النهارِ إذا بدت
باحسنَ مما بينَ بُرديكِ غاليا
(الديوان ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ الهامش)

• • •

لنا ان نتامل طبيعة تشكل الصورة من خلال هذه الممارسة المكثفة لعملية توظيف اللون فعميرة تصطاد القلوب بهذا الشعر (الفاحم) الاثيث الذي ينسدل على جيد ابيض بياض جيد الريم الذي يزينه الدر والياقوت ، ثم يكون للاشراق والانارة ان يضيئا

ارضية هذا التشكيل اللوني حتى يبدو وجهها (كدينار الأعزة) او شمس النهار ، وكما اتيح لشعرها وجيدها ان يكتسبا روعة التضاد اللوني فإن ثيابها جمعت البياض والسواد نسهما (ريطة) و (خميصة) ثم يكون لبياض اديم جسدها ان يوحي بصورة بيضة الظليم التي استغرقت اربعة ابيات ، واخيراً يكون على مسرح اللقاء الحلم ان يستدعي زخرفة الخضرة (علجانة) والوان ورود (الرياض) .

وتبقى فعالية الاداء اللوني الانجاز الأساسي الذي قامت عليه اللوحة برمتها ، بل ان فعالية الاداء التشكيلي للصورة قامت في اساسها على فعالية الاداء اللوني واستمدت ملامحها التاثيرية من زخمه التصويري العنيف ، وتلك حقيقة نطالعها في لوحات اخرى قامت على الزخرفة اللونية التي بدا سحيم مولعاً بها في احاديثه عن المرأة لاسيما في وصف ثيابها ، فهو يقول :

فكم قد شققنا من رداءٍ مُنَيَّرٍ
ومن برقعٍ عن طفلةٍ غيرِ عانسِ
(الديوان ١٦)

ويقول :

ومثلِكِ قد أخرجتُ من خدر بيتها
الى مجلسٍ تجرُّ برداً مُسَهَّما

وعلى الرغم من ان صورة المرأة استاثرت بالمحور الاساسي للأداء اللوني في شعر سحيم فإن صوره الشعرية الاخرى تبقى حافلة بمفردات اللون الصريحة والموحية ، ثم يبقى الزخم التراثي ارضية بعض الصور التي بقيت مفتوحة لحصة الابداع ، فالثور الذي يشبه سحيم ناقته به ابيض اللون وهو يصرح بهذا البياض الذي طالما صرح الجاهليون والاسلاميون به :

ضروحاً إذا صام النهارُ كانما
كسوت قتودي ناصع اللون طاويا
(الديوان ٢٨)

ولكن هذا التصريح ببياض الثورلا يعدوان يكون نقلًا لما هو قائم في الواقع ، ولهذا فإن سحيماً يسرع الى ضخه مرة اخرى في محور صورة بيانية طريفة :

فجال على وحشيِّهِ وتخاله
على متنه سِبْاً جديداً يمانيا
(الديوان ٣٠)

وفي لوحات المطر تشيع مفردات (الضوء) و (السنا) (الديوان ٣١) بيد ان الإضاءة تغتني هي ايضاً بمعطى الصورة البيانية في بعض النصوص :

أحارِ ترى البرقَ لم يغتمضْ
يضيء كِفافاً ويجلو كِفافا
يضيء شمارخَ قد بُطِّنت
مثانيذَ زيْطاً وريطاً سِخافا
(الديوان ٤٧ ــ ٤٨)

فالشماريخ يضيئها البرق فتبدو ريطاً بيضاً ، ولكن الصورة لا تلبث ان تستمد من هاجس الزخرفة امتداداً جديداً فالذي ينتج عن هذا البرق من مطر يبعث من أديم الارض زخارف النبت التي تمتد كما تمتد عروش النبيط الزاهية الالوان :

فالقى مراسيَهُ واستهلْ
ل كمدِّ النبيط العروش الطرافا (الديوان ٤٨)

ولا يخلو ان يكون هذا الميل الى الزخرفة منبثقاً من كون سحيم عبداً اسود فالسود يميلون الى الزخرفة والالوان الحارة والالوان الزاهية بطبيعتهم التي جبلهم الله عليها ، ثم لا يقترن الامر بزمان ولا بمكان فما يزال السود في زمننا هذا وفي بيناتهم المختلفة اكثر الناس شغفا بهذه الالوان .

والذي يخيل الي ان عقدة اللون عند سحيم كانت عاملًا أساسياً في تكوين ميله المنيف الى استحضار المفردة اللونية في شعره ، فالسواد كان عقدة تحطمه من الداخل ، وهو يعبر عن هذا التحطيم في لحظات ضعف تكشف لنا هذه الحقيقة المدهشة فهو يقول :

أشارتْ بمدراها وقالتْ لتِربها
أعبدُ بني الحسحاس يُزجي القوافيا
رأتْ قتباً رثّاً وسحقَ عباءةٍ
وأسودَ مما يملكُ الناسُ عاريا
يُرجِّلْنَ أقواماً ويتركنَ لِمّتي
وذاك هوانٌ ظاهرٌ قد بدا ليا
فلو كنتُ ورداً لونُه لعشقنني
ولكنَّ ربّي شانني بسواديا
(الديوان ٢٥ ــ ٢٦)

الا يحق لنا ان نظن ان قصصه الغرامية الماجنة برمتها من نسج خياله الصرف ؟ انه ظن يقرب الى اليقين ، فها هو يعترف ان النساء يعزفن عنه لان الله شانه بسواده ، اما ما يصوره في شعره من تهافت النساء عليه فإننا نشك في صدقه ، واما قصة مقتله بسبب تشبيبه بامرأة بعينها او بمجموعة نساء فلا اعتراض عليه لتواتر روايته ولكننا نتوقف عن قبول هذه التفاصيل التي وردت بعدة روايات مختلفة بحيث لا تتفق اثنتان منها على صيغة واحدة .

لقد شبب سحيم بنساء مواليه الأسديين ، ونسج قصصاً خيالية عن اجتماعه بهن او انفرانه بإحداهن ولكنه كان يمارس في كل ذلك هروباً من الواقع وتعويضاً عنه بأحلام يقظة لاصلة لها

بواقعه المهين فكانت تلك الاحلام ــ وليس الممارسة الواقعية ــ سبب وروده حتفه .

ولم يكن (الهروب)هو الحل الوحيد لعقدة اللون التي عانى منها سحيم ، ذلك انه كان يمارس ضرباً من (التسامي) احياناً فيتشبث بالحديث عن (بياض) الخلق الذي هو خير تعويض عن (سواد) الاديم

إن كنتُ عبداً فنفسي حرةٌ كرماً
أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلقِ (الديوان ٥٥)

بل ان سواد بشرته ليتحول حمرة أديم اسد في بعض الاحيان :

فإن تحبسُوني تحبسُوا ذا وليدةٍ
وان تطلقوني تطلقوا أسداً ورداً
(الديوان ٥٧)

ان انشغال شعر سحيم بهذا الكم الضخم من مفردات الاداء اللوني واتجاهه الى توظيفه في مجاري التعبير عن واقعه البيئي والانساني قد يمثل حالة متميزة رأينا مدى تميزها الكمي في الدراسة الإحصائية ثم رأينا مدى تميزها النوعي حين كشفنا عن تسلل آثار عقدة اللون الى التشكيل الموضوعي والفني في شعره ، لاسيما في مقاطع المرأة التي نظن ان الشاعر لم يستكثر منها ولم يختلق تفاصيلها ولم يلون تلك التفاصيل بالالوان الزاهية البراقة الا تعبيراً عن حرمان خفي كان سببه سواد بشرته الذي حين قعد به عن ان ينال حظوة ما عند النساء لم يقعد به عن ان يختلق لنفسه ممارسات ماجنة معهن يرسم خلفيتها ويلونها بأزهى ما تتشبث به طبيعة ذوي البشرة السوداء من الوان .

اما من الناحية الادائية الصرف فان لنا ان نتابع المفردات اللونية التي استحضرها سحيم في شعره ونتأمل طبيعة استحضارها تصريحاً او إيحاءً من خلال المسرد الاتي الذي رأينا ان نراعي في إدراج المفردات التسلسل الالفبائي للمفردة ثم تثبيت رمز النص الذي وردت فيه ورقم البيت بعد خط مائل لتيسير الوصول اليها ؛ ومن خلال المسرد سنحاول ان نخرج ببعض الملاحظات حول طبيعة استحضارها في شعر سحيم .

اللون	مواضع استحضاره تصريحاً	مواضع استحضاره إيحاءً
الابيض	أبيض / وي / ٢	بيضة / ب / ٨
ـ	بياض / هي / ٢	جمان / ه / ٧
ـ	البيض / ح / ١٢ جي / ٣	الدر / ب / ٤ طـ / ٥
ـ	بيضاً / طـ / ٧ دل / ١٢	الدمى / و / ٤ ح / ١٢
ـ	بيضاء / ب / ١٠ ج / ٢	ريطاً / طـ / ٢٤
	وك / ١٠	
ـ	بيضابين / وك / ١٥	ريطة / ب / ٦
ـ	ـ	الريم / ب / ٤
ـ	ـ	سبأ يمانيا / ب / ٦٦ ي / ٧٧
ـ	ـ	الشيب / ب / ١
ـ		ظباء / أ / ١
ـ	ـ	القوهي / دل / ٢
ـ	ـ	المشيب / طـ / ١٥
ـ	ـ	المها / وك / ١٠
ـ	ـ	مهاة / طـ / ٦
ـ	ـ	ناصع اللون / ب / ٧١
السواد	أسود / ب / ٤٩ وي ٢	الحبشي / ب ل / ١
ـ	أربد / ي / ٢	خميصة / ب / ٦
ـ	أسحم / ي / ٢	الشباب / طـ / ١٦
ـ	سواد / ب / ٥٨	غداماً / طـ / ٤
	هي / ٢٠١ دل / ٢	
ـ	فاحم / ب / ٢	ليال ، ليلة ، الليل / ب / ١١ ، ٧٢ ي / ١
ـ	وحفاً / ب / ٩ ، ٧٢	المسك / طـ / ١
ـ	ـ	مسكاً / وك / ١٢
ـ	ـ	الدبيط / طـ / ٢٩
الإضاءة والتألق والبريق	ضوء بارق / ب / ٧٩	الثريا / ب / ٥
	سناه / ب / ٨٠	شمس النهار / ب / ١٠ ، ٥٥
ـ	يضيء / طـ ٢٢ ، ٢٤	الصبح / ب / ٦٥
الزخرفة وتداخل الالوان	ـ	الرياض / ب / ٢٧
ـ	ـ	مسهماً / ه / ٢
ـ	ـ	منبَّر / أ / ٣
الحمرة	أحمر / وك / ٤	جمر غضى / ب / ٥
ـ	أشقر / ب / ٦٦	نزيف / طـ / ٥
ـ	ورداً / ك / ١	ياقوت / ب / ٤
ـ	ورداً لونه / ب ٥٨	ـ
الخضرة	ـ	علجانة / ب / ١٧
ـ	ـ	النبت / ب / ٣
الزرقة	ـ	الشذر / ب / ٤
الصفرة	ـ	دينار الأعزة / ب / ٧
ـ	ـ	الصوغ / ب / ٦٠
السمرة	أدم / وك / ٤	ـ
ـ	سمرة / ال / ٢	ـ

إن تامل المسرد يقرر جملة حقائق اهمها :

١ ــ ان مفردات البياض والسواد تشكل النسبة الاعلى بين نسب مفردات اللون الاخرى كما ان نسبة استحضار اللونين تصريحاً هي أعلى النسب ايضاً وتلك ظاهرة نغلب الظن ان عقدة اللون التي أشرنا اليها هي التي تقف وراءها وتمنحها هذا الانتشار في نصوص الشاعر .

٢ ــ ان مفردات اللون الصريحة التي يضمها المسرد استحضرت للانتفاع بمدلولها الصرف اما المفردات المرحية باللون فقد ورد اكثرها لاستثمار دلالتها اللونية ، اما القليل النادر الذي ورد لتحقيق مدلوله اللغوي (المادي) فإننا لا نستطيع ان نعزله عن دلالته اللونية التي لابد من تحقق حضورها بحضوره .

٣ ــ ان الاداء اللوني عند سحيم شمل رقعة صالحة من مساحة الالوان . فقد رأينا انه استثمر دلالة تسعة الوان ، ورأينا ان الالوان الحارة (الاحمر ، الاصفر ، الاسمر) والالوان الزاهية (الأزرق ، الاخضر ، الزخارف) كانت ذات حضور في شعره ، وذلك ما يؤكد ما سبقت الاشارة اليه من ميل ذوي البشرة السوداء الى التركيز على الالوان الحارة والزاهية والمزخرفة .

تلك هي اهم الحقائق التي يقدمها استقراء ديوان سحيم في اطار عملية استكشاف طبيعة الاداء باللون في شعره ، وهي نتائج تضيء جانباً جديداً لم تتعرض له البحوث السابقة التي اتجهت بجهدها الى دراسة الاداء باللون في شعرنا العربي القديم .

الهوامش والمصادر

(١) من الدراسات التي تقع في هذا الاطار مبحث في كتاب الدكتور نوري القيسي « دراسات في الشعر الجاهلي ، بغداد ١٩٧٤ م » ودراسة للاستاذ محمد عبد المطلب بعنوان شاعرية الالوان عند امرىء القيس ، مجلة فصول ، مجلد ٥ العدد ٢ القاهرة ١٩٨٥ م ، ودراسة غير منجزة للمرحومة نضال جهاد عبد الرحمن لنيل شهادة الدكتوراه بكلية الآداب ـ جامعة بغداد ١٩٩٠ م ودراستي بعنوان الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى ، مجلة كلية التربية ، بالجامعة المستنصرية بغداد ١٩٩٠ م ، ودراستي الأداء باللون في شعر النابغة الذبياني لم تنشر بعد .

(٢) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٦ م ، ١ / ٤٠٨ .

(٣) ينظر ديوان سحيم ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب ، مصر ١٩٥٠ م ، ١٥ ، ٦٥ .

(٤) ينظر الشعر والشعراء ١ / ٤٠٨ .

(٥) ينظر طبقات فحول الشعراء لابن سلّام ، تحقيق محمود محمد شاكر مصر ١٩٧٤ م ١ / ١٨٧ والشعر والشعراء ١ / ٤٠٨ والديوان ٥٥ .

(٦) الديوان ٥٦ .

(٧) الديوان ٦٣ .

(٨) الديوان ٣٤ .

(٩) الديوان ٥٤ .

(١٠) ينظر طبقات فحول الشعراء ١ / ١٨٨ .

(١١) ينظر الديوان ٦٤ وينظر ٣٩ و ٥٨ .

(١٢) الديوان ــ المقدمة ٦ .

(١٣) م . ن ، ٥

(١٤) الشعر والشعراء ١ / ١٠٨

(١٥) مقدمة الديوان ٥

(١٦) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٨٧

(١٧) هي النصوص (دي) و (هـ ي) ــ اشار المحقق الى اعتلال نسبته ــ و (زك) الذي ترد ابياته الثلاثة ضمن قصيدة لمنترة في ديوانه تحقيق محمد سعيدمولوي ، مصر ١٩٦٤ م ، ٢٧٠ .

(١٨) ينظر ديوان النابغة تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٧ م ودراستي الاداء باللون في شعر النابغة الذبياني (لم تنشر بعد)

(١٩) ديوانه تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم مصر ١٩٦٩ م . ١٦ ــ ١٧ الترائب : موضع القلادة من العنق ، السجنجل ، المرأة بالرومية . تنتطق : تشد النطاق . عن تفضل : عن انعدام الحاجة .

(٢٠) ينظر الشعر والشعراء ١ / ١١٠

(٢١) ينظر الاغاني ــ دار الكتب ــ ٢ / ٢٠١ والنص في ديوان الحطيئة تحقيق نعمان امين طه مصر ١٩٥٨ م ، ١٤٧ .

(٢٢) الديوان ١٨ ، وسنكتفي بالاشارة الى التخريج في اواخر الابيات في المتن اختصاراً للهوامش .

(٢٣) ديوان النابغة ٩٣ .

ملامح المدرسة العراقية في النثر

في القرن الرابع الهجري

أ. د. فائز طه عمر
كلية الاداب - جامعة بغداد

لعل اكثر ما يميز الابداع العربي الاصيل هو تعبيره عن روح الامة في حقيقتها التي أراد لها الله تعالى أنْ تكون وفقها، والتي تمثلت في قوله تعالى « .. وخلقناكم أمةً وسطا .. »[1]، فهذا التوسط في الامة قد تجلّى في سماحتها، وسعة أفقها، وعدم أنسياقها وراء الغلو، وهي حقيقة وجدناها في السياسة والحرب، كما هي في مجالي الابداع العربية المتعددة ومنها ما يعنينا في هذا البحث المتعلق بتاريخ النثر الفني عند العرب في القرن الرابع الهجري الذي ذكر بعض مؤرخي الأدب العربي، عنه، انه شهد اتساع اتجاه السجع والبديع والزخرف اللفظي متمثّلًا بما سُمّي بمدرسة ابن العميد[2] نسبة الى ابي الفضل بن العميد (٣٦٠ هـ) الكاتب والوزير، لآل بويه في الري، الذي تحول النثر الفني لديه، ولا سيما في فن الرسائل، من الطريقة المتوازنة في ايراد السجع والبديع، الى القصد والاكثار، بل التكلف في ايرادهما، فتاثر به، في هذه الطريقة، عددٌ من الكتّاب الذين وجدوا ذلك منسجماً مع ميولهم وثقافاتهم، فأستوت مدرسة فنية في النثر العربي، كان أبرز ممثليها، مع ابي الفضل بن العميد، ابنه ابو الفتح بن العميد (ت ٣٦٦ هـ)، وابو بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣ هـ) والكاتب والوزير عند آل بويه الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، وقابوس بن وشمكير المعروف بشمس المعالي (ت ٤٠٣ هـ) أحد الامراء في طبرستان وجرجان، فضلًا عن بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ)، وغيرهم.

إنّ جميع هؤلاء الكتّاب قد عاشوا في ما يُسمى بلاد العجم اي في البلاد الفارسية، وغيرها من ولايات مشرق الدولة العربية الاسلامية[3]، لذا فهم يمثلون الاتجاه السائد في بيئاتهم، ولا نستطيع انْ ندّعي انهم يعبرون عن طبيعة النثر الفني في القرن الرابع وخصائصه على نحو عام. فلابد أنْ نبحث عن طبيعة النثر وخصائصه في بيئات اخرى كانت اكثر تعبيراً عن الطريقة المتوازنة البعيدة عن التكلف، وقد كانت بيئة العراق، آنذاك، قد شهدت وجود اتجاه فني في النثر يعبّر عن روح الأمة وطبيعتها في الميل الى بساطة التعبير والانطلاق من الطبع وعدم التكلف وغير ذلك مما سوف نبينه في هذا البحث.

ان هذا الاتجاه الفني في النثر قد تمثل في خصائص فنية معروفة في القرن الرابع، وفي مجموعة كتّاب كوّنوا، من خلال تقاليدهم الفنية، مدرسة فنية في النثر العربي، لها طريقتها التي اختلفت بها عن طريقة ابن العميد ومدرسته.

— الملامح الفنية للمدرسة العراقية:

قبل أنْ نحاول تحديد الملامح الفنية للمدرسة العراقية في النثر لابد من تاكيد وجود طريقة فنية في الكتابة، في القرن الرابع الهجري، تعبر عن ذوق مختلف عن طريقة ابن العميد، وسيكون منطلقنا، هنا، مما ذكره ابو حيان التوحيدي نفسه، وممّا نقله عن معاصريه بشان هذه المدرسة وصحة وجودها، ليكون ذلك مفتاحاً لتوسيع البحث في رجال المدرسة من خلال التعمق بدراسة اساليب الكتّاب في القرن الرابع الهجري، من دون الانسياق وراء ما وجدناه عند بعض مؤرخي الأدب العربي[4] من إعمام، ونظر الى مدرسة ابن العميد على انها المدرسة التي سيطرت على النثر العربي آنذاك، مع اقراره باختلاف طريقة ابي حيان التوحيدي، فقط، عنها.

وقبل ذلك لابد من ذكر ان هناك من الباحثين من أشار الى هذه المدرسة، في النثر العربي، وأكد وجودها في القرن الرابع الهجري، إذ إن رجالها قد (أحيوا القديم، وتمسكوا بالاساليب العربية القوية — المشوبة احياناً، ودون عمدٍ، بالزخرف — وربطوا بين اللفظ والمعنى، فلن ياتي أحدهما جميلًا على حساب الاخر، ودعوا الى سلاسة الطبع ..)[5]، على ان

قديم النثر، بطرائقه الفنية، لم يمت، فنقول إنّ هؤلاء الكتّاب الذين مثّلوا هذه المدرسة قد استمّروا على الطرائق الاصيلة، وعلى الكتابة على ما تُملي عليهم انواتهم المنسجمة مع الطبع، وعدم التكلف.

ولقد نقل ابو حيان التوحيدي للوزير ابن سعدان الذي ألّف له كتاب (الامتاع والمؤانسة) خصائص الكتابة عند العراقيين، وهو يوجّه سهام نقده الى الصاحب بن عباد وطريقته في الكتابة، فوجد أنّ خصائص طريقة العراقيين تصلح أساساً لهذا النقد، في قوله : (.. وقال احمد بن محمد : إذا أنصفنا التزمنا مزية العراقيين علينا بالطبع اللطيف، والمأخذ القريب، والسجع الملائم، واللفظ المؤنق، والتاليف الحلو، والسبوطة الغالبة، والموالاة المقبولة في السمع، الخالبة للقلب، العابثة بالروح، الزائدة في العقل، المشعلة للقريحة، الموقوفة على فضل الادب، الدالة على غزارة المغترف، النائية عن عادة كثير من السلف والخلف.)[6] على ان ابن عباد ليس كذلك. لانه كتب بطريقة اخرى بدأها ابو الفضل بن العميد الذي عُدّ، عند من لا يستسيغون طريقته. (أول من افسد الكلام ..)[7]، كذلك الأمر مع ابنه ابي الفتح بن العميد الذي كان، على ما يراه ابو حيان (نزر المعاني، شديد الكلف باللفظ ..)[8].

فهذه السمات[9] التي قرأناها في النص واضحة في مراميها، فهي الطبع، واللفظ القريب المأخذ غير الغريب، والمختار بعناية لتادية معانٍ واضحة، في تاليف جميل مؤثر بعيد عن التعقيد، يُكوّن نصاً مرسلاً، في الاكثر، مع تحقيق انسجام صوتي في الالفاظ والتراكيب يكون ذا أثر في المتلقي، ويستند الكتّاب بهذه الطريقة الى ثقافة واسعة وعميقة، واطلاع غزير على النماذج الفنية للنثر، وغير ذلك مما هو جليّ في مزية العراقيين التي نبعت من ذوق اهل العراق المعنيين بالكتابة، الذين لا يستسيغون التكلف ويردونه. فبعد ان نقل ابو حيان التوحيدي نقراً جميلة مختارة، من كلام الكاتب ابي القاسم الاسكافي،[10] في كتابه (البصائر والذخائر)،[11] علّق قائلًا : « ... هذا الكاتب الذي رويتُ له هذه الفصول هو ابو القاسم الاسكافي كاتب خراسان، ولم يوجد، في اهل المشرق، اكتبُ منه في زمانه، وهذا مختار ممّا مرّ في طريقته، على انه مردودُ الفن بالعراق، وذلك لتكلف يسير يعتري كلامه، وتباعد في التاليف عن العادة. »[12] فالتوحيدي الذي لم يُخفِ اعجابه بهذا الكاتب، مما هو واضحٌ، يؤكد أنّ لاهل العراق ذوقاً مختلفاً، ردوا، استناداً اليه، طريقة الاسكافي في الكتابة، لانّ فيها تكلفاً يسيراً، وغير ذلك.

فاشارة التوحيدي موضوعية وهي تدلّ، بجلاء، على ان للعراقيين طريقة مختلفة عمّا هو سائد في مشرق الدولة العربية الاسلامية من طريقة في النثر. ويقصد باهل العراق، هنا، المعنيّون بالكتابة وطرائقها.

أبرز كتّاب المدرسة العراقية :

لا شك في انّ ابرز كتّاب هذه المدرسة هو ابو حيان التوحيدي الذي تتمثل تلك السمات الفنية التي ذكرناها، في نثره على نحو واضح، فقد كان اكثر الكتّاب قدرةً على التعبير عن خصائص هذه المدرسة وطريقتها في الكتابة، في جميع ما عُرف عنه من نثر، حتى في نثره الصوفي[13] الذي وجدناه فيه يكثر من السجع والبديع، لم يخرج عن طريقته التي عبرت عن الخصائص الفنية تلك، فقد كان سجعه في نثره الصوفي سجعاً ملائماً لطبيعة الموضوعات والافكار والاغراض الوعظية التي تتطلب احداث تاثير في نفس المتلقي، مما يقال عن البديع ايضاً، فهو بديع ملائم للمعاني منسجمٌ معها، ولا بأس من قراءة أسطر من نثره الصوفي ليتاكد كلامنا بما نأتي به من نصوص، قال ابو حيان : « يا هذا : أتدري من شيطانك ؟ انت شيطانك، وانت الذي سهوت عنك بعدما بَنوْت، وغربتَ بعدما طلعت، وبَعُدتَ بعدما قربت، واستوحشتَ بعدما أنِسْت، وأستبددتَ بعدما أستعنت، فآل أمرُكَ الى الخسر والضياع، ووقف حالك على الغبن والخداع ... »[14] ففي هذا النص القصير نجد السجع والبديع المتمثل بالتضاد، فضلًا عن التكرار، واسلوب الاستفهام وغير ذلك مما جعل النص مؤثراً قوياً. كذلك فيه الفاظ بسيطة، وتراكيب جزلة لا تعقيد فيها. أمّا سائرُ نثره فيقل فيه السجع والبديع الا ما يأتي عفواً ومن دون تكلف، مما نجده في وصفه العرب في قوله : « ثمّ لمّا ملكوا الدور والقصور والجنان والاودية والانهار والمعادن والقلاع والمدن والبلدان والسهل والجبل والبرّ والبحر، لم يقعدوا عن شأو من تقدم بالاف سنين، ولم يعجزوا عن شيء كان لهم ؛ بل أبرُّوا عليهم وزادوا، واغربوا وأفادوا ؛ وهذا الحكمُ ظاهر معروف، وحاضر مكشوف، ليس الى مرئه سبيل ولا لجاحده ومنكره دليل. »[15] كذلك طريقته في الكتابة بعامة.

وقد اشار ابو حيان التوحيدي الى كاتب آخر تمثلت لديه خصائص المدرسة العراقية في النثر، ذلك هو ابو اسحاق الصابي الذي وصفه التوحيدي قائلًا : (فاما ابو اسحاق فانه احبُّ الناس للطريقة المستقيمة، وامضاهم على المحجّة الوسطى.)[16] فطريقته تخلو من الاغراق بما أغرق به كتّاب مدرسة ابن العميد كتاباتهم لانها طريقة وسطى، ثم اردف التوحيدي قائلًا : (وابو اسحاق معانيه فلسفية، وطباعه عراقية، وعادته محمودة.)[17]، فالصابي طباعه عراقية، محمود العادة، وهو ينطلق، في الكتابة، من طبعه، مما يعني انّه عراقي الطريقة فيها.

ثم يصف نتاجه الادبي وصفاً يظهر فيه اعجابه الشديد به ، في قوله : (ـ ونظمه منثوره ، ومنثوره منظومه ؛ إنما هو ذهبٌ ابريز كيفما سُبك فهو واحد ، وإنّما يختلف بما يُصاغ منه ، ويشكل عليه ؛ هذا مع الظرف الناصع والتواضع الحسن واللهجة اللطيفة ، والخلق الدمث ، والمعرفة بالزمان ، والخبرة بأصناف الناس ، وله فنونٌ من الكلام ما سبقه اليها أحدٌ ، وما ماثله فيها انسان .)[18]

ومع ايماننا برأي التوحيدي في طريقة الصابي التي هي طريقة العراقيين نفسها ، نجد ان بعض الدراسات الحديثة في نثره تؤكد ذلك ، فقد اشار احد الباحثين الذين درسوا الصابي وادبه الى ان رسائله (لا تجري على نسق واحد في العناية بالناحية الفنية ، فالغالب على رسائل العهود والتلقيبات ، مثلًا ، الاستطراد والخلو من الفن والصنعة .)[19] ، على انه في مواقف الصيد يُكثر من سجعه ومن تقطيع فقراته[20] ، وبعامة فانّ ما يذكر له هو (عدم اسرافه في تكلف المحسنات اللفظية . فهو ، من هذا القبيل ، شبيه بكتّاب صدر الدولة العباسية .)[21] فضلًا عن ذلك فقد وُصف اسلوبه في كتابه (التاجي)[22] بانه (بسيط خالٍ من التعقيد والتصنيع)[23] .

على ان عدداً ممن درسوا النثر العربي جعلوا الصابي من ضمن مدرسة ابن العميد[24] ، عادّا اياه بعضهم (ميالًا الى السجع ، مكثراً منه في رسائله ..)[25] ، وارى ان في هذا القول إعماماً لا يتفق مع حقيقة نثر الصابي التي اكدها بعض الباحثين الذين درسوه ، كما ان د . شوقي ضيف الذي عده من ضمن من يكتبون بطريقة ابن العميد يقر بانه لم يغرق في استخدام ألوان البديع والسجع اغراق الصاحب ولا اغراق ابن العميد ،[26] بيد انه يعود فيقول عنه انه (يشغف بحلية السجع .)[27] مستعيناً في ذلك ببعض النصوص التي ظهر فيها استعمال واضح للسجع[28] ، غافلًا عن ان الصابي يتصنع عندما يبغي التاثير في من يريد خطابه مما وجده بعض الباحثين في (اكثر رسائله السياسية والحربية لتؤدي فعلها ، وتصيب ، بسحرها ، خصومَ الدولة والخارجين عليها .)[29] ، وقد كان بعض ما استشهد به د . شوقي ضيف على هذا النحو ، ولنا ، في هذا البحث ، نماذج عديدة من رسائله يقلّ فيها السجع الا ما جاء عفواً ومن دون تكلف ، من ذلك ما كتبه الى الصاحب بن عباد معتذراً له ، في قوله : « أنا اعتذر الى سيدي ، أطال الله بقاءه ، من تاخر كتبي عن حضرته الجليلة ، بعذرٍ إذا تامّله حقّ تامّلِهِ ، وعرضه على نقده وتمييزه ، وعرف صدق منطقه وخلوص مصدره ، علم انني مواصلٌ بباطن مرادي ، وإنْ صرمت بظاهر فعلي ، وملازم بخافي مقصدي ، وان أخللتُ مسلكي ، وهو انني جربتُ مكاتبته ، ايده الله ، مواظباً عليها ، مكباً ومُراخياً بين اوقاتها ، مُغباً لاتبع احبّ الامرين اليه واوقعهما لديه ... »[30] ففي هذا النص لا نكاد نجد سجعاً وإنْ كان فيه بعض البديع الذي جاء غير متكلف ، مع الفاظ رقيقه واضحة ، وتراكيب جزلة لا تعقيد فيها .

وإن بحثنا عن المزيد وجدناه في رسائله ايضاً ، من ذلك قوله في رسالة كتبها عن نفسه الى عضُد الدولة : « كتابي ، أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل المنصور وليّ النعم عضد الدولة وتاج الملة ، والامورُ التي يراعيها جاريةً افضل مجاريها ، بظلّه الممدود عليها ، ونظره الشامل لها ، وعدله المحيط بها ، وسياسة الاستاذ ، أدام الله عزّه ، التي حذا فيها مثاله ، وتقيل خلاله . والخاصة والعامة من عبيد مولانا ، أطال الله بقاءه ، ساكنون في حماه ، مطمئنون في ذراه ... »[31] ففي هذا النص سجع ، بيد انه لا يدل على تكلف او شغف به بل هو ملائم للغرض .

ويخلو ما بقي من كتاب الصابي (التاجي) من السجع ، على غير ما جرى عليه بعض الكتّاب المتاثرين بطريقة ابن العميد في اعتماد السجع وتغليبه في تآليفهم ، مما يدلّ على ان الصابي لا يستعمل السجع الّا عندما يتطلبه المعنى ، من ذلك قوله : « فلما كان الغد ، وقعت صيحةً واستنفار ، وتبادر القوم باعدائهم قد صبحوهم للحرب ، وثارت الرجال اليهم من كل وجه ، وخرج ذلك الفتى معهم ، وتقدم في اول الناس ، فلفّ كساءه على يده ، اذ لم يكن له ترس ، ولم يزل يحمل ويعاود ، ويرمي ويوتّر ، حتى قتل ثلاثة من اولئك .. »[32] ، والكتاب كله على هذا النحو .

إنّ ذلك كله يجعلنا نرى ان الصابي هو احد كتّاب المدرسة العراقية ، وليس من مدرسة ابن العميد ، ممّا ألمح اليه أحد الباحثين[33] ايضاً .

وثمة كاتبان آخران اشار اليهما ابو حيان التوحيدي على انهما ممن يكتب بالطريقة العراقية ، فبعد فراغه من وصف ابي اسحاق الصابي ساله الوزير ابن سعدان عمّن يلحق بمن وُصفوا بالعراقيين في النص الذي نص على السمات الفنية للمدرسة العراقية ، أجاب التوحيدي بذكرهما ، وذلك في النص الاتي :—

(قال : هل كان في زمان هؤلاء من يُلحق بهم ، ويدخل في زمرتهم ؟ قلتُ : نعم ، ابو طالب الجراحي من آل علي بن عيسى، كتب للمرزبان ملك الديلم بعدما انتجع فناء ابن العميد ابي الفضل ، فحسده وطرده ، وعضّ بعد ذلك على ناجذه ندماً على سوء فعله ، ولقي منه ابو طالب الأمرين ؛ ورسائله مبثوثةٌ .

وابو الحسن الفلكي ، وكان من اهل البصرة ، ووقع الى المزأغة ونواحيها ، وهو حسن الديباجة ، رقيق حواشي اللفظ ؛ وهو احدُهم غزباً ؛ وأغزرُهم سَكْباً ، وأبعدهم مُناخاً ، وأعذبُهم نُقاخاً ، وأعطفهم للاول على الاخر ، وانشرهم للباطن من الظاهر .)[34] . فهما ، اذاً ، ابو طالب الجراحي ، وابو الحسن

الفلكي ، وقد بحثتُ عن ذكرٍ لهما ، في عددٍ من المصادر المكتوبة في القرن الرابع فلم احظ بشيء ، على ان د . ابراهيم الكيلاني محقق كتاب البصائر والذخائر ذكر أنّ ابن النديم ذكر الفلكي في فهرسته (الطبعة المصرية)[٣٥] ، وقد بحثتُ عنه في هذه الطبعة من الفهرست فلم اجد له ذكراً . وربما اتيحت لنا فرصة لتوسيع البحث عن هاتين الشخصيتين على نحو اكثر فائدة .

ومن المناسب انْ نذكر انّ ابن الطقطقى (ت ٧٠٩ هـ) اورد ذكر أبي طالب الجراحي ورسالته الى ابن العميد ابي الفضل[٣٦] التي أوردها التوحيدي قبله ، كما سنرى ، والنص الذي اورده ابن الطقطقى فيه اختلاف ، في مواضع ، عن النص الذي اورده التوحيدي مما يدلّ على انّ ابن الطقطقى نقله من مصدر آخر غير التوحيدي .[٣٧]

وقد أتى ابو حيان بنصوص قليلة جداً للرجلين ، هي ما ذكره من نص قصير قرأه لابي الحسن الفلكي جاء فيه : « فإنْ رأى انْ ينظر نَظَرَ راحمٍ متعطِّفٍ ، الى نادمٍ متلهِّف ، ويجعل العَفْوَ عن فَرْطَتِهِ وكفرانِهِ ، صدقةً عن بسطتِه وسلطانِهِ ، فاجدَرُ الناس بالاغتفار أقدَرُهم على الانتصار ، فَعَلَ ، إن شاء الله تعالى .»[٣٨]

ثم اردف هذا النص بقوله عن الفلكي : (وله مكاتباتٌ واسعةٌ بينه وبين رجلٍ من أهل المراغة يقال له : محمد بن ابراهيم ، من أهل (سُرَّ مَنْ رأى) ...)[٣٩] .

وقد اورد التوحيدي للفلكي رسالةً أخوانية ، قدّم لها ، بتعريفٍ موجز به ، في قوله : « كتب ابو الحسن الفلكي ، وكان بليغاً ، وكان بصرياً ، ومات بأذربيجان ، هكذا حدّثني شيوخ المراغة ، الى اخ من اخوانه : لو لم يكن الأنسُ ـ أعزّك الله ـ بيننا نسباً يوجب التشارك في الارواح ، دون سائر الأموال ، وما يُضَنُّ به من سائر الاملاك ، لكان يجبُ أنْ لا أنشدَ مشروباً من الراح سواك ، إذْ كنتَ أخاها في نجارها ، وكانت أخلاقُها أخلاقَك ، وأعراقُها أعراقَك التي حليّتَها بالاداب ، وفضلْتَها بكرم الانساب ، فكيف وأحوالنا فيما تملكهُ ، وأمورنا فيه متساوية ، ونحن ، أعزّك الله ، روحٌ اقتسمهُ جسمان ، ونفسٌ مثّلَ بها شخصان ، وانتَ بموضعِ الأنسِ والثّقة إذا أنقبض سائلٌ عن مسؤول ، فاحبُّ أنْ تأمُرَ لي بملء الظرف الذي مع الغلام ، وتتوصل بالاشراف عليه بوجهك ليزيدَ في رونقِهِ رونقُك ، وصفائه صفاؤك ، ويُباشر نسيمهُ منك نسيماً فيحمله إلينا ، وطيباً يمثل به لدينا ، ابو فلان ، فيجمع شمل السرور ، وهو شرابٌ تانٍ تلتذُّ منه قُرنهُ إذا التذَّ من ذلك شربه ، وهو والله يصفو صفاء الراح ، ويروقُ ، وأنا وحياتك اليه صبٌ مشوقٌ ، فان آثرتنا به زدتَ في احسانك ، وكان من شكرنا عن امتنانك ، وإنْ شاححتنا عليه ، سامحناك إيثاراً لهواك ، والتماساً لرضاك والسلام .»[٤٠] فالفاظه واضحة المعاني ، وتراكيبه بسيطة ، وسجعه غير متكلف ، مما بدا في هذه الرسالة وما سبقها من اسطر للفلكي .

ولم نحظ لابي طالب الجراحي الّا بنصّ واحد أورده ابو حيان في ضمن الرسائل التي اوردها في ذمّ أبي الفضل بن العميد ، والصاحب في كتابه (مثالب الوزيرين) او (أخلاق الوزيرين) ، لكون نص الجراحي قاله في ذم ابي الفضل بعد حادث حدث له معه ، وهذا النص رسالةٌ كتبها الجراحي الى ابي الفضل ذاماً إياه بعد الذي حصل بينهما مما نجده في قول ابي حيان الذي عرّف فيه بالجراحي واورد فيه فصلًا من كتابه الى ابي الفضل : « ورد ابو طالب الجرّاحيّ الكاتب بالري من العراق ، ولم يكن في عصره انطق منه لساناً وقلماً ، وهو من بيت علي بن عيسى الوزير ، فعرض نفسه عليه [٤١] ، فلما راى بسطته ولسانه وخطه وطلاقته ولطافته وأبوّتهُ وصناعته ، حسده واغتاظ منه ، وضاقت الدنيا به ، وعمل على ان يسمّه ، ففطن ابو طالب وكان فطناً ، فطوى الارض ، ووقع الى اذربيجان ، وصار الى ملك الديلم المرزبان بن محمد فعرف قدره ، وبسط يده ، واعلى كعبه ، ونوه باسمه ...

ولقد كتب اليه ابو طالب ، بعد هذا الحديث ، كتاباً قرأت فصلًا منه يقول فيه : « حدثني باي شيء تحتجُّ اذا طولبت بشرائط الرياسة التي انتحلتها ، واكرهت الناس على تسميتك بها ؟ اتدري ما الرياسة ؟ الرياسة ان يكون باب الرئيس مفتوحاً ، ومجلسه مغشياً ، وخيره مدركاً ، واحسانه فائضاً ، ووجهه مبسوطاً ، وكنفه مزوراً ، وخادمه مؤدباً ، وحاجبه كريماً ، وبوابه رفيقاً ، ودرهمه مبذولًا ، وخبزه ماكولًا ، وجاهه معرضاً ، وتذكرته مسودة بالصلات والجوائز ، وعلامات قضي الحوائج .

(أما) انت ، فبابك مقفل ، ومجلسك خالٍ ، وخبيرك مقنوط منه ، واحسانك منصرف عنه ، ووجهك عابس ، وبنانك يابس ، وكنفك حرج ، وخادمك مذموم ، وحاجبك هزازٌ ، وبوابك كلبٌ ، ودرهمك في الميُوق ، ورغيفك في منقطع التراب .... »[٤٢] ، وبعد ذلك يذكر ابو حيان مصدر هذا الخبر والنص بقوله : (هذا افادنيه جُريح ، وكان شاعراً من آذربيجان ..)[٤٣] .

فتتضح ، في هذا النص ، خصائص المدرسة العراقية في انطلاقها من الطبع ، والارتكاز على اللفظ القريب المأخذ ، الانيق ، والسجع الملائم للمعنى ، والتركيب الجزل الخالي من التعقيد ، والميل الى الترسل ، وغير ذلك من سمات ألمحنا اليها ، ووجدناها في النصوص التي أوردناها .

وبعد فان هذا البحث محاولة لتجاوز النظرات التقليدية المتعلقة بتاريخ النثر العربي من خلال تحديد ملامح فنية اولية للمدرسة العراقية في النثر العربي في ألقرن الرابع الهجري ، وهي خطوة تحتاج الى تعميق وتعزيز وتاكيد بدراسات جادة وعميقة عن النثر العربي وطرائقه التعبيرية .

الهوامش

(١) البقرة ١٤٣ .

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي : ٢٠٩ ، ابن العميد ٥٨ ، النثر الفني عند ابي حيان التوحيدي . ٥١ .

(٣) الادب في ظل بني بويه : ٢٩٢ ، الفن ومذاهبه . ٢٠١ ــ ٢٠٥ .

(٤) صور البديع : ١/١١٤ .

(٥) ابو حيان التوحيدي وجهوده الادبية والفنية : ٣٠٩ .

(٦) الامتاع والمؤانسة : ١/٦٤ .

(٧) م.ن : ١/٦٦ .

(٨) م.ن : ١/٦٧ .

(٩) النثر الفني عند ابي حيان التوحيدي : ٦٩ .

(١٠) هو علي بن محمد ابو القاسم الاسكافي النيسابوري ، كتاب خراسان ، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته ووفاته . البصائر والذخائر مج ٣ / ق ١ : ٢٤٣ ــ ٢٤٤ هامش (١) ، ويبدو انه معاصر للتوحيدي .

(١١) البصائر والذخائر مج ٣ / ق ١ : ٢٤٢ ــ ٢٤٤ .

(١٢) م.ن مج ٣ / ق ١ : ٢٤٤ .

(١٣) النثر الفني عند ابي حيان التوحيدي : ٢٠٨ ، ٢٢٦ .

(١٤) الاشارات الالهية : ٢٤٣ .

(١٥) الامتاع والمؤانسة : ١ / ٨٥ (١٦) ، (١٧) : م.ن : ١ / ٦٨

(١٩) ابو اسحاق الصابي ، حياته وادبه : ٢٠٢

(٢٠) تطور الاساليب النثرية : ٢٨٠ هامش (١) .

(٢١) م.ن . ٢٨٠ .

(٢٢) التاجي كتاب ألفه ابو اسحاق الصابي في تاريخ الديلم باسم (التاجي في اخبار الدولة الديلمية) ، لم يصل الينا كاملاً ، بل وصلت الينا قطعة منه نشرت بعنوان (المنتزع من كتاب التاجي) في بغداد ١٩٧٧ م .

(٢٣) ابو اسحاق الصابي : ٥٧ .

(٢٤) صور البديع : ١/١١٥ ، الادب في ظل بني بويه : ٢٩٢ ، الفن ومذاهبه : ٢١٧ .

(٢٥) الادب في ظل بني بويه : ٢٩٤ .

(٢٦) الفن ومذاهبه : ٢١٩ .

(٢٧) م.ن : ٢٢٠ .

(٢٨) م.ن : ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

(٢٩) ابو اسحاق الصابي : ١٩٥ .

(٣٠) المختار من رسائل الصابي : ٤٠٤ ــ ٤٠٥ .

(٣١) م.ن : ١٠٠ ــ ١٠١ وينظر م.ن : ١١٠ .

(٣٢) المنتزع من كتاب التاجي : ٢٧ .

(٣٣) ابو حيان التوحيدي وجهوده ـ ٣٠٩ .

(٣٤) الامتاع والمؤانسة : ١/٦٨ ــ ٦٩ .

(٣٥) البصائر والذخائر : ١/٢٠٤ هامش ٤ .

(٣٦) الفخري في الاداب السلطانية : ٦٦ ــ ٦٧ .

(٣٧) اخلاق الوزيرين : ٣٢٦ هامش (٣) . (٣٨) . (٣٩) . الامتاع والمؤانسة : ١ /٦٩ .

(٤٠) البصائر والذخائر : ١/٢٠٤ ــ ٢٠٥ .

(٤١) أي على ابي الفضل بن العميد .

(٤٢) اخلاق الوزيرين : ٣٢٢ ــ ٣٢٤ وينظر الفخري : ٦٦ ــ ٦٧ .

(٤٣) م.ن : ٣٢٦ .

مصادر البحث ومراجعه :

١ ــ ابن العميد : خليل مردم . مكتبة عرفة ومطبعة الاعتدال . دمشق ١٩٣١ م .

٢ ــ ابو اسحاق الصابي ، حياته وادبه : مهدي صالح محمد البدري . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب . جامعة بغداد . بغداد ١٩٧٦ م .

٣ ــ ابو حيان التوحيدي وجهوده الادبية والفنية : د . عبد الواحد حسن الشيخ . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الاسكندرية . ١٩٨٠ م .

٤ ــ اخلاق الوزيرين : ابو حيان التوحيدي ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي . مطبوعات المجمع العلمي العربي . دمشق . ١٩٦٥ م .

٥ ــ الادب في ظل بني بويه : محمود غناوي الزهيري ، مطبعة الامانة . القاهرة . ١٩٤٩ م .

٦ ــ الاشارات الالهية : ابو حيان التوحيدي . تحقيق : د . وداد القاضي . دار الثقافة . بيروت . ١٩٧٣ م .

٧ ــ الامتاع والمؤانسة : ابو حيان التوحيدي . تحقيق احمد امين واحمد الزين . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . ١٩٥٣ م .

٨ ــ البصائر والذخائر : ابو حيان التوحيدي . تحقيق : د . ابراهيم الكيلاني . مكتبة أطلس ومطبعة الانشاء . دمشق . ١٩٦٤ م .

٩ ــ تطور الاساليب النثرية في الأدب العربي : انيس المقدسي . دار العلم للملايين . بيروت . ط ٤ . ١٩٦٨ م .

١٠ ــ صور البديع ، فن الاسجاع : علي الجندي . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٥١ م .

١١ ــ الفخري في الاداب السلطانية ــ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي تصحيح هرتويغ درنبرغ . مطبعة مرسو . شالون ١٨٩٤ م .

١٢ ــ الفن ومذاهبه في النثر العربي : د . شوقي ضيف . دار المعارف بمصر ، ط ٦ ١٩٧١ م .

١٣ ــ المختار من رسائل ابي اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابي : نقحه وعلق على حواشيه الامير شكيب أرسلان دار النهضة الحديثة . تاريخ .

١٤ ــ المنتزع من كتاب التاجي لابي اسحق الصابي : تحقيق وشرح . د . محمد حسين الزبيدي ، وزارة الاعلام . بغداد . ١٩٧٧ م .

١٥ ــ النثر الفني عند أبي حيان التوحيدي : فائز طه عمر . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الاداب / جامعة بغداد . ١٩٨٣ م .

شرح لامية الأفعال

نظم المتن

الامام جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الاندلسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ

وشرحه ابنه العالم بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ

حققه على مخطوطة نفيسة كتبت سنة ٧٠٧ هـ
الاستاذ هلال ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

ناظم اللامية(*) :

هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الاندلسي مولدا ، الدمشقي مدفنا . و « جيان » هذه التي نسب اليها كانت كورة تقع شرقي قرطبة . مولده على الاغلب بين عامي ٥٩٨ هـ - ٦٠١ هـ . ولما جبل عليه من حب للعلم وللامن معاً ، آثر هجرة وطنه - الذي كانت تتقاذفه الصراعات السياسية - الى المشرق طلباً للعلم والامن معاً . فاستقر مدة في مصر ثم اضطربت الاحوال فيها ايام الكامل بن العادل ، فغادرها لتادية فريضة الحج ، وعند عودته آثر الاستقرار بحلب التي كانت تزخر بالعلماء كابن يعيش « شارح المفصل » ثم انتقل الى حماة ، وانتهى به المطاف الى دمشق حيث الامن الذي سعى اليه فاستوطنها . عاصر ابن مالك نهاية الدولة الايوبية ، وقيام دولة المماليك ، كما عاش شطراً من حياته في ظل سلطنة الظاهر بيبرس(١) وتوفي في اثنائها . في حلب كان قد تصدر لإقراء العربية وام بالمدرسة الظاهرية . وفي دمشق اشتغل بالتصنيف والتدريس بالجامع والمدرسة العادلية التي تولى مشيختها الكبرى .

شيوخه :

فاما شيوخه ففي جيان اخذ القراءات والنحو عن ثابت بن خيار ، (ت ٦٢٨ هـ) كما اخذ عن أبي رزين بن ثابت القلاعي وأبي العباس احمد بن نوار و محمد بن مالك المرشاني .

وفي دمشق أخذ عن الحسن بن صباح المخزومي (ت ٦٣٢ هـ) ، ونجم الدين مكرم بن محمد القرشي الدمشقي ، وكان عالماً محدثاً (ت ٦٢٥ هـ) و محمد بن أبي الفضل المرسي ، وسمع من الامام علي بن محمد السخاوي النحوي المقرىء وكان من ائمة اللغة والنحو والتفسير والفقه (ت ٦٤٣ هـ) . وفي حلب اخذ عن عالمها الاشهر يعيش بن علي بن يعيش الحلبي « شارح المفصل » وهو من اكابر علماء العربية(٢) .

خلائقه :

كان صدوقاً تقياً ورعاً حسن السمت كثير النوافل عرف بعقله ووقاره ورقة قلبه . وكان لا يرى الا وهو يصلي او يتلو او يصنف او يقرأ .

تلامذته(٣) :

روى عنه ولده بدر الدين محمد ، وشمس الدين بن جعوان ، وشمس الدين محمد بن ابي الفتح ، وابن العطار ، وزين الدين ابو بكر المزي ، والشيخ ابو الحسين اليونيني ، وابو عبد الله الصيرفي ، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، وشهاب الدين محمود ، وشهاب الدين ابن غانم ، وناصر الدين شافع ، وزين الدين ابن المنجا ، وبهاء الدين بن النحاس وابو بكر بن يعقوب ، وخلق سواهم .

مكانته العلمية :

كان ابن مالك من ائمة العلم في زمنه ، قال عنه الصفدي : « صرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ منه الغاية واربى على المتقدمين ، وكان إماماً في القراءات وعللها وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية . واما اللغة فكان اليه

المنتهى فيها »[٤] .

وقال عنه محمد بن محمد ابن الجزري : هو « إمام زمانه في العربية »[٥] .

وقال عنه السيوطي : « وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يجارى ، وحبراً لا يبارى ، واما اشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الائمة الاعلام يتحيرون فيه ، ويعجبون من اين يأتي بها »[٦] .

وقال عنه الذهبي ، « واحد المصر في علم اللسان »[٧] .

وقال عنه السُبكي : « وهو حبرها السائرة مصنفاته مسير الشمس ، ومقدمها الذي تصغي له الحواس الخمس ، وكان إماماً في اللغة ، إماماً في حفظ الشواهد وضبطها ، إماماً في القراءات وعللها »[٨] .

حتى صح فيه القول : انه كان اعلم اهل زمانه باللغة والنحو والقراءات والصرف وغيرها ، وكان الى ذلك شاعراً وناثراً .

وفاته :

توفي ابن مالك ـ رحمه الله ـ بدمشق في ثاني عشر شعبان سنة ٦٧٢ هـ ، ودفن بسفح قاسيون . ورثاه عدد من شعراء عصره من بينهم تلميذه : بهاء الدين محمد بن ابراهيم ابن النحاس الحلبي[٩] وشرف الدين الحصني[١٠] ومجد الدين ابن الظهير الاربلي[١١] والشيخ محمد بن عبد الرحمن السلمي الحنفي[١٢] وتقي الدين حسين[١٣] وسواهم .

آثاره :

ناهزت مصنفات ابن مالك الخمسين كتاباً ، وسنكتفي في هذه المقدمة المركزة بالاشارة الى ما طبع منها :

١ ـ ارجوزة في الفرق بين الضاد والظاء : حققها طه محسن ـ مجلة المورد العدد الثالث ـ المجلد الخامس عشر ـ ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٢ ـ الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد ـ حققه طه محسن وحسين تورال ـ النجف ١٩٧٢ م .

٣ ـ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ـ حققه حاتم الضامن ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣ المجلد ٣١ ـ ١٩٨١ م .

٤ ـ إكمال الاعلام بتثليث الكلام ـ حققه سعد بن حمدان الغامدي ـ جدة ـ ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٥ ـ الالفية المسماة « الخلاصة في النحو » ـ طبعت طبعات كثيرة ومنها طبعة بتحقيق محمد مفيد الخيمي ـ دمشق ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٦ ـ تحفة المودود في المقصور والممدود ـ طبعت اولاً بعناية ابراهيم اليازجي ـ القاهرة ١٣١٥ هـ = ١٨٩٧ م ثم طبعت في ذيل كتاب « إكمال الاعلام بتثليث الكلام » بتصحيح احمد بن الامين الشنقيطي ـ القاهرة ١٣٢٩ هـ .

٧ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ـ حققه محمد كامل بركات ـ القاهرة ١٩٦٧ م .

٨ ـ ذكر معاني ابنية الاسماء الموجودة في المفصل للزمخشري ـ حققه محمد وجيه تكريتي ـ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ـ عمان العدد ٣٣ ـ ١٩٨٧ م .

٩ ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ـ حققه عدنان عبد الرحمن الدوري ـ بغداد ـ مطبوعات وزارة الاوقاف ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٧ م .

١٠ ـ شرح الكافية الشافية ـ حققه عبد المنعم احمد هريدي ـ مكة المكرمة ـ جامعة ام القرى ـ وقع في خمسة اجزاء .

١١ ـ شرح النظم الاوجز في ما يهمز وما لا يهمز ـ حققه علي حسين البواب ـ الرياض ـ ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م .

١٢ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ـ حققه طه محسن ـ بغداد ـ مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ .

١٣ ـ لامية الافعال ـ نشرت بشرح ابنه بدر الدين ، وسنتحدث عنها في فقرة لاحقة .

١٤ ـ مثلثات الافعال لابن مالك وزوائده للبعلي ـ حققه سليمان العايد ـ السعودية .

١٥ ـ ومما نشر منسوباً اليه منظومة فيما ورد من الافعال بالواو والياء . نشرت هذه المنظومة ـ بدون تحقيق ـ في « مجموع مهمات المتون » الطبعة الرابعة ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي منسوبة لابن مالك وعدتها ٦٧ بيتاً . كما نشرت في كتاب « المزهر » للسيوطي ٢ / ٢٧٩ ـ ٢٨٢ منسوبة لابن مالك ايضاً وعدتها دون الخمسين بيتاً . وقد لاحظنا ان هذه المنظومة قد نسبت في عدد من المصادر الى الشاعر يوسف بن اسماعيل الشواء الحلبي (ت ٦٣٥ هـ) . ومخطوطاتها متدافعة بعضها منسوبة للشواء وبعضها لابن مالك . وفي بعض المصادر ان منظومة الشواء هذه شرحها بهاء الدين ابن النحاس الحلبي . والامر محتاج الى مزيد من التحقيق للفصل فيه[١٤] .

ترجمة الشارح :

شارح اللامية هو ابن ناظمها بدر الدين محمد كان ذكياً إماماً في النحو وعلم المعاني والمنطق ، جيد المشاركة في الفقه والتدريس . وقد تصدر بعد والده للتدريس ، واعتبط شاباً سنة ٦٨٦ هـ . ومن اجل تصانيفه شرحه على الفية والده ، وهو كتاب في غاية الاغلاق ، ويقال : انه نظير الرضي في شرح الكافية . وللمصنفين عليه حواش كثيرة .

ومن مصنفاته « المصباح » في المعاني والبيان وقد طبع « روض الاذهان » في المعاني (مخطوط) . ولد في دمشق

وتوفي فيها وكان قد سكن بعلبك مدة(١٥) .

هذا الكتاب : وهذا الكتاب كان قد نشره المستشرق فولك في لايبزك سنة ١٨٦٦ واعاد نشره ـ دون اعتماد مخطوطة ما ـ حسام سعيد النعيمي في العدد الرابع من مجلة كلية الدراسات الاسلامية ـ بغداد ١٩٧٢ . وقدم لنشرته بالاتي : « رايت ان اعيد نشره بعد تدارك الامور المتعلقة بالناحية الفنية والاملائية في الطبع ككتابة الهمزة وتنقيط العبارات ووضع الفوارز وكتابة الابيات الشعرية بصورة صحيحة حيث جاء المطبوع خالياً من التنقيط والفوارز ووردت الابيات على شكل النثر بحيث جاء اول البيت مثلاً في اخر السطر والباقي في اول السطر الثاني » .

ونشرة فولك اغفلت شكل النص وضبطه بالحركات اغفالاً تاماً وعلى هذا جرى السيد حسام النعيمي في الاغلب ، ومعلوم ان اي نص في الصرف لا يمكن ان يفهم اصلاً بلا ضبط بالحركات . هذا من جهة كما ان الطبعتين قد خلتا تماماً من ابسط قواعد التحقيق العلمي مثل تقديم النص وتحقيق ما فيه من شعر وايات وتخريجها وذكر ارقام اوراق المخطوط المعتمدة . بل لم نجد في نشرة السيد حسام النعيمي اية اشارة الى المخطوطة التي اعتمدها فولك في نشرته ولا انموذجاً منها ومظنة وجودها ، مما يصح معه القول بان نشرتنا هذه التي اعتمدت مخطوطة محفوظ اصلها في الاستانة ـ بمكتبة احمد الثالث برقم ١٠٩٦ نسخها محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي الشافعي سنة سبع وسبعمائة ، وهي ضمن مجموع تشغل منه الورقات ٢٣٦ ـ ٢٤٧ ، هي النشرة العلمية الاولى لكتاب : « شرح لامية الافعال » .

وقد اثبت مع نشرتي هذه انموذجاً من المخطوطة المعتمدة وانموذجاً من نشرة السيد حسام النعيمي للتدليل على صحة ما ذكرت .

ثم اني ارجو ان يكون تحقيقي ونشري هذا الاثر النفيس من اثار ابن مالك وفاء لرجل انتهى عليه علم العربية في زمنه ـ رحمه الله وايانا ـ واسكنه فسيح جناته ، وان يكون الكتاب مرجعاً في بابه ينتفع منه الدارسون والمصنفون والحمد لله اولاً واخراً وباطناً وظاهراً .

هوامش الدراسة

- عن سيرة الناظم واثاره انظر المصادر التالية :

تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ـ الترجمة العربية ٥ / ٢٧٥ ـ ٢٩٦ و ١٨٥ . المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع : محمد عيسى صالحة ٥ / ١٧ ـ ٢١ .

دائرة المعارف الاسلامية : هوتسما ورفقاؤه ـ الطبعة العربية الثانية ١ / ٣٨١ ـ ٣٨٣ ـ حرر ترجمته محمد بن شنب .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة : احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده ١ / ١٣٦ ـ ١٣٨ .

الفلاكة والمفلوكون : احمد بن علي الدلجي ص ٨٦ ـ ٨٧ .

البلغة في تاريخ ائمة اللغة : الفيروز ابادي ط ٢ ص ٢٠١ .

الاعلام : الزركلي ٧ / ١١١ .

الوافي بالوفيات : الصفدي ٣ / ٣٦٠ .

فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي ٣ / ٤٠٧ ـ ٤٠٩ .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان : اليافعي ٤ / ١٧٢ ـ ١٧٣ .

غاية النهاية : ابن الجزري ٢ / ١٨٠ ـ ١٨١ .

طبقات النحاة واللغويين : ابن قاضي شهبة : حققه محسن غياض ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

بغية الوعاة ١ / ١٣١ ـ ١٣٤ .

البداية والنهاية : ابن كثير ١٣ / ٢٦٧ .

شذرات الذهب : ابن عبد الحي الحنبلي ٥ / ٣٣٩ .

نفح الطيب : المقري : تحقيق احسان عباس ٢ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

السلوك لمعرفة دول الملوك : المقريزي : حققه محمد مصطفى زيادة ١ / ٦١٣ .

ابن يعيش النحوي : عبد الاله نبهان ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(١) حكم الظاهر بيبرس بين عامي ٦٥٨ ـ ٦٧٩ هـ .

(٢) حول شيوخه انظر مصادر ترجمته التي تقدم ذكرها ، وما كتبه محمد بن ابي شنب في دائرة المعارف الاسلامية . وحول ابن يعيش انظر الدراسة العلمية الموسعة التي كتبها عنه د . عبد الاله نبهان بعنوان « ابن يعيش النحوي ـ دمشق ١٩٩٧ .

(٣) الوافي بالوفيات ٣ / ٣٦٢ .

(٤) الوافي بالوفيات ٣ / ٣٥٩ .

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ١٨٠ .

(٦) بغية الوعاة ١ / ١٣٠ .

(٧) العبر في خبر من غبر ٥ / ٣٠٠ .

(٨) طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٦٧ .

(٩) بغية الوعاة ١ / ١٣٧ .

(١٠) بغية الوعاة ١ / ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(١١) اشار اليها ابن قاضي شهبة في طبقاته ص ١٣٥ ولا وجود لها في ديوانه المجموع .

(١٢) ذيل مرآة الزمان لليونيني ٣ / ٧٦ ـ ٧٧ .

(١٣) انظر مرثاته في ذيل مرآة الزمان ٣ / ٧٨ ـ ٧٩ .

(١٤) في بغية الوعاة للسيوطي ١ / ١٣١ ـ ١٣٢ منظومة لبعضهم اوردها السيوطي نقلاً عن تذكرة تاج الدين بن مكتوم ، سرد الناظم فيها مؤلفات ابن مالك ، وفي البغية ١ / ١٣٣ تذييل على هذه المنظومة .

(١٥) انظر نفح الطيب ٢ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤ والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٧٣ والاعلام ٧ / ٢٦٠ ومصادره ثمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد [و] على آل محمد وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

رب زدني علماً[1]

قال الشيخ العالم[2] بدر الدين محمد ابن الامام[3] جمال الدين محمد بن عبد الله[4] بن مالك رحمهما[5] الله تعالى[6] : هذه اوراق تشتمل على قصيدة والدي رحمه الله تعالى[7] في ابنية الافعال وما يتصل بها ، وعلى ذكر ما يحتاج اليه من الامثلة ، وايضاح ما استبهم ، وتفسير الغريب[8] .

الحمدُ للّه لا أبغي به بدلا ... حمداً يبلّغ من رضوانه الأملا
ثمّ الصلاة على خير الورى وعلى ... ساداتنا آلِه وصحبه الفُضلا
وبعدُ فالفعلُ من يحكم تصرّفه ... يَحُزْ من اللغة الأبواب والسُّبلا
فهاك نظماً محيطاً بالمهمّ وقد ... يحوي التفاصيل من يستحضر الجملا

باب ابنية الفعل المُجرّد وتصاريفه

بفَعُلَ الفعل ذو التجريد او فَعَلا ... يأتي ومكسور عين او على فَعِلا

الفعل المجرد من الزوائد على ضربين ثلاثي ورباعي وما ليس مفرعاً ببنائه للمفعول او الامر ، للثلاثي منه ثلاثة ابنية فعل بفتح الاول والثاني[9] نحو[10] : ضَرَبَ وذَهَبَ . وفَعِل بفتح الاول وكسر الثاني نحو : عَلِمَ وسَلِمَ . وفَعُل بفتح الاول وضم الثاني نحو : ظَرُفَ وشَرُفَ وللرباعي منه وزن واحد فَعْلَل بفتح الاول والثالث نحو : دَحْرَجَ وسَرْهَجَ .

والضمّ من فَعُلَ الزَمْ في المضارع وافـ ... ـتح موضع الكسر في المبني من فَعِلا

وجهان فيه من احسب مع وَغِرْتَ وحِرْتَ انعم بئِست يئِست اوله يَبِس وهلا .

وافرد الكسر في ما من وَرِثْ وَوَلِـ ... ـيَ وَرِمْ ورِعْتَ ومِقْتَ مع وفِقْتَ جلا[11]
وثِقْتَ مع وَرِيَ المخّ احوِهما وابنِ ... كسراً لعين مضارع يلي فَعَلا

بناء المضارع من فعل على يفعل بضم العين نحو شرُف يشرُف وظرف يظرف ، ولم يجيء على غير ذلك . وبناؤه من فعِل على يفعل بفتح العين نحو : علم يعلم وسلم يسلم ، وقد تكسر شذوذاً مع مجيء الاصل وعدمه .

فالاول في تسعة افعال وهي : حَسِب يحسِب ويحسَب ، ووغِر صدره يَغِر ويَوْغَر ، ووَحِر يحِر ويَوْحَر : اذا توقّد ، ونعِم يَنْعَم وينْعِم نعْمة : نضر ، وبئِس يَبْئِس ويَبْأس : ساءت حاله ، ويَئِس يَيْئِس ويَيْأس (٢٣٦آ) انقطع امله والشيء علِقه ، [ومنه « افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً »][12] .

ووَلِهَ يَلِهُ ويَوْلَهُ : ذهبَ عقلُه لفقدِ ولدٍ او حبيب ، ويَبِس الشيء يَبِس ويَيْبَس : ذهبت ندوته ؛ ووَهِل يَهِل ويَوْهَل جبُن ، وفي الشيء و [وهل][13] وعنه : نسيَه .

والثاني في ثمانية افعال وهي : وَرِث يَرِث ووَلِي الامر يليه ولاية كالإمارة[14] ونحوها والشيء وَلْياً قرب منه . وورم الجرح يَرِم [انتفخ][15] وورع الرجل يرَع وَرَعاً ورِعَة كف عن المعاصي فهو ورع ، وحكى[16] سيبويه : ورع يَوْرَع لغةً ، وومق الشيء يمِقُه مِقَةً احبه ، ووفِق الفرس يفِق [حسن][17] ، ووثِق به يثِقُ ثِقَةً اعتمد عليه . ووَرِي المُخّ يرِى اذا اكتنز ، وقيّد هذا الفعل بالاسناد الى المُخّ احترازاً[18] من ورى الزنْدُ يرى ، فان كسر عين مضارعه ليس على الشذوذ ، بل على تداخل اللغتين والاستغناء بمضارع من قال وَرَى الزند بالفتح عن مضارع من قال وري بالكسر فلهذا لم يُؤكّد[19] مع ما شذ الكسر في عين مضارعه بخلاف وري المخُّ لانه لم يسمع في ماضيه الا كسْر العين . قوله : احوِهما معناه احفظهما . وقوله : « وابنِ كسراً لعين مضارع يلي فَعَلا » ابتداء لبيان[20] ما يجيء عليه مثال المضارع من فَعَل وتتمتُه .

ذا الواو فاءً او اليا عيْناً او كأتى ... كذا المضاعف لازماً كحَنْ طَلا

والمعنى : انه يلزم كسر عين المضارع من فَعَل[21] فيجيء على يفعِل اذا كانت فاؤه واواً او عينُه او لامه ياءً او كان مضاعفاً لازماً غير ما نبّه[22] على مجيئه بالضمّ . فالذي فاؤه واو وَعَد يَعِد ووقَد يقِد وكان الاصل يَوْعِد ويَوْقِد[23] فاستُثْقِل وقوع الواو ساكنة بين ياءٍ مفتوحة وكسرةٍ لازمة فحذفت ، وحمل على ذي الياء اخواته والامر[24] والمصدر فقيل : (أعِدُ ونَعِد وتَعِد وعِد عِدَة)[25] حملًا على يَعِدُ . والذي عينُه او لامُه ياء نحو كال يكيل ومال يميل ورمى يرمي وحمى يحمي .

واما المضاعف اللازم فنحو حَنَّ [يحِنّ][26] وأنّ يئِنّ وكلّه تلزم[27] عين مضارعه الكسر الا ما يذكر بعد في قوله : « واضممنْ مع اللزوم » في امرُرْ به وجَلّ مثل جَلا[28]» فيما يليه .

وضُمّ عين مُعَدّاة ويندُرُ ذا ... كسرٍ ذا ضمّ احتُمِلا

يجب ضم عين مضارع فَعَل من المضاعف المتعدي فتجيء على يفعُل نحو : سل الشيء يسله ، وحله يحله . وقد ندر الكسر في افعال من المتعدي ، كما ندر الضم في افعال من اللازم فتحفظ ولا يقاس عليها . وقد بين ما ندر في الكسر بقوله :

فـنو التـعدي بكسـر حبّـه زع ذا
وجهين هـر وشد علـه علـلا(٢٣٦ ب)
وبتّ قطعــاً ونم واضممْ مـع الـ
لـزوم أمرر بـه وجـلْ مثـل جـلا

شذ بالكسر وحده مضارع حَبَّ يقال : حبّه يحبُّه بمعنى احبّه وعليه قراءة العطاردي[29] « فاتّبعوني يحبكم الله »[30]، وما سواه من اخواته ففيه لغتان : الكسر شذوذاً والضم على القياس . وتلك خمسة افعال : هر الشيء يهرُّ ويهرُّه : كرهه[31] . وشدُّ المتاع يشدّه ويشدّه . وعله بالشراب يعله ويعله عللا سقاه بعد نهل . وبتّ الحكم والطلاق وغيرهما يبتُّه ويبتُّه قطعه ونمّ الحديث[32] ينمُّه وينمهُ (نمّ به ووشى)[33] .

ولما فرغ من ذكر ما ندر كسر عين مضارعه من فعل المضاعف المتعدي ، اخذ[34] في ذكر ما ندر ضمُّ عين مضارعه من فَعل المضاعف اللازم فقال : « واضمُمْنُ مع اللزوم في امرر به وجل مثل جلا »[35] ، وتتمته :

هبّت ونزت، واجّ كـرّ همّ بـه
وعمّ زمّ وسـخ مـلّ اي نُمـلا
والّ نشـاً وصـرخـاً شـكّ أبّ وشـ
دّ اي عـدا شقّ خشّ غـلّ اي نخـلا
وقشّ قـوم عليـه الليـلُ جنّ وزْ
شّ المـزْنُ طشّ وتـلّ اصلُـه تَلـلا
اي راثَ طـلّ دم خبّ الحصـانُ ونبـ
ت كمّ نخـل وعست نـاقـة بخَـلا
قّست كـذا وع وجْهَين صَـدُ اثّ وحُـ
رّ الصُلدُ حبُت[36] وشَرّت جَدُّ من عمـلا
تـرّت وطـرّت وذرّت جمّ شبّ حصـا
ن عنّ فَحّت وشـذّ شـخ اي بخَـلا
وشَطّت الـدارُ نسّ الشيءُ حـزّ نهـا
ر والمضـارع من فعلّت ان جُعِـلا

هذه الافعال ضربان : احدهما التُزم ضَمُّ عين مضارعه ، والاخر جاء بالوجهين . اما الضرب الاول : فثمانية وعشرون فعلاً وهي : مَرّ به يمُرّ . وجلّ الرجل عن منزله يجلّ بمعنى جلا اي اخلاه وزحَل عنه . وهبّت الريح تهُبّ ، وذرّت الشمس تذرُّ اي طلعَتْ . واجّت النار تؤجّ اجيجا صوّتت ، والرجِل اجاً : اسرع . وكر عليه يكرُّ رجَع . وهمّ به يهم قصده بهمّه . وعمّ النبت يعم طال . وزمّ بانفه يزم زماً تكبرّ . وسَخّ المطر والدمع يسُخّ سَحّاً نزل بكثرة . ومل يملُّ اذا نمَل اي اسرع . والّ اللون يؤلّ الّا[37] : صفا وبرق ، والانسان اليلا : صوت وشكُ في الامر يشكّ . وأبّ يؤبّ اباً وأبابا تهيأ للذهاب . وشدُ يشدُ شَداً : عداً . وشقّ[38] عليه الامر يشق مشقّةً : اضر به . وخشّ في الشيء يخشّ خَشّاً : دخَلَ وغل فيه يغُلّ كذلك ، وقشّ القوم يقشون قَشّاً خسُنت حالهُم بعد بؤس وجَنّ عليه الليل[39] (٢٣٧ آ) يجُن جناناً وجُنوناً ستَره . وزشّ المُزْنُ يزُشّ امطَر . وطش يطُشّ كذلك . وتلّ الحيوان يتُلّ تلّا رات . وطلّ دمه يطُلّ طَلّاً : هَدَر . وخَبّ الفرسُ[40] يخبّ خبّاً وخَبَباً دون الاسراع[41] ، والنبات : طال . وكمّ النخل يكُمّ كُموماً وكمّاً اطلع . وعست الناقة تعُسّ عَسّاً وعَسيساً رعَتْ وحدها ، وقسّت تقُسّ كذلك .

واما الضَرْب الثاني فثمانية عشر فعلاً وهي : صَدّ عن الشيء يصُدّ ويصِدّ اعرض . واثّ النبات والشعر يؤثّ ويئثُ اثاً وأثاثاً : كثُرَ والتفّ . وحرّ الشيء يحُر ويحرّ خُروراً سقط . وحدّت المرأة على زوجها تحُدّ وتجِدّ جداداً : اذا تركت الزينة لموته . وثرّت العين تثُرّ وتثِرّ ثرارة وثُرورة وثَرّاً : غَزُرَتْ والناقة كذلك . وجَدّ في الامر يجُد ويجِد جِدّاً : عَزم عليه . وترّت النواةُ تتر وتتِرّ تُروراً : وثَبتْ[42] . وطرّت اليد تطُرّ وتطِرّ طُروراً طارت عند القطع . ودرّت الناقة تدُر وتدِرّ دَرّاً : جرى لبَنُها كثيراً ودَرّ اللبنُ ايضاً . وجمّ الشيءُ يجُمّ ويجِمّ جماماً وجُموماً : كثُرَ وشَبّ الحصان يشُبّ ويشِبّ شباباً وشَبيباً : ارتفع على رجليه وعَنّ الشيء يعُنّ ويعِنّ عَنناً[43] وعنوناً عرض . وفَحّت الافعى تفُحّ وتفِحّ فَحيحاً صَوّتت بفمها . وشَذّ الشيء يشُذّ ويشِذّ شذوذاً : انفرد . وشحّ يشُحّ ويشِحّ شُحّاً بَخِل . وشطّت الدار تشُطّ وتشِطّ شطوطاً : بَعُدت . ونَسّ الخبزُ واللحمُ ينُسّ وينِس نَسّاً : يَبِس . وحزّ النهار يحُزّ ويحِز حَزّاً : حَمِيَت شَمْسُه[44] . قوله[45] : والمضارع من فعلت ان جعلا ابتداء لبيان ما يلزم ضَمّ عين مضارعه من فعل ، وتمامه :

عَينـاً لـه الـواو او لامـاً يُجـاء بـه
مضمـوم عينٍ وهـذا الحكم قـد بُـذِلا
لمـا بِبَـذُ مفـاخِـرٍ وليس لـه
داعي لزوم انكسار العين نحو : قلا

وحاصله انه يجب ضم عين المضارع من فعل اذا كانت عينه او لامه واواً نحو : قام يقوم وقال يقول وحدا يحدو وغزا يغزو . واذا[46] كان دالّاً على غلبة المفاخر وليست فاؤه واواً ولا عينه ولا لامه ياء وذلك نحو سابقني[47] فسبقته فانا اسبقه اي فاخرني في السبق ففخرته وفقته فيه ، ومثله : جالدني فجلدته فانا اجلده ، وخاصمني فخصمته فانا اخصمه اي افوقه في الجلد والخصومة . (٢٣٧ ب) .

فان كانت الفاء من هذا النوع واواً ، او العين او اللام ياء تعين كسر عين[48] مضارعه ، تقول : واعدني فوعدته فانا اعده ، وبايعني فبعته فانا ابيعه ، وقالاني فقليته فانا اقليه .

وفتـح مـا حـرف حلق غيـر اولـه
عن الكسـائي في ذا النـوع قـد حصـلا

مذهب الكسائي[49] ان فعل الدال على الغلبة منع[50] من ضم عين مضارعه استحقاق فتحها لكون عين الفعل او لامه من

حروف الحلق وهي : الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، كما منع من ضم عينه(٥١) استحقاق الكسر لكون الفاء واواً او العين او اللام ياء فتقول(٥٢) : فاهمني ففهمته فانا افهمه ، وهازأني فهزأته فانا اهزأه ، وصارعني فصرعته فانا اصرعه ، على قياس ما سواه من نظائره . ومذهب غير الكسائي انه لا اثر لحرف(٥٣) الحلق في هذا النوع ، ويدل على صحة مذهبهم قول العرب : شاعرني فشمرته فانا اشمره بضم العين .

في غير هذا لدى الحلقي فتحاً اشع
بالاتفاق كأت صيغ من سالا
ان لم يضاعف ولم يشهر بكسرة او
ضم كتبغي(٥٤) وما صرفت من نخلا

ما ليس لغلبة المفاخر من فعل الحلقي العين او اللام فلا خلاف في ان حق عين مضارعه الفتح ما لم يكن مضاعفاً نحو(٥٥) سح وشح ودع وكع ، او مشتهراً بالكسر او الضم نحو نأمَ ينئِم وهنأ يهنِيء ورجع يرجع وقعد يقعد رشخب يشخب وبرأ يبرؤ وصلح يصلح ونفخ ينفخ . فهذا ونحوه يحفظ ولا يعدى به السماع . وما لم يشتهر باحد(٥٦) الامرين فقياسه الفتح نحو سال يسال وثار يثار وذهب يذهب وبعث يبعث وفغز يفغز(٥٧) ونحر ينحر وفخز يفخز وقرأ يقرأ وبدأ يبدأ وجبه يجبه(٥٨) وقلع يقلع ونزع ينزع وكلح يكلح وفسخ يفسخ .

وربما جاء مع الفتح غيره نحو : نضح ينضح وينضِح ، ومنح يمنَح ويمنِح ، وجنح يجنَح ويجنِح ، وصبغ يصبَغ ويصبُغ ، ودبغ يدبَغ ويدبُغ ، ومحوت الكتاب امحاه وامحوه . وقالوا : رجح الدينار يرجَح ويرجِح ويرجُح ، ونبع الماء ينبَع وينبِع وينبُع .

عين المضارع من فعلت حيث خلا
من جالب الفتح كالمبني من عتلا
فاكسر او اضمم اذا تعيين بعضهما
لفقد شهرة او داع قد اعتزلا(٢٣٨ آ)

اذا خلا فعل من ان يكون عينه او لامه حرف حلق امتنع فتح عين مضارعه وجاز فيها وجهان : الكسر والضم ما لم يمنع من احدهما مانع فيتعين الاخر . ويمنع من الكسر شهرة الضم كما في خرج يخرج وخلق يخلق وقتل يقتل ، او كون الفعل دالًا على الغلبة او ما عينه او لامه واو .

ويمنع من الضم شهرة الكسر كما في ضرب يضرب وجلس يجلس وحبس يحبس ، او كون الفعل مما فاؤه واو او عينه او لامه ياء . وعلى هذا نبه بقوله :

فاكسر او اضمم اذا تعيين بعضهما
لفقد شهرة او داع قد اعتزلا(٥٩)

اي : اجز الوجهين اذا اعتزل تعيين احدهما لفقد شهرته او لفقد الداعي الى لزومه .

وانقل لفاء الثلاثي شكل عين اذا
اعتلت وكان بتا الاضمار متصلا
او نونه واذا فتحاً يكون فمنـ
ـه اعتض مجانس تلك العين منتقلًا

اذا اتصل بالفعل [الماضي](٦٠) تاء الضمير او نونه سكن اخره كقولك : ضربت وضربن . فإن كان ثلاثياً معتل العين [حذف](٦١) بابدالها الفاً التقى(٦٢) اذ ذاك ساكنان ووجب حذف العين بعد نقل حركتها ان كانت ضمة او كسرة الى الفاء تنبيهاً على وزن الفعل . وان كانت فتحة ابدلت بضمة(٦٣) فيما عينه واو وبكسرة(٦٤) فيما عينه ياء ونقلت الى الفاء تنبيهاً على المحذوف فتقول في طال وخاف وهاب وقال وباع : طلت وخفت وهبت وقلت وبعت . اما طال فاصله طول على وزن فعل لانه ضد قصر ولمجيء اسم الفاعل منه على طويل ، فلما اتصلت به التاء وسكن اخره حذفت الفه بعد نقل الحركة المقدرة عليها الى الفاء فصار طلت .

واما خاف وهاب فاصلهما خوِف وهيِب على وزن فعِل لمجيء مضارعهما على يفعَل نحو : يخاف ويهاب ، فلما اتصلت بهما التاء وسكن اخرهما حذفت الفهما بعد نقل حركتها المقدرة الى الفاء فصارا : خِفت وهِبت . واما قال فاصله قوَل على وزن فعَل مما عينه واو لانتفاء كونه فعل لمجيئه متعدياً ، وانتفاء كونه فعِل لمجيء مضارعه على يفعل نحو يقول ، فلما اتصلت به التاء واحتيج الى حذف الالف ابدلت الحركة المقدرة عليها ضمة لمجانستها العين ونقلت فصار قلت .

واما باع فاصله بيع على وزن فعَل مما (٢٣٨ ب) عينه ياء لمجيء مضارعه على يفعِل نحو : يبيع ، فلما اتصل(٦٥) به التاء واحتيج الى الحذف ابدلت حركة عينه كسرة لمجانستها اياها ونقلت فصار بِعت .

باب ابنية الفعل المزيد فيه

كافعل الفعل ياتي بالزيادة مع
والى وولى استقام احرنجم انفصلا

اصل ما تعرف به زيادة الحرف في الكلمة سقوطه في بعض التصاريف . وتعرف زيادته ايضاً بان يصحب اكثر من اصلين وهو حرف لين او همزة مصدرة او حرف مصحوب بمثله(٦٦) .

وللفعل المزيد فيه ابنية فمنها : « افعل » كاكرم واعلم . و « فاعل » نحو ضارب وقارب ، ونظيره من المعتل اللام : والى اي تابع و « فعّل » نحو علم وكلم ونظيره من المعتل ولى ، يقال وليته الامر واوليته اياه بمعنى .

و « استفعل » نحو استخرج ، ومثله استقام اصله استقوم . و « افعنلل » نحو احرنجم يقال حَرْجَمْت الإبل ، فاحْرنجم اي

اجتبع(٦٧). ومثله : ابرنشق الرجل فرح، واخرنطم(٦٨) تكبر.
و « انفعل » نحو : انفصل وانفتل(٦٩) وانمحى.

وافعـــل ذا الف في الحشـــو رابعـــه(٧٠)
وعـــاريـــاً وكـــذا ك اهبيـــخ اعتـــدلا

ومنها افعال بالف رابعة نحو احمار الشيء اذا كانت له حمرة لا تثبت يقال : فلان يحمار تارة ويصفار اخرى. و « افعل » بلا الف نحو احمر الشيء اذا كانت حمرته ثابتة لا تتغير.
و « افعيل » نحو اهبيخ الصبي فهو هبيخ اذا سمن.
و « افتعل » نحو اعتدل واعتمل واختار(٧١) وارتقى.

تـــدحرجت عـــذيط احلولى اسبطـــر تـــوا
لى مـــع تـــولى وخلبس سنبس اتصـــلا

ومنها « تفعلل » نحو تدحرج وتسربل.
و « فعيل » نحو عذيط الرجل فهو عذيوط اذا كان يحدث عند الجماع، ومثاله : رهيأ العمل وطشياه اذا لم يحكمه.
و « افعوعل » نحو اغدودن الشعر طال، واخضوضل الشيء اخضل(٧٢) اي ابتل، واحلولى الشيء طاب.
و « افعلل » نحو اشمعل(٧٣) اي اسرع، واسبطر الشعر وغيره طال، واسمغد ورم. وتفاعل نحو تدارك وتفافل وتوالى اي تتابع، وتفعل نحو تعلم وتكلم وتولى الامر اي لزمه.
و « فعلس » نحو خلبس قلبه اذا فتنه وذهب به حكاه ابو زيد(٧٤)، وكانه ماخوذ من خلبه خلباً وخلابة اذا خدعه وسينه زائدة للالحاق (يدحرج)(٧٥) و « سفعل » نحو سنبس بمعنى نبس اي اسرع. قال ابو عمر الزاهد(٧٦) : السنبس : السريع، وسينه زائدة لسقوطها في نبس.

واحبنطا احـــونصـــل اسلنقى تمسكن سلـــ
ـقى قلنست جوربت هرولت مرتجلا (٢٣٩ آ)

ومنها « افعنلاً » نحو احبنطا الرجل بمعنى حبط اي عظم بطنه و « افعنمل »(٧٧) نحو احونصل الطائر اذا ثنى عنقه واخرج حوصلته فهو ملحق باحرنجم بزيادة الواو.
و « افعنلى » نحو اسلنقى على قفاه بمعنى استلقى، واحرنبى الديك انتفش للقتال، واحظنبى الرجل امتلا غيظاً.
و « تمفعل » نحو تمسكن الرجل بمعنى سكن اي نل. ومثله تمدرع بالمدرعة وتمندل بالمنديل.
و « فعلى » نحو سلقى الرجل اذا القاه على قفاه.
و « فعنل » نحو قلنسه بالقلنسوة بمعنى قلساه اي البسه اياها.
و « فوعل » نحو جوربه اذا البسه الجورب. وحوقل الرجل اذا كبر. و « فعول » نحو هرول في مشيه وجهور في كلامه.

زهـــزقت هلقمت رهمست اكـــوّال تـــرهـ
شف اجفـــأظّ اسلهم قطـــرن الجمـــلا

ومنها « عفعل » نحو زهزق الرجل بمعنى اهزق(٧٨) اي اكثر من الضحك ومنه دهدم الشيء بمعنى هدمه.
و « هفعل » نحو هلقم الشيء بمعنى لقمه اي ابتلعه.
و « فهمل » نحو رهمس الشيء بمعنى رمسه اي ستره.
و « افوعل » بزيادة احدى اللامين نحو اكوأل الرجل قصر واجتمع خلقه، واكوأد الشيخ واكوهد ارعش.
و « تفهعل » نحو ترهشف(٧٩) [اي رشف](٨٠).
و « افعالّ » نحو اجفاظّ الرجل بمعنى اجفاظّ(٨١) اي اشفى على الموت، ومثله اجفأل القوم اي انهزموا فهذا من جفل.
و « افلعلّ » نحو اسلهم الرجل اذا اضطرب جسمه وتغير، من قولهم : سهم الوجه اذا تغير.
و « فعلن » نحو قطرن البعير بمعنى قطره اي طلاه بالقطران.

تـــــرمست كلتب جلمطت وغلصم ثـــ
ـم ادلمس اهـــرمعت واعلنكس انتخـــلا

ومنها « تفعل » نحو ترمس الرجل اذا تغيب عن حرب او شغب ماخوذ رمس الميت وارمسه اذا دفنه ومن رمس الكلام اخفاه والخبر ستره.
و « فعتل » نحو كلتب كلتبة فهو كلتبان. قال الاصمعي : الكلتبان ماخوذ من الكلب وهي القيادة.
و « فعمل » نحو جلمط راسه بمعنى جلطه اي حلقه.
و « فعلم » نحو غلصمه بمعنى غلصه اي قطع غلصمته.
و « افعمّل » نحو ادلمس الليل فهو دلامس بمعنى دلس اي أظلم، ومثله اهرمع الرجل في مشيه ومنطقه انهمك فيهما، والدمع : سال فهو من اهرع اذا اسرع.
و « افعنلس » نحو اعلنكس الشعر واعلنكك اشتد سواده وكثر، (والرمل تدارك)(٨٢).

واعلـــوط اعثـــوججت بيطـــرت سنبـــل ثُوْ
لق اضممن لتستلقى واجتنب خللا

ومنها « افعوّل » نحو اعلوّط المهر : ركبه عرياناً(٨٣)، ومثله اجلوذ(٨٤) اذا اسرع، واخروط كذلك.
و « افعولل » بزيادة احدى اللامين نحو اعثوجج البعير بمعنى اعثوثج فهو عثوثج اذا ضخم. (٢٣٩ ب).
و « فيعل » نحو بيطر الدابة.
و « فنعل » نحو سنبل الزرع بمعنى اسبل اي اخرج سنبله(٨٥).
و « فمعل » نحو « زملق » [الفحل اذا القى ماءه قبل الايلاج](٨٦). و « تفعلى » نحو تسلقى مطاوع سلقى.

فصل

ببعض نـــاتي المضـــارع افتتـــح ولـــه
ضم اذا بـــالـهربـــاعي مطلقـــاً وصـــلا
وافتحـــــــه متصـــــــلاً بغيـــــــره ولغيـ
ـر الياء كسراً اجز في الات من فصلا
او مـــا تصدر همز الوصـــــل فيه او الـ
ـتـــا زائـــداً كتـــزكى وهـــو قـــد نقـلا
في اليا وفي غيرهـــــا ان الحقا بـــابى
او مـــالـه الـــواو فـــاء نحـــو قـــد وجـلا

بناء المضارع من كل فعل بأن يزاد في اوله احد حروف المضارعة وهي همزة المتكلم ونون له مشاركاً او عظيماً وتاء المخاطب مطلقاً وللغائبة والغائبين وياء الغائب المذكر مطلقاً والغائبات . والاول من المضارع المبني للفاعل مضموم او مفتوح او مكسور ، فيضم بالاتفاق ما كان ماضيه رباعياً بزيادة او دونها نحو : اكرم يكرم وعلّم يعلم وضارب يضارب ودحرج يدحرج . ويفتح عند الحجازيين ما ليس ماضيه رباعياً نحو ضرب يضرب وشرب يشرب وطرب يطرب[٨٧] وتعلم يتعلم وانطلق ينطلق واستخرج يستخرج . ويكسر عند [غير][٨٨] الحجازيين ما ليس ياء مما كان ماضيه على فعِل او اوله همزة وصل او تاء مزيدة ، وما كان ياء او غيرها من مضارع ابى وفعِل مما فاؤه واو ويفتح ما سوى ذلك . واما[٨٩] ما كان ماضيه على فعل فنحو علمت فانت تِعلم وانا إعلم ونحن نِعلم . واما ما اول ماضيه همزة وصل وهي التي بعدها اربعة احرف او خمسة فنحو انطلقت تِنطلق واستخرجت تِستخرج . واما ما اول ماضيه تاء مزيدة فنحو تكلمت فانت تتكلم وتدحرجت فانت تتدحرج . واما ابي [فجاءوا بمضارعه مفتوح العين على يابى لان من العرب من يقول في ماضيه إبَى][٩٠] ، فاستغنوا بمضارع المكسور العين عن مضارع المفتوحها ، وكسر غير الحجازيين اوله مطلقاً فقالوا : انت تِبى وهو يِئبى ، وهكذا مضارع فعِل مما فاؤه واو نحو وجِلت فانت تِيجل وهو يِيجّل .

وكســـر مـــا قبـــل اخـــر المضـــارع من
ذا الباب يلزم إن مـــاضيه قـــد حظلا
زيـــادة التـــاء اولا فـــان حصلت
لـــه فمـــا قبـــل الاخـــر افتحن بِـــولا

المراد « بذا الباب » ما زاد على ثلاثة احرف وكل مضارع مبني للفاعل مما زاد على ثلاثة احرف فواجب كسر ما قبل اخره لفظاً او تقديرا ، ما لم يكن اول ماضيه تاء مزيدة ، مثال ما يكسر لفظاً دحرج يدحرج وقاتل يقاتل واقتدر يقتدر واستعجل يستعجل . ومثال ما يكسر تقديراً اعدّ يعدّ واسترد يسترد واستقام يستقيم واختار يختار وانقاد ينقاد . وما اول ماضيه تاء مزيدة فهو باق على حاله من فتح ما قبل الاخر نحو تعلم يتعلم[٩١] وتدحرج يتدحرج .

فصل في فعل ما (٢٤٠ آ) لم يسم فاعله

إن تسنـــد الفعـــل للمفعـــول فـــأت بـــه
مضمـــوم الاول واكســـره اذا اتصـــلا
بمين اعتل واجعـــل قبـــل الاخر في الـ
ـمضي كسراً[٩٢] وفتحـــاً في مضارع تلا

اذا اريد حذف الفاعل واسناد الفعل الى المفعول به أقيم مقامه فلا بد من بناء الفعل على (صيغة تدل على[٩٣] ذلك ، فيضم اوله مطلقاً ويكسر ما قبل اخر الماضي[٩٤] منه نحو : ضُرِب واكرم ، ويفتح ما قبل اخر المضارع نحو يُضرَب ويكرم[٩٥] . فإن كان الماضي ثلاثياً معتل العين نحو : قال وباع فانه يفعل به ما ذكر ثم يخفف بحذف حركة فائه ونقل حركة العين اليها فيقال : قيل وبيع ، والاصل : قُوِل وبُيِع ، فاستثقلت الكسرة على حرف علة الى ضمة فخففت[٩٦] بالنقل ، والى هذا الاشارة بقوله : « واكسره اذا اتصلا بعين اعتل » ، ومنهم من يخفف هذا النوع بحذف حركة عينه فيقول : قول[٩٧] . قال الراجز :
حـــوكت على نـــولين[٩٨] إذ تحـــاك
تختبط الشـــــوك ولا تشـــــاك[٩٩]

والثالث ذي همز وصـــل ضم معـــه وضع
تـــاء المطـــاوعة اضمم تلـــوهـا بـــولا
[illegible] لفا نحـــو بـــاع اجعـــل لثالث نحـ
ـو اختار وانقاد كـــاختير و [illegible]

لا يقتصر على ضم اول الماضي المبني لما لم يسم فاعله ضم غيره الا ان يكون اوله تاء مزيدة او همزة وصل ، فما اوله تاء مزيدة يضم مع اوله ثانية كقولك : تُعُلّم العلم وتُغُوفل عن الامر وتُدُحرج في الدار .

وما اوله همزة وصل يضم مع اوله ثالثه كقولك : اقتُدِر عليه ، واستُخرج المتاع . فإن ولي الثالث حرف علة وجب في الفعل من التخفيف ما وجب لنحو : قيل وبيع ، وذلك قولك في نحو[١٠٠] اختار وانقاد أُختير وانقيد والاصل فيهما اختير وانقود ، فاستثقلت الكسرة على حرف علة بعد ضمة فحذفت الضمة ونقلت الكسرة الى مكانها فصارا[١٠١] اختير وانقيد . ومن خفف الثلاثي بحذف حركة عينه فقال : قول وبوع[١٠٢] قال ها هنا اختُور وانقود .

فصل في فعل الامر

من افعَـــل الامـــر افعـــل واعـــزه لســـوا
ه كـــالمضـــارع ذي الجـــزم الـــذي اختـــزلا
اولـــه وبهمـــز الـــوصـــل منكســـراً
صل ساكنـــاً كـــان بـــالمحذوف متصـــلا
والهمـــز قبـــل لـــزوم الضم ضم ونـحـ
ـو اغـــزي بكســـر مشم الضم قـــد قبـــلا

مثال الامر من كل فعل سوى أمر واخذ واكل ، على زنة المضارع المجزوم محذوفاً منه حرف المضارعة مجعولاً[104] مكانه ان بني من افعل همزته او من غيره وسكن ثاني المضارع همزة وصل ، ومقتصراً على الحذف ان لم يبن من ذلك .

فالامر من كل فعل اتصل به الف اثنين او واو جمع او ياء مخاطبة مجرد من النون نحو : افعلا وافعلوا وافعلي ، وما[104] لم (٢٤٠ ب) يتصل به مسكّن الاخر إن كان صحيحاً نحو افعل ومحذوفه إن كان معتلّاً نحو اخشِ وارم واغز ، وبناؤه من افعَل على افعِل بقطع الهمزة كقولك في اكرم واعلم واقام واعطى : اكرِم واعلِم واقِم واعط . ومن غير افعل على زنة المضارع المجزوم محذوفاً اوله فإن سكن ثانيه جيء في الامر (من غير الافعال الثلاثة)[105] بهمزة الوصل كقولك : نحو ضرب يضرب وانطلق ينطلق واستخرج يستخرج وارعوى يرعوي : اضرب وانطلق واستخرج وارعو .

وإن لم يسكن اقتصرت[106] على الحذف كقولك نحو وعد يعِد وقام يقوم ودحرج يدحرج ووالى يوالي [عد وقم ودحرج ووال][107] . وهمزة الوصل مكسورة ما لم تكن قبل ضمة اصلية او كسرة عارضة وذلك ان تكون قبل فتحة نحو اذهب واعلم او كسرة اصلية نحو : اضرب واكسب[108] ، او ضمة عارضة نحو : امشوا وارموا . فإن كانت قبل ضمة اصلية وجب ضمها نحو : اخرج ، واكتب ، وإن كانت قبل كسرة عارضة جاز فيها وجهان : الضم الخالص نحو أغربي[109] يا هند واشمامه بالكسر نحو اغربي[110] بضمة منحو بها نحو الكسرة . واما امر واخذ واكل فنبه على حال امثلة الامر منها بقوله :

وشـــذ بـالحـــذف مر وخـــذ وكـل وفشـا
وامـــر ومستنـــدر تتميم خـــذ وكـــلا

شذت هذه الافعال عن قياس نظائرها مما سكن ثاني مضارعه فلم يجلب قبل اوائلها همزة الوصل ، بل اكتفوا عن ذلك بحذف اوائلها تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، وربما جاءت على القياس فقيل أُومر واخذ واوكل وكثر ذلك في مُرْ مع واو العطف كقوله تعالى :

« وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها »[111] .

باب اسماء الفاعلين والمفعولين

كـــوزن فـــاعـــل اسم فـــاعـــل جُعِـلا
من الثـــلاثي الـــذي مـــا وزنـــه فَعَـــلا

بناء اسم الفاعل من فعَل مطلقاً ، ومن فعِل المتعدي على فاعل نحو : ضربه فهو ضارب ، وقتله فهو قاتل ، وجلس فهو جالس ، وقعد فهو قاعد ، ولقمه فهو لاقم ، وقضمه فهو قاضم ، وشربه فهو شارب

ومنـــه صيـــغ كسهـــل والظـــريف وقـــد
يكـــون افعـــل او فعـــالًا او فعـــلا
وكـــالفـــرات وعِفْـــر والحصـــور وغمـ
ـر عـــاقـــر جُنُب ومشبهـــاً[112] تمـــلا

وبناء اسم الفاعل من فعُل على فَعْل او فَعيل نحو سهُل فهو سهل وصعب فهو صعب وضخم فهو ضخم وشهم فهو شهم ، وظرف فهو ظريف وشف فهو شريف وكرم فهو كريم .

وقد يجيء على افعَل نحو خرق فهو اخرق اي حمق وشنع فهو اشنع اذا قبح .

وعلى فَعال نحو : جبُن فهو جبان ، وحصنت المرأة فهي حَصان .

وعلى فَعَل نحو : بطُل فهو بطل ، وحسُن فهو حسن .

وعلى فُعال نحو : فرُت الماء فهو فرات (٢٤١ آ) وضخم الشيء فهو ضخام وشجع زيد فهو شجاع .

[وعلى فِعْل نحو : عفُر الرجل فهو عِفْر وعفريت ايضاً اي ذو دهاء ومكر وشجاعة ، وبدع فهو بدع اي فائق فيما نسب اليه من علم او شجاعة او غيرها ، وطَفُل كفه فهو طِفْل اي رخص ناعم][113] .

وعلى فَعُول نحو : حَصُرت الناقة فهي حصور (وعزت فهي عَزوز)[114] ضاق احليلها [وعرُبت المرأة فهي عروب اي متحببة الى زوجها][115] .

وعلى فُعْل نحو : صَلُب الشيء فهو صُلْب وغمر الرجل فهو غمر لم يجرب الامور .

وعلى فاعل نحو عقُرت الناقة فهي عاقر ، وحمُض الشيء فهو حامض .

وعلى فُعُل نحو جَنُب الرجل فهو جُنُب .

وعلى فَعِل نحو ندُس فهو ندِس[116] وفطِن فهو فطن .

وصيـــغ من لازم مـــوازن فَعِـــلا
بـــوزنـــه كشبـــع ومشبهـــاً[117] عجُـــلا
والشـــاز والاشنب الجـــذلان ثمـــة قـــد
يـــاتي كفـــان وشبـــه واحـــد البخـــلا
حمـــلًا على غيـــره لنسبـــة كخفيـ
ـفٍ اشيب طيب في الصـــوغ من فَعَـــلا

وبناء اسم الفاعل من فعل اللازم على فَعِل وأفعل وفعلان ، ففعِل للاعراض والادواء نحو فرح فهو فرح واشر فهو اشر وبطر فهو بطر وحبط فهو حَبِط ووجِع فهو وَجِع وجَوِي فهو جو .

وقد يوافقه فَعُل نحو دَنِسَ فهو دَنِسٌ ودَنُس[118] ويقظ[119] فهو يقِظ ويقُظ وعجل فهو عجِل وعجُل .

وقد تخفف عينه فيجيء على فَعْل نحو شاز المكان فهو شنز خشن بكثرة حجارته . وافْعَل للالوان والخلق نحو خضِر الزرع فهو اخضر ، وسوِد فهو اسود ، وكدِر الشيء فهو اكدر ، وحوِل فهو احول وعور فهو اعور ، وذقن فهو اذقن .

وفعلان للامتلاء وحرارة الباطن نحو : شبِع فهو شبعان ، وروي فهو ريان ، وسكر فهو سكران ، وعطش فهو عطشان ، وظمىء فهو ظمآن ، وغرث فهو غرثان . وقد يحمل فَعِل اللازم على غيره فيجيء اسم الفاعل منه على فاعل او فعيل ، قالوا : سخط فهو ساخط ، ورضي فهو راضٍ حملاً على شكر فهو شاكر وفني فهو فانٍ ، حملاً على ذهب فهو ذاهب . وقالوا : بخُل فهو بخيل حملا على لؤم فهو لئيم ، ومرِض فهو مريض وسقُم فهو سقيم حملا على ضعُف فهو ضعيف . وقد حملوا فَعُل ايضاً على غيره فجاءوا باسم الفاعل منه على فعيل وفيعل في المعتل العين .

قالوا : خف يخف فهو خفيف حملوه على ثقُل فهو ثقيل ، وشح فهو شحيح حملوه على لؤم فهو لئيم ، وقالوا : طاب يطيب فهو طيب فجاءوا بالاسم[120] على فيعل نيابةً (٢٤١ ب) عن فعيل حملاً على خبُث فهو خبيث ، ولان فهو ليِّن حملاً على صلُب فهو صليب .

ومما حملوا فيه فَعُل على غيره قولهم ، شاخ يشيخ فهو شيخ[121] كما قالوا ضعف يضعف فهو ضعيف ، وجاع يجوع فهو جوعان كما قالوا غرث فهو غرثان ، وهام يهيم فهو هيمان كما قالوا عطش فهو عطشان .

وفاعل صالح من كل ان قُصد الـ
حدوث نحو غدا ذا جائل جذلا

اذا قصد باسم فاعل الفعل الثلاثي مطلقاً الحدوث[122] جاز بناؤه على فاعل ، فيقال زيد شاجع امس وجابن اليوم وجائل غدا . قال :[123]

وما انا من رُزء وان جل جازع
ولا لسرور بعد موتك فارح[124]

وقال الاخر :

حسبتُ التُّقى والحمد خير تجارة
رباحاً اذا ما المرء اصبح ثاقلا[125]

وبأسم فاعل غيرَ ذي الثلاثة جيء
وزن المضارع لكن اولًا جعلا
ميم تضم وان ما قبل اخره
فتحت كان اسم مفعول وقد حصلا

بناء اسم الفاعل من الافعال الزائدة على ثلاثة احرف بان تاتي بمثال المضارع وتجعل مكان اوله ميماً مضمومة وتكسر ما قبل اخره كقولك : اكرم يكرِم فهو مُكرِم ، ودحرج يدحرج فهو مدحرج ، وانطلق ينطلق فهو منطلق وتعلم يتعلم فهو متعلم (وبناء اسم المفعول من ذلك كبناء اسم الفاعل الا في كسر ما قبل الاخر فاسم المفعول يفتح ما قبل اخره ابداً نحو مكرم ومدحرج ومنطلق به ومتعلم) . وبناء اسم المفعول من الثلاثي على زنة مفعول وقد تبين ذلك بقوله : وقد حصلا .

من ذي الثلاثة بالمفعول متزناً
وما اتى كفعيل فهو قد عدلا
به عن الاصل واستغنوا[126] بنحو نجا
والنسي عن وزن مفعول وما عملا

يعني وقد حصل اسم المفعول من الفعل الثلاثي بصوغه على زنة مفعول نحو : ضربت زيداً فهو مضروب ، وعلمت الامر فهو معلوم ، وبعدت من الشيء فهو مبعود منه[127] . وقد عدلوا في كثير من كلامهم عن بناء مفعول الى فعيل نحو : جريح وذبيح واسير [وقتيل وكحيل وخضيب ولا يقاس عليه غيره][128] فإن قلت من موانع الصرف العدل مع الوصف فان كان نحو[129] جريح معدولا فهلا منع من الصرف ؟ قلت : لان العدل المانع من الصرف هو العدل من مثال الى مثال (٢٤٢ آ) عدلاً محققا كما في مثنى وثلاث ورباع ، او مقدراً كما في أُخر وعُمر ، وعدل نحو جريح من بناء الى بناء على سبيل الاستغناء باحدهما عن الاخر لا على سبيل التفريع عليه ، وربما استغنوا عن مفعول بفَعَل او فِعْل . فالاستغناء بفَعَل كالنَّقَض بمعنى المنقوض ، والقَبَض بمعنى المقبوض ، والنجا بمعنى المنجو ، يقال : نجوت الجلد عن الشاة نجواً فهو نجا اي سلخته . والاستغناء بفِعْل نحو طِحْن بمعنى مطحون ، ونقض بمعنى منقوض ، ونِسْي بمعنى منسي . وما ناب عن مفعول من فعيل او فَعَل او فِعْل غير موافق له في اجرائه مجرى الفعل في العمل .

باب ابنية المصادر

وللمصادر اوزان ابيّنُها
فللثلاثي ما ابديه منتخلا
فَعْلٌ وفِعْلٌ وفُعْلٌ او بتاء مؤ
نث او الالف المقصور متصلا

يبنى المصدر من الفعل الثلاثي على فَعْل وفِعْل وفُعل نحو : ضُرِب ضرباً ، وقتل قتلا ، وحنق حنقاً[130] ، وعلم علماً ، وشغل شغلًا ، وشكر شكراً . وعلى فَعْلة وفِعْلة وفُعْلة نحو : رحم رحمة وخال خيلة[131] وحمي حمية ونشد نِشدة وأيِم ايمة وشهِب شهبة . وعلى فُعلى وفِعْلى وفَعْلى نحو : تقى[132] الله تقوى وذكر ذكرى ورجَع رُجْعَى .

فَعْلان فِعْلانٍ فُعْلان ونحو جلا
رضى هُدى وصلاح ثم زد فَعِلا

مجـــرداً او بتـــا التـــانيث ثم فعـــا
لـــة وبـــالقصـــر والفعـــلاء قـــد قبـــلا

ويبنى ايضاً على فَعلان وفِعلان وفُعلان نحو : لواه لياناً مطله وشنئه [١٣٠] شنآنا ، وحرمه حرماناً ، ونسي الشيء نسياناً ، وشكر شكراناً ، وكفر كفراناً . وعلى فَعل نحو : طلب طلباً وفرح فرحاً وجلا [١٣١] الجلا : انحسر شعره عن مقدم راسه ، وعلى فِعَل نحو كبر كِبَراً او صَغِر صِغَراً [١٣٢] وسمن سمناً ورضي رضاً . وعلى فُعَل في المعتل اللام نحو سُرى سُرى وهدى هدى . وعلى فَعال نحو صلح صلاحاً وفسد فساداً [ونفذ] [١٣٣] نفاذاً [١٣٤] . وعلى فَعِل مجرداً [١٣٥] نحو : كذب كذباً وحرمه حرماً وخنقه خنقاً [١٣٨] وسرق سرقاً وعلى فَعِلة بتاء التانيث نحو سَرِق سرقة . وعلى فَعالة نحو ظرف ظرافة ونظف نظافة (٢٤٢ ب) وعلى فَعَلة بالقصر نحو ضبعت [١٣٩] الناقة ضبعة : اشتهت الفحل ، وعلى فَعْلاء نحو رغب رغباء وبجيء رجباء .

فعـــالـــة وفُعـــالـــة وجيء بهمـــا
مجـــردين من التـــاء والفُعـــول صـــلا
في التـــــل وبـــــالتـــــاذان والفَعَـــــلا
ن او كبينـــونـــــة وشبهـــــه شُغُـــــلا

ويبنى ايضاً على فعالة نحو كتب كتابة وسفر سفارة . وعلى فُعالة نحو خفره خفارة : منعه وحماه ، ويقال ايضاً : خفارة وخِفارة بالفتح والكسر وعلى فِعال وفُعال نحو كتب كتاباً وأب اياباً وشرد شراداً وصرخ صراخاً وبكى بكاء . وعلى فُعول نحو : خرج خروجاً ودخل دخولاً . وعلى فعيل نحو صهل صهيلاً ونمل نميلاً . وعلى فُعولة وفعولة نحو صعب صعوبة وسهل سهولة ونم نميمة . وعلى فَعَلان نحو جال جولاناً وطاف طوفاناً . وعلى فيلولة بحذف العين نحو كان كينونة اصله كيّنونة فخفف بحذف المدغم فيه فصار كينونة .

ومثله صار صيرورة [١٤٠] وبان بينونة وعلى فُعُل نحو شغله شغلاً

وفُعْلـــان وفَعْـــول مـــع فعـــاليـــة
كـــذا فعيليـــة فُعُلـــة فعـــلا

ويبنى ايضاً على فُعْلَل بزيادة احدى اللامين نحو : ساد سؤدداً او عاطت الناقة عوططا : اشتهت الفحل . وعلى فَعول نحو قبله قبولاً وولع به ولوعاً ، ووقدت النار وَقوداً عالياً [١٤١] . وعلى فَعالية نحو : كره كراهية وطمع طماعية . وعلى فعيلية نحو : ولدت المراة وليدية .

وعلى فُعُلة نحو غلبه غُلُبَّة . وعلى فَعَلى نحو جَمَزى [١٤٢] وَوَرطى [١٤٣] ومرطت الدابة : اسرعت .

مـــع فَعَلـــوت فُعُلَّى مـــع فُعُلُّنيـــة
كـــذا فُعُـــوليـــة والفتـــح قـــد نقـــلا

ويبنى ايضاً على فَعَلوت نحو رَهب رَهَبوتاً ، وَرحم رَحَموتاً . وعلى فُعُلّى نحو غلبه غلبي . وعلى فعلنية نحو سحف راسه سحفنية [١٤٤] حلقه . وعلى فُعولية وفَعولية نحو خصه خُصوصية وخَصوصية .

ومفْعَـــل مَفعِـــل ومُفْعُـــل وبتـــا الـ
تـــانيث فيهـــا وضم قـــل مـــا حمـــلا

ويبنى ايضاً على مَفْعَل ومَفْعِل ومَفْعُل نحو : دخل مدخلاً ، وكبر مكبراً وهلك مهلُكاً . وعلى مفعَلة ومفعِلة [ومفعُلة] [١٤٥] نحو رضي مرضاة وحمد محمِدة وهلك مهلكة . وقوله « وضم قلما حملا » تنبيه على ان مفعُلاً ومفعُلة وزنان نادران والمعنى : وضم قل ما حمله الرواة ونقلوه .

فعـــل مقيس المعـــدى والفعـــول لغيـ
ـره ســـوى فِعْل صـــوت ذا الفُعـــال جـــلا

الامثلة المذكورة لمصادر الفعل الثلاثي تسعة واربعون مثالا . والمقيس منها عشرة امثلة . والبواقي مقصورة على السماع . فالمقيس كفَعْل وفُعْل وفُعول وفُعال وفَعَل وفَعالة وفُعولة وفَعيل وفِعال وفِعالة .

ففَعْل مقيس في (٢٤٣ أ) كل فعل ثلاثي وسياتي الكلام عليه . واما فَعْل فمقيس في مصدر المتعدي من [فَعل] [١٤٦] نحو ضرب ضَرباً وكتب كتباً وقتل قتلاً وخلق خلقاً . او [١٤٧] من فَعِل نحو لقِم لقماً ولحِس لحساً وشرب شرباً . واما فُعول فمقيس في مصدر اللازم من فَعَل ما لم يكن فعل صوت او داء او فرار او نحوه او حرفة او ولاية كما سيطلعك عليه مساق الكلام في هذا الباب . فمتى كان فَعَل اللازم لغير ذلك فقياس مصدره فُعُول نحو جلس جُلوساً او قعد قُعوداً وركن رُكوناً . واما فُعال فمقيس في مصدر [فَعَل] [١٤٨] الدال على صوت نحو : صرخ صُراخاً وبكى بُكاء ونبح نباحاً وضبح ضباحاً . او على داء نحو سعل سعالاً وسياتي التنبيه عليه . ويفهم اختصاص فُعول بفَعِل اللازم من قوله « والفُعول لغيره » اي لغير المتعدي . ومن بيانه ان قياس مصدر فعِل اللازم فَعَل وقياس مصدر فَعُل فَعالة وفُعولة في قوله :

ومـــا على فَعِـــل استحق مصـــدره
ان لم يكن ذا تعـــد كـــونـــه فعـــلا
وقِسْ فَعـــالـــة او فُعُـــولـــة لفعلـ
ـت كـــالشجـــاعـــة والجـــاري على سهـــلا [١٤٩]

فَعَل مقيس في مصدر فَعِل اللازم نحو فَرِح فرحاً وأشِر اشراً وعطش عطشاً وغرِث غرثاً وعوِر عوراً وحول حولاً . وفَعالة مقيس في مصدر فعُل الذي الوصف منه على فعيل نحو شجع شجاعة فهو شجيع ومَلُح ملاحة فهو مليح ونظف نظافة فهو نظيف . وفُعولة مقيس في مصدر فَعُل الذي الوصف منه على فَعْل نحو سهل

[سهولة] فهو سهل[١٥٠] ، وصعب صعوبة فهو صعب وحزن المكان حزونة فهو حزْن .

وما سوى ذاك مسموع وقد كثر الـ
فَعِيل في الصمت والداء الممض حلا[١٥١]
معناه وزن فُعال فليقس ولذي
فرار او كفرار بالفعال جلا

من[١٥٢] المسموع الذي لا يدخله القياس مجيء المصدر من فَعَل المتعدي على فَعَل نحو طلب طلباً وجلب جلباً . وعلى فِعال نحو حجب حجابا ونكح نكاحاً . وعلى فُعول نحو ورد الماء وروداً وجحده جُحوداً . وعلى فِعْل نحو ذكر ذِكرا وقال قوم ذُكرا[١٥٣] . ومن فَعَل اللازم على فَعْل نحو : عجز عجزاً وهدأ الليل هدءاً وعلى فُعْل نحو مكث مكثا . وعلى فُعلان نحو رجح رجحانا . ومن فَعِل المتعدي على فُعول نحو لزمه لزوماً ونهكه المرض نُهوكا . وعلى فَعَل نحو عمله عملا وسخطه سخطا . وعلى فُعْل نحو وددته وداً وشربت الماء شربا وعلى فِعْل نحو حفظه حفظا وعلمه علما . ومن فَعِل اللازم[١٥٤] على فَعْل نحو يئس يأسا . وعلى فُعْل نحو زهد زهداً . وعلى (٢٤٣ ب) فَعال وفَعالة نحو سئم سأما وسآمة وسَقِم سقاماً وسقامة .

وعلى فَعْلَة نحو غرت تغار غيرة وحرت تحار حيرة . ومن فَعُل على فِعَل نحو عُرُض عِرَضاً وصغر صغراً . وعلى فَعْلة نحو كثر كثرة . وعلى فُعْل نحو ضعف ضعفا وجبن جبناً . وعلى فَعَل نحو كرم كرماً وسرع سرعا[١٥٥] . فهذا وامثاله يحفظ ولا يقاس عليه .

واما فعيل فمقيس في مصدر فَعَل الدال على صوت نحو صهل صهيلا وضغبت الارنب ضغيباً[١٥٦] صوتت ونهق الحمار نهيقاً ونعق الغراب نعيقاً . وقد كثر الفعيل في السير ونحوه ولم ينبه على ذلك ، قالوا : نمل نميلا ووجف وجيفا [ووأد وئيدا][١٥٧] ورحل رحيلا . واما فُعال فقد مر انه لفَعَل الدال على صوت . ويكون ايضاً لفَعَل الدال على داء نحو مشا بطنه مشاء ، وقام قواما ، ودار دُواراً ، وسعل سعالاً ، وعطس عطاساً ، ونحو مزح مزاحاً شاذ . واما فِعال فمطرد فيما دل على فرار وشبهه نحو فر فرارا ، ونفر نفْ'را ، ونار نوار ، وشرد شرارا وابى اباء وجمح جماحاً وقمص قماصا .

فَعالة لخصال والفِعالة دع
لحرفة او ولاية ولا تهلا

افعال الخصال هي ما حقه ان يبنى على فَعُل من نحو ظرُف وكرم وشرف ولبق . وقد تقدم ان فعل يجيء مصدره قياساً على فَعالة او فعولة ، فقوله هنا « فَعالة لخصال » اعادة محضة ، واما فِعالة فمطرد فيما دل على حرفة او ولاية نحو نجر نجارة[١٥٨] وخاط خياطة وكتب كتابة وولي علينا ولاية وامر إمارة وسعى سعاية وخفر خفارة .

لمرة فَعْلَة وفِعْلَة وضعوا
لهيأة غالباً كمشية الخيلا

يدل على المرة من [كل][١٥٩] فعل ثلاثي بمثال فَعْلة ما لم يكن المصدر[١٦٠] مبنياً عليه . فيقال ضربه ضربة وقعد قعدة وشرب شربة وفرح فرحة ولقي لقية واتى اتية . وقولهم : لقاءة وإتيانة شاذ .

وما كان مصدره على فَعْلة دُلّ على المرة منه بقرينة نحو رحمه[١٦١] مرة ، وعام عيمة واحدة والعيمة شهوة اللبن . ويدل على الهيأة من كل فعل ثلاثي بمثال فِعْلة ما لم يكن المصدر[١٦٢] مبنياً عليه ، والى ذا الاشارة بقوله غالباً ، فيقال : هو حسن القِعدة والمِشية والجلسة[١٦٣] والطعمة ، وبئست الميتة والقتلة ، يراد بذلك النوع من الفعل لا حقيقته من حيث هو هو والمعنى هو حسن الهيأة التي يلازمها من القعود والجلوس والمشي والطعم ، وبئست تلك الهيأة من الموت والقتل . وما كان مصدره على فِعْلة دل على الهيأة منه بقرينه نحو : حَمَيْته حِمْية المريض او نوعاً من الحِمْية ، ونشدته نِشدة النفيس او نوعاً من النِشدة ، وكذا ما كان الفعل منه غير ثلاثي (٢٤٤ أ) نحو اكرمته اكرام الصديق واكرمته نوعاً من الاكرام ، وقولهم : اختمر خمرة حسنة شاذ

فصل

يتضمن هذا الفصل ابنية المصادر[١٦٤] ما زاد على ثلاثة احرف

بكسر ثالث همز الوصل مصدر فعـ
ل حازه مع مد العين كاستتلا[١٦٥]

بناء[١٦٦] المصدر من كل فعل اوله همزة وصل بكسر ثالثه[١٦٧] وزيادة الف قبل اخره الا استفعل مما عينه معتلة فيقال : انطلق انطلاقا واحتمل احتمالاً واستخرج استخراجاً واحرنجم احرنجاما واحلولى احليلاء واحمر احمراراً او احمار احميرارا واسمقد[١٦٨] اسمقدادا .

واما استفعل مما عينه معتلة نحو : استقام واستعان فيجيء المصدر منه على قياس نظيره من الصحيح فيلتقي اذ ذاك ساكنان الالف المبدلة من عين الفعل والف المصدر فتحذف الثانية منهما ويعوض عنها بتاء التانيث فيقال : استقام استقامة واستعان استعانة ، والاصل استقواما واستعوانا ففعل به ما ذكر .

وجميع ما اوله همزة وصل لا يجيء المصدر منه على غير ما ذكر ، الا افعلَلّ فان مصدره على افعلّال وقد يجيء على فَعْلَلة كاقشعر اقشعراراً وقُشعريرة واطمأنّ [اطمئناناً و] طمأنينة ، وسيأتي التنبيه على ذلك كله .

واضمُمْه من فعل التا زيد اوله
واكسره سابق حرف يقبل العللا



الحمد لله لا أبغي به بدلا حمداً يبلّغ من رضوانه الأملا

ثم الصلاة على خير الورى وعلى ساداتنا آله وصحبه الفضلا

وبعد فالفعل من يحكم تصرّفه يحز من اللغة الأبواب والسبلا

فهاك نظماً محيطاً بالمهم وقد يحوي التفاصيل من يستحضر الجملا

باب أبنية الفعل المجرد وتصاريفه

بفعلل الفعل ذو التجريد أو فعلا يأتي ومكسور عين أو على فعُلا



وبناؤه من كل فعل اوله تاء مزيدة بضم ما قبل اخره ان كان صحيحاً نحو: [تعلم][169] تعلماً وتدحرج تدحرجاً وتغافل تغافلاً[170]. ويكسر ما قبله ان كان معتلاً نحو: [تولى تولياً][171] توالى توالياً وتسلقى تسلقياً، وكان الاصل تولُّياً وتوالياً وتسلقُيا على [قياس][172] نظيره من الصحيح، فأبدلت الضمة كسرة لئلا يخرج الى ما ليس من كلامهم وهو ان يكون اخر لاسم واواً قبلها ضمة. ولم يجيء مصدر[173] من مصادر ما اوله تاء مزيدة على غير ما ذكر الا ما ندر من مجيء مصدر تَفَعَّل على تِفِعَّال نحو: تحمل تحمالاً وتملّق تِمِلّاقاً. قال الشاعر:

ثـــلاثـــة احبـــاب: فحب عـــلاقـــة
وحب تِمِـــلاق وحب هـــو القتـــل[174]

ومن مجيء تفاعل على تِفِعِّيلا كقولهم[175]: تراموا رِمِيّاً اي تراميا. وسيأتي ما ينبه على ذلك، (٢٤٤ ب).

لِفَعْلَـــل انت بفَعْـــلال وفَعْلَلَـــة
وفعّـــل اجعل لـــه التفعيـــل حيث خـــلا
من لام اعتل للحـــاويـــه تَفْعِلـــة
الـــزم وللعـــار منـــه ربمـــا بـــدلا

يبنى المصدر من فَعْلَل قياساً على فَعْلَلَة نحو دحرج دحرجة وسَبْرَج سَبْرَجة، وسماعاً على فِعْلال نحو سرهفه سرهافاً اي سرهفة وهي النعمة وحسن الغذاء قال:

سَرْهَفْته ما شئت من سِرْهاف[176]

وما الحق بفَعْلَل محذو به في بناء المصدر حذوه وذلك نحو زلزل زلزلة وحوقل حوقلة اي كبر[177] وجهور[178] جَهْوَرة وبيطر الدابة بيطرة ورَهْيَا العمل رهياة[179] وسلقاه[180] سلقاة. فهذا كله على مثال فَعْلَلَة وهو القياس فيه. وقد جاء منه شيء على مثال فِعْلال وليس بمطرد قالوا زلزل زلزالاً وقلقل قلقالاً وحوقل حيقالاً، قال[181]:

يـــاقـــوم قـــد حـــوقلت او دنـــوت
وبعض حَيقـــال الـــرجـــال المـــوت[182]

وقد قالوا: الزَلزال والقَلقال بالفتح كما فتحوا التفعيل، وقياس المصدر من فَعَّل صحيح اللام[183] على تفعيل ومعتلها تَفْعِلة نحو: علم تعليما وكذب تكذيباً وزكاه تزكية وقواه تقوية، ولم يجيء من المعتل اللام شيء على غير تفعلة الا ما ندر من قوله:

وهي تنـــزي دلـــوهـــا تنَـــزيـــاً
كمـــا تنـــزي شهلـــة صبيـــنا[184]

فهذا على تشبيه المعتل بالصحيح[185] كما شبه الصحيح في قولهم: ذكره تذكره وبصره تبصرة والى هذا اشار بقوله « وللعار منه ربما بدلا »[186] وقد يجيء فَعّل على فِعّال نحو: كذب كِذّاباً وكلم كلاماً، وعلى تَفْعال لقصد التكثير نحو: سيّر تسيارا وطوّف تطوافا وجول تجوالا.

ومن يصـــل بتِفِعّـــال تفعّـــل والـ
فِعّـــال فعّـــل فـــاحمـــده بمـــا فعـــلا
وقـــد يجـــاء بتَفْعـــال لفعّـــل في
تكثيـــر فِعْـــل كتسيـــار وقـــد جعـــلا
مـــا للثـــلاثي فِعِّيلى مبـــالغـــة
ومن تفـــاعـــل ايضـــاً قـــد يـــرى بـــدلا

الغرض من هذه الابيات التنبيه على ما شذ من مجيء المصدر من تفعّل على تِفِعّال كتِحِمّال ومن فَعّل على فِعّال ككِذاب وعلى تَفْعال في الكثير كتسيار، وقد تقدم ذكر ذلك، ومن مجيء المصدر من فعل[187] على فِعِّيلي لقصد المبالغة نحو: حثّه حِثّيثاً وخصه خصيصي. وفي حديث عمر رضي الله عنه: (لولا الخِلّيفي لاذنت)، (٢٤٥ آ) ومن مجيء المصدر من تفاعل على فِعِّيلي كالرديا[188] وقد تقدم[189] ذكره.

وبـــا لفَعْلَيلة افعَلَـــلّ قـــد جعلـــوا
مستغنيـــاً لا لـــزومـــاً فـــاعـــرف المثُـــلا

المقصود من البيت[190] التنبيه على مجيء القُشَعْريرة من اقشعر وقد سبق بيانه[191].

لفـــاعَـــل اجعـــل فِعـــالا او مُفـــاعلـــة
وفِعلـــه عنهمـــا قـــد نـــاب واحتمـــلا[192]

وبناء المصدر من فاعَل على مفاعلة نحو: ضارب مضاربة وخاصم مخاصمة وبايع مبايعة وقاول مقاولة[193]، وكثر بناؤه على فِعال نحو: قاتله قتالاً ونازعه نزاعاً وخاصمه خصاماً[194] وربما جاء الاسم منه على فِعْلة نحو ما راه مرية اي مراء.

مـــا عينـــه اعتلت الإفعـــال منـــه والاسـ
ـتِفْعـــال بـــالتـــاء وتعـــويض بهـــا حصـــلا
من المُـــزال وان تلحق بغيـــرهمـــا
تبن بهـــا مـــرة من الـــذي عمـــلا
ومـــرة المصـــدر الـــذي تـــلازمـــه
بـــذكـــر واحـــدة تبـــدو لمن عقـــلا

يبنى المصدر من افعَل على إفعال نحو: اكرم إكراماً واحسن احساناً واعطى اعطاء. وما عينه معتلة نحو ابان واعان يجيء المصدر منه على قياس نظيره من الصحيح فيلتقي ساكنان الالف المبدلة من عين الفعل والف المصدر فتحذف الثانية ويعوض منها بتاء التانيث كما فعل بالمعتل من استفعل فيما سبق. فيقال ابان

ابانة واعان اعانة والاصل ابياناً واعواناً ، فنقلت حركة العين الى الفاء وقلبت الفاً ، فالتقى ساكنان[195] ففُعل به ما ذكر . وشذ ترك التعويض في قولهم : اراه اراء واقام اقاما ، قال الله تعالى (واقام الصلاة)[196] .

وتلحق التاء[197] ما لم يؤنث من مصادر ما زاد على الثلاثة للدلالة على المرة نحو : اعطاه اعطاءة واجتزأت اجتزاءة وانطلقت انطلاقة واقعنْسسْتُ اقعنساسة[198] واغدودن[199] اغديدانة وتغافل تغافلة وقلبه تقليبة وتدحرج تدحرجة واقشعر اقشعرارة . وما انث من هذه المصادر دل على المرة منه بوصف المصدر بواحدة نحو : اقمته[200] اقامة واحدة واستخرت استخارة واحدة وقاتله مقاتلة واحدة[201] ودحرجه دحرجة واحدة (٢٤٥ ب) .

باب المِفْعل والمَفْعل ومعانيهما

من ذي الثلاثة لا يفعـــل لـه انت بمَفْـ
عَـــل لمصدر او مـا فيه[202] قـد فُعلا
كـــذاك معتـــل لام مطلقـــا واذا الـ
فـا كـان واواً بكســر مطلقـاً حصـلا
ولا يـــؤثــر كـــون الـــواو فـــاء اذا
مـا اعتـل لام كمولى فـارع صـدق ولا[203]

يبنى من كل فعل ثلاثي للدلالة على مصدره او[204] ما يقع فيه من الزمان[205] او المكان مَفْعَل او[206] مَفْعِل وقد تلحقها تاء التانيث . فما كان مضارعه على [غير][207] يَفْعِل او كان معتل اللام فقياس [اسم][208] المصدر منه والزمان والمكان مفعَل بالفتح كقولك : ذهب مذهباً حسناً اي ذهابا وهذا مذهبك اي موضع ذهابك او وقته ومثله شَرِب مَشْرباً ووجل موجلا وولى مولى وخرج مخرجا ورمى مرمى وسرى مسرى . المَفْعَل[209] من هذا كله صالح للمصدر والزمان والمكان . وما كان مضارعه على يفعل وليست لامه معتلة فإن كانت[210] فاؤه واواً فقياس اسم المصدر منه والزمان والمكان مَفْعِل بالكسر كقولك : وعده موعِدة[211] اي وَعْدا ومثله وجد موجدة[212] ، وهو الموعد لوقت الوعد او مكانه ومثله المورد والموئل ، وان لم تكن[213] فاؤه واواً فقياس اسم المصدر منه مَفْعَل بالفتح وقياس اسم الزمان والمكان مَفْعِل بالكسر تقول في المصدر ضرب مضرباً وجلس مجلساً وفر مفراً . قال[214] الله تعالى (اين المفر) اي الفرار . وتقول في المكان والزمان هذا مضرِب الناقة وهذا مجلسنا ، ومفِر زيد .

وما جاء على خلاف ما ذكر فهو شاذ يحفظ ولا يقاس عليه . والمحفوظ من ذلك ضربان : احدهما ما جاء على القياس فيكون فيه وجهان ، والاخر ما جاء بوجه واحد ، وقد نبه على ما جاء من الضرب الاول بقوله :

في غيـر ذا عينـه افتـح مصـدراً وســـوا
ه اكســـر وشذ الـذي عن ذلك اعـتـزلا[215]
مظلمـــة مطلـــع المجمـــع محمـــدة
مـــذمـــة منســـك مضنـــة البخـــلا
مـــزلـــة مفـــرق مضلـــة ومـــد
ب محشـــر مسكن محـــل من نـــزلا
ومعجـــز ويتـــاء ثم مهلكـــة
معتبـــة مَفْعَـــل من ضـــع ومن وحـــلا
معهـــا من احسب وغـــرب وزن مَفْعَلَـــة
مـــوقعـــة كـــل ذا وجهـــان قـــد حمـــلا

يقال في المصدر من ظلم مظْلَمة ومظلِمة فالفتح هو القياس والكسر شاذ ، ومثله طلعت الشمس مطلَعا ومطلِعا بالفتح[216] عن الحجازيين وبالكسر[217] عن بني تميم ، واذا اريد المكان[218] قيل المطلع بالكسر لا غير . ويقال[219] في المكان من جمع يجمع مجمَعة ومجمِعة[220] وفي المصدر من (٢٤٦ آ) جمع يجمع مجمَعة ومجمِعة[221] ، وفي المصدر من حمد وذم محمَدة ومحمِدة ومذَمة ومذِمة وفي المكان من نسك ينسك اي تعبد منسك ومنسك وفي المصدر من ضَن يضَن اي بَخِل مَضَنَّة ومضِنة فالفتح فيها هو القياس والكسر شاذ . ويقال في المكان من زل يزل مَزِلة اقدام[222] ومَزَلة اقدام[223] فالكسر هو القياس والفتح شاذ ، وعكسه قولهم في المكان من فرق يفرُق مفرَق ومَفْرِق وفي المصدر من ضل مضَلة ومضِلة ، ويقال في المكان من دَبَّ يدب مَدِب ومَدَب فالكسر هو القياس والفتح شاذ . وعكسه قولهم في المكان من حشر يحشر وسكن يسكُن وحلَّ يحلُّ محشَر ومحشِر ومسكَن ومسكِن ومحل ومحِل وفي المصدر من عجز وهلك وعتَب معجَزة ومعجِزة ومهلَكة ومهلِكة ومعتَبة ومعتِبة . وفي المكان من وضَع ووحل وحسب موضَع وموضِع وموحَل وموحِل ومحسَبة ومحسِبة . وقالوا مضرِبة السيف ومضرَبة السيف[224] جعلوه اسماً للحديدة واصله المكان فالكسر فيه هو القياس والفتح شاذ لانه من ضرب يضرب ، وعكسه موقَعة الطائر وموقِعة الطائر[225] لانه من وقع يقَع بفتح عين المضارع . فهذا جملة ما جاء[226] من هذا الباب بوجهين ، واما ما جاء شاذاً[227] وليس فيه وجه اخر فمذكور في قوله :[228]

والكســـر افـــرِدْ لمـــرفق ومعصيـــة
ومسجِـــد مكبِـــر مـــأو حـــوى الابـــلا
من اتـــو واغفِـــر وعـــذر واحم مفعِلَـــة
ومن رزا واعـــرب[229] اظنن منبت وصـــلا
بمَفْعِل اشرق مع اغرب واسقِطن رجع اجـ
زُر ثم مفعِلـــة اقـــدِر واشـرُقن بجـــلا[230]
واقبـــر ومن أرَب وثلِث اربعهـــا
كـــذا لمهلـــك التثليث قـــد بـــذلا

شذ الكسر في المصدر من رفق وعصى وكبر ، وفي المكان من سجد وأويت الابل اي ضممتها ، فيقال : المرفِق والمعصية وعلاه

الكبر وهو المسجد ومأوى الابل ، ومكان اوِيّ غير الابل المأوى بالفتح لاغير . وشذ الكسر ايضاً في المصدر منه اوى له اذا رقّ ومن غفَر ومن عذَر وحمِي اي انِف ورزأه اي اصابه بمصيبة [فيقال][٢٣١] الماوية والمغفرة والمعذرة والمحمية والمرزئة . وفي المكان من ظن يظُن ونبت ينبت وشرقت الشمس تشرُق وغربت تغرب وسقط يسقط وجزر يجزُر جَزْراً اي نحر[٢٣٢] وفي المصدر من رجع ، [فيقال][٢٣٣] هو مظنة كذا وكذا ، وهو المشرق والمغرب وهذه الدار مسقط راسي وهو المجزر . وقال تعالى « الى الله مرجعكم »[٢٣٤] اي رجوعكم ، وجاء الفتح والكسر والضم في عين مَفْعلة في المصدر من قدر وارب الرجل اي عقل[٢٣٥] وفي المكان من شرق وقبر فيقال : مقدَرة ومقدِرة ومقدُرة ومارَبة ومارِبة ومارُبة ومشركة ومشرِقة ومشرُقة (٢٤٦ ب) ومقبرة ومقبِرة ومقبُرة ومهلكة ومهلِكة ومهلُكة . وجاء التثليث ايضاً في المصدر من هلك فقالوا : المهلَك والمهلِك والمهلُك وليس في الكلام مفعُل سوى مهلُك الا[٢٣٦] مكرُم ومعُون ومألُك في قوله : « ليوم روع او فعال مَكرُم »[٢٣٧] وقوله : « على كثرة الواشين ، اي معون »[٢٣٨] . وقوله[٢٣٩] : « ابلغ[٢٤٠] النعمان عني مألُكاً » .

ومنهم من زعم ان « مفعُلا » مرفوض ، والامثلة المذكورة محذوفة الاخر[٢٤١] : وهي مما رخم للضرورة والاصل فيها مَعُونة ومكرمة ومألكة .

وكالصحيح الذي اليا عينه وعلى
رأي توقف ولا تعدُ الذي نقلا

يعني ان فَعَل مما عينه ياء كالصحيح في ان قياسه المفعَل في المصدر نحو المعاش والمَفْعِل في الزمان والمكان نحو المقيل . وما جاء بخلاف ذلك عد شاذاً كالمحِيض في قوله تعالى « ويسالونك عن المحيض »[٢٤٢] [فانه مصدر][٢٤٣] بدليل قوله «(هو اذى)»[٢٤٤] ومنهم من لم ير المصدر من ذلك قياساً وتوقف[٢٤٥] فيه على السماع .

وكاسم مفعول غير ذي الثلاثة صُغْ
منه لما مُفْعَل او مُفْعِل جعلا

يبنى للدلالة على المصدر والزمان والمكان من كل فعل زائد على ثلاثة احرف مثل اسم المفعول منه فيقال اكرمته مُكرَماً اي اكراما ، وهذا مدحرج زيد اي مكان دحرجته والزمان كذلك . قال الله تعالى « ومزّقناهم كل ممزّق »[٢٤٦] اي كل تمزيق[٢٤٧] . وقال الراجز[٢٤٨] :

« إن المُوَقّى مثل ما وُقِيتُ »

اراد التوقية . وقال كعب بن مالك[٢٤٩] :

اقاتلُ حتى لا ارى لي مقاتَلا
وانجو اذا غُمّ الجبان من الكرب[٢٥٠]

اراد قتالاً .

وقالوا : ما فيه متحامَل اي ما فيه تحامُل . وقالوا للمكان : هذا متحامَلنا وهذا مخرَجُنا ومدخَلنا ومصبَحنا وممسانا ، والزمان مثل ذلك[٢٥١] .

قال امية بن ابي الصلت :

الحمد لله مُمسانا ومصبحنا
بالخير صبحنا ربي ومسانا[٢٥٢]

فصل

من اسم ما كثر اسم الارض مَفْعَلة
كمثل مسبَعة والزائد اختزلا
من ذي المزيد كمُفْعاة ومُفْعِلة
وافعلت عنهم في ذا قد احتملا
غير الثلاثي من ذا الوضع ممتنِع
وربما جاء منه نادر قبلا

يبنى للمكان من اسم ما كثر فيه مَفْعَلة بشرط كون الاسم ثلاثي الاصول ، اما مجردا كقولهم : ارض مَسْبَعة ومأسدة ومذأبة ، واما مزيداً فيه كقولهم : ارض مَحْياة فيها حيات ، ومَفْعاة فيها افاع ، ومَقْثاة ومرمَنة فيها قثّاء ورُمان . وربما بنوا للمكان من اسم ما كثر فيه فعلًا على افعل فيقال : افعَلت الارض فهي مُفْعلة نحو : اضبت الارض فهي مُضِبّة واقثات فهي مُقْثئة .

واما الرباعي الاصول نحو ضفدع فاستكرهوا فيه مثل ذلك ، واستغنوا بنحو كثيرة الضفادع الا فيما ندر من قولهم : مُثْعَلِبة ومُعَقْرِبة ، حكاهما سيبويه رحمه الله تعالى[٢٥٣] .

فصل

كمفعَل وكمِفْعال ومِفْعَلَة
من الثلاثي صغ اسم ما به عملا
شذ المدق ومسعط ومكحُلَة
ومُدْهن منصل والات من نخلا (٢٤٧ آ)
ومن نرى عملا بهن جاز له
فيهن كسر ولم يعبأ بمن عذلا

يبنى من الفعل الثلاثي ما يُفْعَل به اسم على مِفْعَل بكسر الميم وقد تلحقه التاء او على مفعال . فمِفْعَل نحو مِخْلَب ومِقَصّ ومسلة ومكسحة ومسرحة والمصفى والمخرز[٢٥٤] والمِخْيط . ومفعال نحو مِقْراض ومصباح ومفتاح وقالوا : المفتَح . وجاء من اسماء الالات على مُفْعُل[٢٥٥] بالضم والاتباع[٢٥٦] المدق والمسعط والمكحلة والمدهن والمنصل والمنخل والمحرضة بنيت على ذلك لانها اسماء لتلك الاشياء ، وان لم يعمل بها . فاذا قصد بها العمل جاز ان تكسر نحو نخلت بالمِنْخَل ودَقَقْت بالمِدَق .

وقد وفيت بما قد رمت منتهياً
فالحمد لله اذ ما رمته كملا

ثم الصـــلاة وتسليم يقـــارنهـــا
على الـــرسول الكريم الخاتم الـرسـلا
والــــه والصحـــابـــة الكـــرام ومن
ايـــاهم في سبيـــل المكـــرمـات تــلا
واســال اللــه من اثــواب رحمتـــه
ستـــراً جميـــلاً على الـــزلات مُشتَمِـــلا
وان ييســـر لي سعيـــاً اكـــون بــــه
مستبشـــراً آمنـــاً لا بـــاســـراً وجـــلا

بسر الوجر بسوراً : عبس(٤٥٧).

تمت القصيدة بشرحها ولله الحمد .

وعلى يد عبد الله الفقير اليه الغني به محمد بن احمد بن ابراهيم بن حيدر القرشي الشافعي عامله الله بلطف منه عاشر .. الاخر سنة سبع وسبعماية . اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واغفر لكاتبها وانفعه بالعلم واجعله من خيار اهله .

الحمد لله رب العالمين ، حسبنا الله ونعم الوكيل(٤٥٨) .

(انتهى شرح لامية الافعال)

هوامش النص

(١) اختزلت العبارات في ط بالاتي : بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي امين .
(٢) ط : الامام العلامة .
(٣) ط : الشيخ العلامة .
(٤) ط : ابي عبد الله .
(٥) ط : رحمه .
(٦) ط : سقطت لفظة تعالى ، وبعدها عبارة (ورحم سلفه) لا وجود لها عندنا .
(٧) ط : سقطت (تعالى) .
(٨) بعدها في ط : والله سبحانه وتعالى الموفق قال .
(٩) ط : والثل ، غلط مطبعي .
(١٠) ط : مثل .
(١١) ط : حلا .
(١٢) ما بين عضاذتين ساقط في مخطوطتنا واستضفناه من ط .

والاية الكريمة رقم ٣١ م سورة الرعد رقم ١٣ .

(١٣) سقطت من الاصل المخطوط فاستضفناها من ط .
(١٤) ط : كامارة .
(١٥) ما بين عضادتين استضفناها من ط .
(١٦) ط : حكى .
(١٧) ما بين عضادتين بياض في الاصل فاستضفناه من ط .
(١٨) ط : احتراز ، وهو خطا .
(١٩) ط : يرد .
(٢٠) ط : سقط بعض الكلمة في الطبع .
(٢١) ط : فعِل .
(٢٢) ط :بنه ، خطا مطبعي .
(٢٣) سقطت الكلمة من ط .
(٢٤) العبارة في ط : وحمل على المضارع اخواته من الامر .
(٢٥) في ط : وعد يعد عد عدة .
(٢٦) ما بين عضادتين استضفناها من ط .
(٢٧) ط : يلزم .
(٢٨) ط : سقطت عبارة (في امرر به وجل مثل جلا) .
(٢٩) العطاردي : احمد بن عبد الجبار ابو عمرو العطاردي روى الحروف عن ابي بكر بن عياش ، روى القراءة عنه عبد الله ابن محمد بن هاشم الزعفراني غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٦٥ .
(٣٠) الاية الكريمة رقم ٣١ م ال عمران رقم ٣ ونصها في المصحف الشريف :
«قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» .
(٣١) قال المفضل بن المهلب بن ابي صفرة :

ومن هـر اطـراف القنـاخشيـة الـردى
فليس لمجـــد صـــالـــح بكسـوب

(اللسان مادة هرر) .

(٣٢) سقطت لفظة الحديث في ط .
(٣٣) ط : حمله وافشى .
(٣٤) ط : شرع .
(٣٥) ط : (واضمن مع اللزوم ... الخ) .
(٣٦) ط : حدث ، وهو تصحيف .
(٣٧) ط : الا واللا .
(٣٨) ط : وشر ، خطا مطبعي .
(٣٩) ط : الليل عليه .
(٤٠) ط : الفرس ، تطبيع .
(٤١) ط : وخبيباً مشى مشياً دون الاسراع .
(٤٢) ط : وترت النواة تتُر وتتِر زورا وثبت . وفي هذا تصحيفات عدة صوابها ما اثبتناه . [جاء في اللسان « ترر » : التروِر : وثبة النواة من الحَيس . وترت النواة من مرضاخها تترّ وتترّ تروراً : وثبت) .

(٤٣) ط :عنانا . وهو تحريف : قال الحارث بن حلزة :

عننــاً بـــاطــلاً وظلمــا . كمـــا تعـ

تـــر عن حجْـــرة الربيض الظبـــاء

(٤٤) ط : شمه . غلط مطبعي .
(٤٥) ط : وقوله .
(٤٦) ط : او .
(٤٧) ط : سابقتي . تطبيع .
(٤٨) ط : الكسر في عين .
(٤٩) الكسائي : علي بن حمزة الاسدي (ت ١٨٩ هـ) من ائمة القراء والنحو واللغة . علم الرشيد والامين من بعده انظر ترجمة موسعه له في انباه الرواة ٢ / ٢٥٦ - ٢٧٤ ، ومصادره ثمة .
(٥٠) ط : يمنع .
(٥١) ط : عينها .
(٥٢) ط : فيقول .
(٥٣) ط : لحروف .
(٥٤) ط : كيفي .
(٥٥) ط : مثل .
(٥٦) ط : في احد .
(٥٧)ط : اسقطت منها : فغر يفغر .
(٥٨) ط : سقطت منها : جبه يجبه .
(٥٩) ط : لم يثبت البيت . واثبت مكانه الاتي :(فاكسر البيت) .
(٦٠) ما بين عضادتين استضفناها من ط .
(٦١) ما بين عضادتين استضفناها من ط .
(٦٢) ط : فالتقى .
(٦٣) ط : ضمة .
(٦٤) ط : وكسرة .
(٦٥) ط : اتصلت .
(٦٦) ط :بملثه . تطبيع .
(٦٧) ط : حرجبت النعم فاحرنجمت اي اجتمعت .
قلت وفي اللسان : احرنجمت الابل : اجتمعت وبركت .
(٦٨) ط : اضرنطم (بالضاد) وهو تحريف . والصواب ما اثبتنا .
جاء في اللسان : اخرنطم الرجل : رفع انفه واستكبر .
(٦٩) انفتل : سقطت من ط .
(٧٠) ط : رابعة .
(٧١) ط : سقطت الواو .
(٧٢) عبارة (الشيء اخضل) ساقطة من ط .
(٧٣) قال ربيعة بن مقروم الضبي يصف ناقته :

كـــان هـــويهـــا لمـــا اشمعلت

هـــوي الطيـــر تبتـــدر الايـــابـــا

(٧٤) ابو زيد : سعيد بن اوس بن ثابت الانصاري الخزرجي . لغوي نحوي كثير الرواية عن الاعراب عالم بالشعر اوثق من روى الشعر عن الكوفيين . كانت حلقته في البصرة مجتمع فضلاء الناس . ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفي سنة ٢١٥ . ومن اثاره كتاب النوادر . وانظر كتاب صديقنا د . خليل العطيه الممنون « ابو زيد الانصاري وكتابه الهمز » .
(٧٥) كلمة (يدحرج) في المخطوطة وفي ط . ولم اجد لا معنى هنا .
(٧٦) ابو عمر الزاهد : محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب لغوي معروف من تصانيفه المطبوعة المداخل والمقصور والممدود ويوم وليلة وفائت الفصيح والعشرات ولد سنة ٢٦١ وتوفي ببغداد سنة ٣٤٥ انظر انباه الرواة ٣ / ١٧١ - ١٧٧ ومصادره ثمة .
(٧٧) ط : افونعل .
(٧٨) ط : ازهق . وهو تطبيع .
(٧٩) ط : نرهشف. تطبيع .
(٨٠) ما بين عضادتين استضفناه من ط .
(٨١) سقطت لفظة (اجفاظ) من ط .
(٨٢) العبارة ساقطة في ط . وفي اللسان عنك الرمل يعنك . عنوكاً وتمنك : تعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق .
(٨٣) ط :عرياً .
(٨٤) قال عمر بن ابي ربيعة :

ويـــا حبـــذا بـــرد انيـــابـــه

اذا اظلم الليـــــل واجلـــــوذا

(٨٥) ط : سنابله .
(٨٦) ما بين عضادتين استضفناه من ط .
(٨٧) ط : ظرف يظرف .
(٨٨) ما بين عضادتين استضفناها من ط .
(٨٩) ط : فاما .
(٩٠) ما بين عضادتين ساقط من ط .
(٩١) بعدها في ط : وتغافل يتغافل لا وجود لها في مخطوطتنا .
(٩٢) ط : كسرا بكسر الكاف وهو تطبيع .
(٩٣) ط : على ما يشعر .
(٩٤) في ط سقط بعدها هذا نصه : منه نحو:ضرب واكرم .
(٩٥) ط : ضرب يضرب .
(٩٦) ط : فخفف .
(٩٧) ط : قول ويوع .

(٩٨) ط : نيرين . وهو تحريف لان النول هو الخشب الذي يلف عليه الحائك الثوب .

(٩٩) البيت دون عزو في المقاصد النحوية في شرح شواهد الالفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى للامام محمود العيني ٢ / ٥٢٦ (على هامش الخزانة) .

(١٠٠) في ط سقطت كلمة (نحو) .

(١٠١) ط : قصار .

(١٠٢) ط : يوع . تطبيع .

(١٠٣) ط : موضوعاً .

(١٠٤) ط : ومما .

(١٠٥) ط : من غير افعل بعد حذف الياء .

(١٠٦) ط : اقتصر .

(١٠٧) ما بين عضادتين استضفناه من ط .

(١٠٨) ط : واكسر .

(١٠٩) ط : اغزي .

(١١٠) ط : اغزي .

(١١١) الاية الكريمة رقم ١٣٢ ك سورة طه رقم ٢٠ .

وبعدها في ط آية كريمة اخرى هي (خذ العفو وامر بالمعروف) .

(١١٢) ط : ومشبه .

(١١٣) ما بين عضادتين استضفناه من ط .

(١١٤) عبارة (وعزت فهي عزوز) سقطت من ط) .

(١١٥) ما بين عضادتين استضفناه من ط .

(١١٦) سقطت من ط كلمة (ندس) .

(١١٧) ط : ومشبه .

(١١٨) في الاصل المخطوط : نَدِس فهو نَدِس ونَدُس .

(١١٩) ط : يقُظ .

(١٢٠) ط : فجاءوا باسم الفاعل منه .

(١٢١) ط : شيّخ .

(١٢٢) ط : مطلق الحدوث والتجدد .

(١٢٣) ط : قال الشاعر .

(١٢٤) البيت لاشجع السلمي في ديوانه ص ٢٠٠ من قصيدة رثى بها عمرو بن سعيد بن سلم . ورواية عجزه في ديوانه : ولا لاغتباط بعد .

(١٢٥) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٢٤٦ من قصيدة ، ورواية صدره في الديوان : رأيت التقى .

(١٢٦) ط : واسغنوا : خطا مطبعي .

(١٢٧) ط : عنه .

(١٢٨) ساقط في المخطوط فاستضفناه من ط .

(١٢٩) كلمة (نحو) : ساقطة من ط .

(١٣٠) ط : حذف حذفا .

(١٣١) في الاصل : خال يخال خيلة .

(١٣٢) ط : كتقى ، وسقطت قبلها كلمة (نحو) .

(١٣٣) ط : شننته .

(١٣٤) ط : وجلى .

(١٣٥) ط : صفر .

(١٣٦) ما بين عضادتين ساقط في الاصل المخطوط .

(١٣٧) ط : نفد نفادا .

(١٣٨) عبارة (خنقه خنقا) ساقطة في ط .

(١٣٩) ط : ضَبِعَت .

(١٤٠) سقطت عبارة (صار ضيرورة) من ط .

(١٤١) كلمة (عاليا) سقطت من ط .

(١٤٢) ط : نحو جمز جمزى .

(١٤٣) ط : وقرطت الداية قرطى ، بالقاف ، وهو وهم صوابه : مرطى (بالميم) . تقول : فرس مرطى : سريع ، وكذلك الناقة . وقال الليث : المروط سرعة المشي والعدو (انظر اللسان مادة مرط) .

(١٤٤) ط : سُحُنْبة (بالباء) خطا مطبعي .

(١٤٥) ما بين عضادتين استضفناه من ط .

(١٤٦) ما بين عضادتين استضفناها من ط .

(١٤٧) ط : و .

(١٤٨) ما بين عضادتين استضفناه من ط .

(١٤٩) ط : سَهُلا .

(١٥٠) في الاصل المخطوط : سَهُل فهو سَهّل سهولة (بتقديم وتاخير) .

(١٥١) ط : جلا .

(١٥٢) ط : في .

(١٥٣) بعدها في ط : بالضم .

(١٥٤) بعدها سقط في ط هذا نصه (على فعل نحويئس ياساً و) .

(١٥٥) ط : سرعاه ، خطا مطبعي .

(١٥٦) في الاصل المخطوط : ضفنت .. ضفينا ، وهو تصحيف .

انشد ثعلب :

كان ضغيب المَحْض في حاويائه
مع التمر احياناً ، ضغيب الارانب

(اللسان مادة ضغب)

(١٥٧) ما بين عضادتين استضفناه من ط .

(١٥٨) ط : تجر تجارة .

(١٥٩) كلمة (كل) استضفناها من ط .

(١٦٠) ط : مصدره .

(١٦١) ط : رحمه رحمة واحدة .

(١٦٢) ط : مصدره .
(١٦٣) ط : والجلسة والمشية .
(١٦٤) كلمة (المصادر) سقطت من ط .
(١٦٥) ط : ما الاخير تلا .
(١٦٦) ط : فبناء .
(١٦٧) ط : ثالثة .
(١٦٨) ط : سمغد . قلت : والسمغد : الطويل .
(١٦٩) ما بين عضادتين استضفناه من ط .
(١٧٠) ط : وتغافل تغافلا وتدحرج تدحرجاً .
(١٧١) ما بين عضادتين استضفناه من ط .
(١٧٢) ما بين عضادتين من ط .
(١٧٣) كلمة مصدر ساقطة من ط .
(١٧٤) البيت دون عزو في اللسان مادة (ملق) وتملق له تملقاً وتملّاقاً : اي تودد اليه وتلطف به .
(١٧٥) ط : نحو ولهم ، تحريف .
(١٧٦) جاء في التاج مادة (سَرْهَفَ) : سرهفت الصبي اي احسنت غذاءه ونعمته ويروى قول العجاج هكذا :

سرهفته ما شئت من سرهاف

والبيت للعجاج في ديوانه ص ١١١ من ارجوزة وروايته :

سرعفته ما شئت من سرعاف

وفي الصحاح : سرعفت الصبي اذا احسنت غذاءه وكذلك سرهفته وانظر الخزانة ١ / ٢٤٩ والسمط ٧٨٨ .

(١٧٧) ط : كبر .
(١٧٨) ط : وجهور في كلامه .
(١٧٩) الرهيأة : التخليط في الامر وترك الاحكام .
(١٨٠) سلقاه : طعنه فالقاه على جنبه .
(١٨١) ط : قال الشاعر .
(١٨٢) البيت لرؤبة في ديوانه ص ١٧٠ (قسم الابيات المفردة التي الحقها المحقق بديوانه) .
(١٨٣) سقطت كلمة (على) من ط .
(١٨٤) الرجز في اللسان مادة شهل ومادة نزا ، وهو مشهور في كتب اللغة وغيرها ولم يذكر احد تتمته ولا قائله .

والشهلة : المرأة النصف العاقلة . والشهلة : العجوز . والرجز في اللسان دون عزو وروايته : باتت تنزّي .

والنزو : الوثوب ، وتنزي : تسرّع .

والرجز في الخصائص ٢ / ٣٠٢ واشار في هامشها الى ما ورد في شرح شواهد الشافية٦٧ .

(١٨٥) ط : به في .
(١٨٦) ط : وللعار الخ .
(١٨٧) ط : الثلاثي .
(١٨٨) ط : كرميا .
(١٨٩) ط : سبق .
(١٩٠) ط : هذا البيت .
(١٩١) ط : ذكره .
(١٩٢) ط : فاحتملا .
(١٩٣) ط : مقولة ، وهو خطا مطبعي .
(١٩٤) عبارة (وخاصمه خصاما) سقطت من ط .
(١٩٥) ط : الغان .
(١٩٦) بعض الاية الكريمة رقم ١٧٧ م سورة البقرة رقم ٢ . ونصها « واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » .
(١٩٧) ط : بما .
(١٩٨) اقعنسس البعير وغيره : امتنع فلم يتبع وكل ممتنع مقعنسس .
(١٩٩) اغدودن الشعر : طال وتم ، قال حسان بن ثابت :

وقامت ترائيك مغدودِنا
اذا ما تنوء به ادها

(اللسان مادة غدن)

(٢٠٠) ط : اقمت .
(٢٠١) عبارة (واستخرت استخارة واحدة وقاتله مقاتلة واحدة) سقطت من ط .
(٢٠٢) ط : ماضيه .
(٢٠٣) ط : بعده بيت رابع ورد في مخطوطتنا بعد الشرح وليس في هذا الموضع .
(٢٠٤) ط : و .
(٢٠٥) ط : و .
(٢٠٦) ط : و .
(٢٠٧) ما بين عضادتين استضفناها من ط .
(٢٠٨) ما بين عضادتين استضفناه من ط .
(٢٠٩) ط : فلمفعل في .
(٢١٠) ط : كان .
(٢١١) ط : موعدا .
(٢١٢) ط : موجدا .
(٢١٣) ط : يكن .
(٢١٤) ط : سقطت كلمة (الله) .
(٢١٥) هذا البيت موضعه وتقدم قبل الشرح في ط ، كما نبهنا في هامش تقدم .
(٢١٦) ط : فالفتح .
(٢١٧) ط : والكسر .
(٢١٨) ط : لمكن ، خطا مطبعي .
(٢١٩) ط : ويقل ، خطا مطبعي .
(٢٢٠) ط : مجمَع ، ومجمِع .

(٢٢١) عبارة (وفي المصدر منّ جمع يجمع مجمعه ومجمعه) سقطت من ط .

(٢٢٢) ط : الاقدام .

(٢٢٣) ط : الاقدام .

(٢٢٤) ط : السف ، خطا مطبعي .

(٢٢٥) ط : موقمته ، وسقطت كلمة (الطائر) .

(٢٢٦) ط : في .

(٢٢٧) ط : منه شاذا .

(٢٢٨) ط : فنبه عليه بقوله .

(٢٢٩) ط : واعرف .

(٢٣٠) ط : بخلا .

(٢٣١) ما بين عضادتين استضفناها من ط .

(٢٣٢) ط : اي ذبح .

(٢٣٣) استضفناها من ط .

(٢٣٤) في القران الكريم ثلاث ايات تبدأ هذه البداية هي : (الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) الاية ٤٨ م المائدة ٥ :

(الى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم تعملون) ١٠٥ م سورة المائدة رقم ٥ .

(الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير) الاية رقم ٤ ك سورة هود رقم ١١ .

(٢٣٥) ط : اي احتاج .

(٢٣٦) ط : سقطت الا ، ومكانها (و) .

(٢٣٧) ورد الشطر دون عزوفي اللسان في مادة (ألك) برواية مماثلة .

(٢٣٨) البيت لجميل بن عبد الله بن معمر وصدره :،بثين الزمي لا ، ان لا ان لزمته ه،

ومعناه : نعم العون قولك لا في رد الوشاة ، وان كثروا .

البيت في ديوان جميل ص ٢١٢ بتحقيق صديقنا د . حسين نصار .

(٢٣٩) البيت لعدي بن زيد وعجزه : انه قد طال حبسي وانتظاري والمالكة : الرسالة التي تؤلك في الفم . ومالك جمع مالكة .

انظر اللسان مادة (الك) والبيت له في ديوانه ص ٩٣ . وديوانه بتحقيق صديقنا د . محمد جبار المعيبد .

(٢٤٠) ط : ابلغ اخا النعمان عني مالكا . وهي رواية مختلة .

(٢٤١) ط : الاواخر .

(٢٤٢) الاية الكريمة رقم ٢٢٢ م سورة البقرة رقم ٢ ونص الاية : (ويسالونك عن المحيض قل هو اذى) .

(٢٤٣) ما بين عضادتين استضفناها من ط .

(٢٤٤) بعض الاية الكريمة رقم ٢٢٢ سورة البقرة التي مرت .

(٢٤٥) ط : به .

(٢٤٦) بعض الاية الكريمة رقم٩ ك سورة سبأ رقم ٣٤ . واولها : (فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق) .

(٢٤٧) ط : سقطت كلمة (كل) .

(٢٤٨) الرجز لرؤبة في ديوانه ص ٢٠٥ من ارجوزة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك .

(٢٤٩) كعب بن مالك بن عمرو الانصاري الخزرجي (.... - ٥٠ هـ) من كبار شعراء عصره ، اسلم وكان من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد الوقائع وعمي في اخر حياته . طبع ديوانه بتحقيق صديقنا د . سامي مكي العاني في بغداد سنة ١٩٦٦ مصدراً بدراسة قيمةوهو في الاصل رسالة ماجستير .

(٢٥٠) البيت له في ديوانه ص ١٨٤ .

(٢٥١) ط : مثل المكان .

(٢٥٢) البيت لامية في ديوانه ص ٣٠٢ بتحقيق صديقنا د . بهجت عبد الغفور الحديثي .

(٢٥٣) كلمة تعالى سقطت من ط .

(٢٥٤) كلمة المخرز سقطت من ط .

(٢٥٥) ط : فُمْل خطا مطبعي .

(٢٥٦) ط : على الاتباع .

(٢٥٧) بعدها في ط ما نصه : والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين .

(٢٥٨) ما بعد كلمة (عبس) والى نهاية النص لا وجود له في ط .

شعر ابن حزم الأندلسي
القسم الرابع

جمع وتحقيق
عبد العزيز ابراهيم

قال ابن حزم في باب (البين) : وفي ذلك أقول قطعة ، منها :

-(١٢٧)-

(بسيط)

١ ـ وأستلذُّ بلائي فيك يا أملي
ولستُ عنك مدى الأيام أنصرفُ

٢ ـ إن قيلَ لي تسلَّ عن مودَّته
فما جوابيَ إلا اللامَ والالفُ

التخريج / الطوق / ٢٦
ـــــ ويُنظر الرسائل ١ / ١٠١ ، والقاسمي / ٥٦
قال ابن حزم في باب (الكلام في ماهيّة الحبّ) : أقول من كلمة طويلة

-(١٢٨)-

(وافر)

١ ـ أغار عليكِ من إدراكِ طرفي
وأشفقُ أن يذيبكِ لمسُ كفي

٢ ـ فامتنعُ اللقاءَ حذارَ هذا
وأعتمدُ التلاقي حين أغفي

٣ ـ فروحي انْ أنم بك ذو انفرادٍ
من الاعضاءِ مستترٌ ومخفي

٤ ـ ووَصْلُ الروحِ ألطف فيك وقعاً
من الجسمِ المواصل الف ضِعْفِ

التخريج / الطوق / ١٣٢
ـــــ وتنظر الرسائل ١ / ٢٣٤ ، والقاسمي / ١٨٩
قالها ابن حزم في باب (القنوع)

-(١٢٩)-

(سريع)

١ ـ لمّا مُنِعتُ القربَ من سيِّدي
ولَجَّ في هجري ولم يُنصفِ

٢ ـ صِرتُ بابصاري أثوابَهُ
أو بعض ما قد مسَّهُ أكتفي

٣ ـ كذلك يعقوبُ نبي الهُدى
إذ شفَّهُ الحزنُ على يوسفِ

٤ ـ شمَّ قميصاً جاء من عندهِ
وكان مكفوفاً فمنهُ شُفي

التخريج / الطوق / ١٣٠
ـــــ وينظر الرسائل ١ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، والقاسمي / ١٨٧ قالها ابن حزم في باب (القنوع)

—(١٣٠)—

(هزج)

١ ــ ويا مَنْ لا مني في حُبِّ مَنْ لم يَرهُ طرْفي
٢ ــ لقد أفرطْتَ في وصفكَ لي في الحبِّ بالضعْفِ
٣ ــ فقُلْ : هل تُعرفُ الجنَّةُ يوماً بسوى الوصفِ

التخريج / الطوق / ٣٨
ـــــــ ويُنظر الرسائل ١ / ١١٨ ، والقاسمي / ٧١

قال ابن حزم في باب (من أحبّ بالوصف) : وفي ذلك أقول شعراً ، منه :

—(١٣١)—

(طويل)

١ ــ يُبكّي لميتٍ مات وهو مكرَّمُ
وللحيِّ أولى بالدموعِ الذوارفِ
٢ ــ فيا عجباً من آسفٍ لامرىء ثوى
وما هو للمقتولِ ظلماً بآسفِ

التخريج / الطوق / ١٤٧
ـــــــ وينظر الرسائل ١ / ٢٥٢ ، والقاسمي / ٢٠٨

قال ابن حزم في باب (السلو) : فقلت قطعة منها :

—(١٣٢)—

(سريع)

١ ــ صبْانِ هيمانانِ في واحدٍ
كلاهُما عن خِدْنهِ مُنحرفْ
٢ ــ كالكلبِ في الآريِّ لا يعتلفْ
ولا يُخلّي الغيرَ أنْ يعتلفْ

التخريج / الطوق / ٨٢
ـــــــ وينظر الرسائل ١ / ١٦٩ ، والقاسمي / ١٢٥

البيت (١) الخِدْن : الصديق . ينظر الصحاح (خدن) ٥ / ٢١٠٧

البيت (٢) : (الغير) بدلاً من (العير) في الرسائل

الآري : قال ابن السكيت : إنما الآريّ مَحْبس الدابة

ينظر لسان العرب (أري) ١ / ٥٣

نقل الطاهر مكي في هامش ص ٨٢ من الطوق مثلاً في اللغة الاسبانية « ككلب الجنان ، لا ياكل ، ولا يدع سيده ياكل » وهو أثر أندلسي أشار اليه ابن حزم في البيت الثاني .

—(١٣٣)—

(منسرح)

١ ــ صار حياةً وكان سَهْم ردى
وكان سمّاً فصار درياقا

التخريج / الطوق / ٨١
ـــــــ وينظر الرسائل ١ / ١٦٨ ، والقاسمي / ١٢٤

البيت (١) : (ترياقا) بدلاً من (درياقا) في القاسمي . وضمت الدال في الرسائل والصحيح كسرها . ينظر الصحاح (درق) ٤ / ١٤٧٣

قال ابن حزم في باب (الرقيب) : وأقول قطعة منها :

—(١٣٤)—

(طويل)

١ ــ أراقكَ حسنُ غيبةٌ لك تاريقٌ
وتبريدُ وَصْلٍ سرُّه فيك تحريقُ
٢ ــ وَقربُ مزارٍ يقتضي لك فرقةً
وشيكاً ولولا القربُ لم يكُ تفريقُ
٣ ــ ولذَّةُ طعمٍ مُعقِبٍ لك علقماً
وصاباً وفُسْحٌ في تضاعيفه ضيقُ

التخريج / الطوق / ١٨٩
ـــــــ وينظر الرسائل ١ / ٣٠٠ ، والقاسمي / ٢٥٥

قال ابن حزم في باب (فضل التعفف) : فسنحت لي أبيات ...

ومن الابيات :

—(١٣٥)—

(طويل)

١ ــ أبنْ وجهَ قولِ الحقِّ في نَفْسِ سامعٍ
ودعهُ فنور الحق يسري ويُشرقُ
٢ ــ سيؤنسه رفقاً فينسى نفاره
كما نسي القيد الموثق مُطلقُ

التخريج / جذوة المقتبس ٢ / ٤٩٢ ، الذخيرة ق ١ / ١ / ١٧٤ ، بغية الملتمس / ٣٠٥ ، الإحاطة ٤ / ١١٥ ، معجم الادباء ١٢ / ٢٥٧

البيت (١) : (قول وجه) بدلاً من (وجه قول) في الذخيرة والمعجم .

قال الحميدي في الجذوة : وأنشدني لنفسه وأنا سالته : ونقل ابن بسام في الذخيرة عن الحميدي قوله : وقلت له يوماً : قال أبو نواس :

عــزَضنْ للــذي تحبُّ بحبٍ
ثمّ دَعْهُ يروضُهُ ابليسُ

فقلْ انت في طريق التحقيق فقال :

-(١٣٦)-

(طويل)

١ ـ فلو كانت الدنيا دونيك لجةٌ
وفي الجو صعقٌ دائم وحريقُ

٢ ـ لسَهَّلَ وُدّي فيك نحوك مَسلكاً
ولم يتعذَّرْ لي اليك طريقُ

التخريج / نفح الطيب ٢ / ٨٣

-(١٣٧)-

(طويل)

١ ـ أبا عامرٍ ناديتُ خلّاً مُصافياً
يُفَدِّيك من نُعْم الخطوب الطّوارق

٢ ـ وآلمت قلباً مخلصاً لك مُمحضاً
بودِّك موصولُ العُرى والعلائق

٣ ـ شدائد يَجلوها الإله بلطفه
فلا تأس إنَّ الدّهر جمّ المضايق

٤ ـ فمعقبُ سوء الحالِ حسنى وفرحةٌ
وتالي رخاء العيش احدى البوائق

٥ ـ وربُّ أسيرٍ في يد الهول مُطلقٌ
ومُنطلق والدهر أسوق سائق

٦ ـ سفينة نوح لم تضقْ بحلولها
وضاق بهم رحبُ الملا والشمالق

٧ ـ فإنْ تنْجُ قلت الحمدُ لله مُخلصاً
فمن أعظم النُعْمى بقاء المصادق

٨ ـ وإن تكنْ الإخرى فاقربْ بلاحقٍ
تأخَّر منا من تقدَّم سابق

٩ ـ فقُربك لي أنسٌ وبُعدك مُوحشي
ولقياك مسلاتي وفقدُك شائقي

التخريج/ / جذوة المقتبس ١ / ٢١٠ ، الذخيرة ق ١ / ١ / ٣٣٠

(الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧)
البيت (٢) : (والفيت) بدلاً من (ألمت) في الذخيرة
= (٦) : (الفلا) = = (الملا) ، (المتضايق) بدلاً من (والشمالق) في الذخيرة

ذكر الحميدي في الجذوة : اخبرني ابو محمد علي بن احمد ، قال : كتب الي ابو عامر بن شهيد في علته بهذه الابيات : (منها)

كأني وقد حان ارتحالي لم أفز
قديماً من الدنيا بلمحة بارق

فمن مُبلغٌ عنّيَ ابن حزم وكان لي
يداً في مُلماتي وعند مُضايقي

عليك سلام الله اني مُفارقٌ
وحسبك زاداً من حبيب مفارق

فلا تنسَ تأتيني إذا فقدتني
وتذكار أيّامي وفضل خلائقي

فاجابه ابو محمد : الابيات

ـ ينظر جذوة المقتبس ١ / ٢٠٩ ـ ٢١٠ ، ونفح الطيب ٣ / ٣٦٢ ، والذخيرة ق ١ / ١ / ٣٢٩ ، ومطمح الانفس / المورد مج ١٠ / ٣ ـ ٤ ص ١٦٨ . وقصيدة ابن حزم من القصائد التي عارض بها الشعراء .

-(١٣٨)-

(طويل)

١ ـ ولمّا رأيتُ الشيب حلَّ مفارقي
نذيراً بترحال الشباب المفارق

٢ ـ رجعتُ الى نفسي فقلتُ لها انظري
الى ما أتى ، هذا ابتداء الحقائق

٣ ـ دعي دعواتِ اللّهو قد فاتَ وقتها
كما قد أفات الليلَ نورُ المشارق

٤ ـ دعي منزل اللذّاتِ ينزلُ أهله
وجِدّي لما تُدعى إليه وسابقي

التخريج / نفح الطيب ٣ / ٦٧

-(١٣٩)-

(بسيط)

١ ـ أمّا الغلامُ فقد حانتْ فضيحتُه
وإنّه كان مستوراً فقد هُتكا

٢ ـ ما زالَ يضحكُ من أهل الهوى عجباً
فالانَ كلُّ جهولٍ منه قد ضحكا

٣ ـ اليك لا تلحُ صبّاً هائماً كلفاً
يرى التهتك في دين الهوى نسُكا

٤ ـ قد كان دهراً يُعاني النسكَ مجتهداً
يُعدُّ في نُسكه كلُّ امرىء مُسكا

٥ ـ ذو مَخْبرٍ وكتاب لا يفارُقه
نحو المحدِّث يسعى حيثُ ما سلكا

٦ ـ فاعتاضَ مِن سُفْر أقلام بنان فتىً
كأنهُ من لُجينٍ صيغ أو سُبكا

٧ ـ يالائمي سفهاً في ذاك قلْ فلم
تشهد جبينَين يوم الملتقى اشتبكا

٨ ـ دعني ووردي في الآبـــار أطلبُـــه
إليـك عني كـــذا لا أبتغي البـــركـا

٩ ـ إذا تعفّفتَ عفَّ الحبّ عنـــك وإنْ
تـركت يـومـاً فـإنّ الحبَّ قد تـركـا

١٠ ـ ولا تحـــلُ من الهجـــران مُنعقـــداً
إلّا إذا مـــا حللْتَ الأرز والتككـــا

١١ ـ ولا تُصحّـــحُ للسلطـــانِ مملكـــةً
أو تـــدخـــلُ البـــردُ عن انفـــابِهِ السِككـا

١٢ ـ ولا بغـيرِ كثيرِ المسحِ يـذهبُ مـا
يعلـو الحـديـدَ من الأصـداء ان سُبكـا

التخريج / الطوق (طـ ٢) / ١٦٩
ـــــــ وينظر الرسائل ١ / ٢٧٧ ، القاسمي / ٢٣٣ (ما عدا الرابع)
البيت (٤) : في الطوق طـ ١ (نُسكا) بدلاً من (مُسْكـا)
قال ابن حزم في باب (قبح المعصية) : ولي كلمتان قلتهما معرضاً .. برجل من أصحابنا .. ومن احدى الكلمتين :

ـ(١٤٠)ـ

(طويل)

١ ـ أتـاني ومـاءُ المُـــزْن في الجوّ يَسفـكُ
كمحضِ لجـــينٍ إذْ يمـــدُّ ويُسْبَـــكُ

٢ ـ جِـلالُ الـديـاجي انحطُّ من جوِّ أفْقِه
فقُـــلْ في محب نـــالَ مـــا ليس يُـدركُ

٣ ـ وكـان الذي إنْ كنتُ لي عنه سـائلاً
فمـــا لي جـــوابٌ غـــيرَ أنيّ أضحـــكُ

٤ ـ لفِـــرط سروري خلتني عنـــه نـــائمـاً
فيـــا عجبـــاً من مُـــوقنٍ يتشكـــكُ

التخريج / الطوق / ١٧٢
ـــــــ وينظر / الرسائل ١ / ٢٨٢ ، القاسمي / ٢٣٧
قالها ابن حزم في باب (قبح المعصية)

ـ(١٤١)ـ

(مجزوء الوافر)

١ ـ دمـــــوعُ الصبّ تُسفـــــك
وستـــــرُ الصبّ ينهتـــــكُ

٢ ـ كـــان القلبَ إذ يَبـــدو
قطـــاةٌ ضمّهـــا شـــركُ

٣ ـ فيـــا أصحـــابنـــا قـــولـــوا
فـــإنّ الـــرأي مشتـــركُ

٤ ـ الى كم ذا أكـــاتمـــهُ
ومـــالي عنـــه مُتّـــركُ

التخريج / الطوق / ٦١
ـــــــ وينظر الرسائل ١ / ١٤٦ ، والقاسمي / ١٠١
قالها ابن حزم في باب (طي السر)

ـ(١٤٢)ـ

(طويل)

١ ـ أقـــولُ لنفسي مـا مبينٌ كحـالـكِ
« ومـــا النـاسُ إلّا هـالكٌ وابن هـالكِ »

٢ ـ صُن النفسَ عمّا عابهـا وارفض الهوى
فـإنّ الهـوى مفتـاحُ بـاب المهـالـكِ

٣ ـ رأيتُ الهوى سهْل المبادي لذيـذهـا
وعُقبـاهُ مُـرُّ الطعمِ ضنكُ المسـالـكِ

٤ ـ فمـا لذةُ الإنسـانِ والموتُ بعـدهـا
ولـو عـاش ضعفي عمـر نـوح بن لامكِ

٥ ـ فـلا تتبـعْ داراً قليـلاً لبـاثُهـا
فقـد أنـذرتهـا بـالفنـاء المواشِـك

٦ ـ ومـا تـركهـا ألا اذا هي أمكنتْ
وكم تـارك إضمـارهُ غـيرُ تـاركِ

٧ ـ فمـا تـاركُ الامـالِ عُجبـاً جـؤاذرا
كتـاركهـا ذاتِ الضروع الحـواشـكِ

٨ ـ ومـا قـابـلُ الامرَ الـذي كـان راغبـاً
بشهـوةِ مُشتـاقٍ وعقـل مبـاركِ

٩ ـ لاجـدى عباد الله بـالفوز عنـدهُ
لـدى جنـةِ الفـردوس فـوق الأرائـكِ

١٠ ـ ومن عـرف الامرَ الـذي هـو طـالبٌ
رأى سببـاً مـا في يـدي كـلُّ مـالـكِ

١١ ـ ومن عـرف الـرحمنَ لم يعص أمـرَهُ
ولـو أنـهُ يعطى جميـع الممـالـكِ

١٢ ـ سبيـلُ التقى والنسك خيرُ المسالكِ
وسـالكهـا مُستبصرٌ خـيرُ سـالـكِ

١٣ ـ فما فقد التنغيص من عـاج دُونهـا
ولا طـاب عيش لامـرىء غـيرِ مـاسـكِ

١٤ ـ وطوبى لاقـوام يـؤمـون نحـوهـا
بخفّـةِ أرواح ولـيـنِ عـرائـكِ

١٥ ـ لقـد فقدوا غـلَّ النفـوس وفضّلـوا
بعـزِّ سـلاطـينٍ وأمْنِ صعـالـكِ

١٦ ـ فعاشوا كما شاءوا وماتوا كما اشتهوا
وفـازوا بـدارِ الخلـدِ رحب المبـاركِ

١٧ ـ غضبوا طاعة الاجساد في كلْ لذّة
بنـور محـلُ ظلمـة الغيِّ هـاتك

١٨ ـ فلـولا اعتـدادُ الجسم أيقنت أنهمْ
يعيشـون عيشـاً مثـل عيش الملائك

١٩ ـ فيـا ربُ قـدمهم وزد في صـلاحهمْ
وصـلُ عليهم حيثُ حلُّـوا وبـارك

٢٠ ـ ويـا نفسُ جِـدّي لا تغلّي وشمّري
لنيـل سرور الـدهـر فيمـا هنـالـك

٢١ ـ وأنتِ متى دمّرتِ سعيك في الهوى
عَلمتِ بـأنَّ الحقَّ ليس كـذلـك

٢٢ ـ فقـد بيّنَ الله الشريعـة للـورى
بـأبين من زُهـر النجوم الشوابك

٢٣ ـ فيا نفسُ جدّي في خـلاصكِ وانفذى
نفـاذَ السيوفِ المـرهفـات البـواتـك

٢٤ ـ فلو أعمل النـاسُ التفكُرَ في الـذي
لـه خلقـوا مـا كـان حيٌّ بضـاحـك

التخريج / الطوق / ٢ / ١٨٢ ـ ١٨٣
ـــــ وينظر الرسائل ١ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، والقاسمي / ٢٤٧ ـ ٢٤٨
البيت (١) : عجز البيت تضمين لقول أبي نُواس

ومـا النـاسُ الا هـالـكٌ وابن هـالـك
وذو نَسبٍ في الهـالكيـن عـريقُ

ويروى صدر البيت : الا كلُ حىّ هالِك وابن هالك
ـ يُنظر ديوان ابي نُواس (برواية الصولي) / ٩٨٣
البيت (٧) : (عجباً جاذراً) بدلًا من (عُجباً جؤاذِرا) في الرسائل .
البيت (٩) : (لاحرى) بدلًا من (لاجدى) في الرسائل .
البيت (١٠) : (سفها) بدلًا من (سبباً) .
البيت (١٣) : (ناسك) بدلًا من (ماسك) وفي القاسمي (سالك)
البيت (١٧) : مُجَلٌ) بدلًا من (مُحلٌ)
البيت (١٨) : (اعتداد) في الرسائل (اغتداد) الطوق ط ١ .
قالها ابن حزم في النهي عن اتباع الهوى في باب (قبح المعصية)

ـ(١٤٣)ـ

(بسيط)

١ ـ لا تشمتنْ حـاسدي انْ نكبـةٌ عرضتْ
فـالـدهـرُ ليسَ عـلى حـالٍ بُمتـرك

٢ ـ ذو الفضل كالتِّبر طوراً تحت ميقعـة
وتـارةً في ذرى تـاج عـلى ملـك

التخريج / جذوة المقتبس ٢ / ٤٩٢ ، الذخيرة ق ١ / ١ / ١٧٤ ، ـــــ رايات المبرزين / ٦٩ ، المعجب / ٤٨ ، شرح مقامات الحريري (ط ابو الفضل) ٥ / ٢٢٦ ، مطمح الانفس / ٢٨٢ ، نفح الطيب ٢ / ٨٢ ، معجم الادباء ١٢ / ٢٤٥
ـــــ ويُنظر مطمح الانفس (ط. هدى) المورد مج ١٠ / ج / ٣ ـ ٤ ص ٣٥٧ .
البيت (١) : (يَشمتَنْ) بدلًا من (تشمتَنْ) في الذخيرة والمعجب وشرح مقامات الحريري والمطمح والنفح .
البيت (٢) : (الحرّ) بدلًا من (ذو الفضل) في الرايات وفي شرح المقامات (فالحرّ) .
« (يُلقى) بدلًا من (طوراً) في الرايات وشرح المقامات والنفح .
« (ميقعة) بدلًا من (ميقعة) = = ومعجم الادباء والذخيرة . وفي النفح (مترية) وفي الشرح (منقعة) . وقرأ الشطر الثاني في الرايات والشرح والنفح : (طور وطوراً يرى تاجاً على ملك) . وفي المطمح . (وتارة قديرى تاجاً) . والميقعة : المطرقة . ينظر تاج العروس (وقع) ٢٢ / ٣٥٤
قال الحميدي في الجذوة : وأنشدني لنفسه .

ـ(١٤٤)ـ

(طويل)

١ ـ دنـا أمـلي حتى مـددتُ لاخـذهِ
يـداً فانثنى نحـو المجـرّة راحـلا

٢ ـ فـاصبحتُ لا أرجو وقـد كنتُ مـوقنـاً
وأضحى مع الشعـري وقـد كـان حـاصـلا

٣ ـ وقد كنتُ محسوداً فاصبحت حاسـداً
وقـد كنت مـامـولًا فـاصبحت آمـلا

٤ ـ كذا الـدهـرُ في كرّاتـهِ وانتقالـهِ
فـلا يـامنُ الـدهـرَ منْ كـان عـاقـلا

التخريج / الطوق / ١٠٦ ـ ١٠٧
ـــــ ويُنظر الرسائل ١ / ٢٠١ ، والقاسمي / ١٥٧
قالها ابن حزم في باب (الهجر)

ـ(١٤٥)ـ

(مُخلّع البسيط)

١ ـ من ظـنَّ يبغي فـروعَ علمٍ
بـدءاً ولمْ يـدرِ منـه أصـلا

٢ ـ فكلما ازداد فيه سعياً
زاد لعمري بذاك جهلا

التخريج / الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق ١ / ١ / ١٧١

ـ(١٤٦)ـ

(وافر)

١ ـ يقولُ لي الطبيبُ بغيرِ علمٍ
تداوَ فأنتَ يا هذا عليلُ
٢ ـ ودائي ليس يدريه لدوائي
وربٌ قادرٌ ملكٌ جليلُ
٣ ـ أأكتمهُ ويكشفهُ شهيقٌ
يُلازمني وإطراقٌ طويلُ
٤ ـ ووجهٌ شاهداتُ الحزن فيه
وجسمٌ كالخيالِ ضنٍ نحيلُ
٥ ـ وأثبتُ ما يكون الامرُ يوماً
بلا شك إذا صحِ الدليلُ
٦ـ فقلتُ له أبِنْ عنيَ قليلاً
فلا والله تعرفُ ما تقولُ
٧ ـ فقال أرى نُحولًا زاد جداً
وعلتك التي تشكو ذُبولُ
٨ ـ فقلتُ له الذبولُ تملُ منه الـ
ـجوارحُ وهي خُفَي تستحيلُ
٩ ـ وما أشكو لعمرُ الله حمًى
وإنَ الحرَ في جسمي قليلُ
١٠ ـ فقال أرى التفاتاً وارتقاباً
وأفكاراً وصمتاً لا يزولُ
١١ ـ وأحسبُ أنها السوداء فانظرْ
لنفسكَ انها عرضٌ ثقيلُ
١٢ ـ فقلتُ له كلامك ذا محالٌ
فما للدمع من عيني يسيلُ
١٣ ـ فاطرق باهتاً مما رآه
ألا في مثل ذا بُهت النبيلُ
١٤ ـ فقلتُ له دوائي منه دائي
ألا في مثل ذا ضلتْ عقولُ
١٥ ـ وشاهدُ ما أقولُ يرى عياناً
فُروعُ النبتِ انْ عُكستْ أصولُ
١٦ ـ وترياقُ الافاعي ليس شيء
سواهُ ببرءِ ما ادغتْ كفيلُ

التخريج / الطوق / ١٣٧

ـــ ويُنظر الرسائل ١ / ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، والقاسمي / ١٩٦ ـ

١٩٧

البيت (٩) : (لعمرو الله) بدلًا من (لعمر الله) في الرسائل
- (١١) : السوداء : مرض في البطن . يُنظر لسان العرب (سود) ٢ / ٢٣٥

قالها ابن حزم في باب (الضنى) .

ـ(١٤٧)ـ

(طويل)

١ ـ وذي عَذلٍ فيمن سباني حُسنه
يُطيلُ ملامي في الهوى ويقولُ
٢ ـ أمنْ أجل وجه لاحَ لم تر غيرهُ
ولم تدرِ كيف الجسمُ أنتَ عليلُ
٣ ـ فقلتُ له أسرفتَ في اللوم فاتئدْ
فعندي ردٌ لو أشا طويلُ
٤ ـ ألم تر أنيَ ظاهريٌ ، وانني
على ما أرى حتى يقومَ دليلُ

التخريج / / نفح الطيب ٢ / ٨٢ ، المغرب ١ / ٣٥٦ ، الذخيرة ق ١ / ١ / ١٧٥ ، مطمح الانفس (طـ . شوابكة) / ٢٨١ ، الاحاطة ٤ / ١١٤ ـ ١١٥ ، مرأة الجنان ٣ / ٨٠ ، وفيات الاعيان ٣ / ٣٢٧ ، شرح مقامات الحريري (طـ . ابو الفضل) ١ / ٤١٣ ـ ٤١٤ ، شذرات الذهب ٣ / ٣٠٠ ، معجم الادباء ١٢ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

ـــ ويُنظر شرح مقامات الحريري (طـ . الخفاجي) ١ / ١٩٩ ، ومطمح الانفس (طـ . هدى) المورد مج ١٠ / ع ٣ ـ ٤ / ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦

البيت (٢) : (أفي حسن) بدلًا من (أمن أجل) في الذخيرة ومعجم الادباء والشذرات والوفيات والمرأة والاحاطة . وفي المطمح (أمن . حسن)

(غيبه) بدلًا من (غيره) في الذخيرة والمطمح (طـ . هدى)
(قتيل) (عليل) و الاحاطة والمرأة والوفيات وشرح المقامات والشذرات والمعجم .

(٣) : (ظالما) بدلًا من (فاتئد) في الذخيرة والمطمح والإحاطة والمرأة والوفيات والشذرات . وفي شرح المقامات (ظاهراً)

- (٤) : (بدا) بدلًا من (أرى) في الذخيرة والمطمح والإحاطة والمرأة والوفيات وشرح المقامات والشذرات ومعجم الادباء .

● ـ ذكر ابن بسام في الذخيرة : وأنشدت له ايضاً فيما كان يعتقده من المذهب الظاهري من جملة أبيات يقول فيها :

ونقل د . احسان عباس في هامشه على تحقيق الوفيات ما نصه عن حاشية مخطوطة احمد الثالث ـ نسخه س ـ : (ليست هذه الابيات لابي محمد رحمه الله بل لرجل من ذريته) . وهذا القول يخالف

ما جاء به صاحب النفح والذخيرة والمطمح والاحاطة وغيرهم الذين أكدوا نسبة النص له وقوله (اني ظاهري).

– (١٤٨) –

(طويل)

١ – فإن تنأ عنيّ بالوصال فإنني
سأرضى بلحظ العين ان لم يكن وصلُ

٢ – فحسبي أن القاك اليوم مرَّةً
وما كنتُ أرضى ضعف ذا منك في قبلُ

٣ – كذا همةُ الوالي تكونُ رفيعةً
ويرضى خلاصَ النفس ان وقع العزل

التخريج / الطوق / ١٢٩
—— وتنظر الرسائل ١ / ٢٣٠ ، والقاسمي / ١٨٥ — ١٨٦
قالها إبن حزم في باب (القنوع)

– (١٤٩) –

(طويل)

١ – رأيتك في نومي كأنك راحلُ
وقمنا الى التوديع والدمعُ هاملُ

٢ – وزال الكرى عنيّ وأنت معانقي
وغمّي إذا عاينتُ ذلك زائلُ

٣ – فجددتُ تعنيقاً وضماً كأنني
عليك من البين المفرّق واجلُ

التخريج / الطوق / ١٣٢ — ١٣٣
—— وينظر الرسائل ١ / ٢٣٥ ، والقاسمي / ١٩٠
قال ابن حزم في باب (القنوع) : وفي ذلك أقول قطعة منها :

– (١٥٠) –

(وافر)

١ – يقولُ أخي شجاكَ رحيلُ جسم
وروحك ما له عنا رحيلُ

٢ – فقلتُ له المعاين مُطمئنٌ
لذا طلب المعاينة الخليلُ

التخريج / الجذوة ٢ / ٤٩٣ ، الذخيرة ق ١ / ١ / ١٧٤ ، بغية الملتمس / ٣٠٥ ، الاحاطة ٤ / ١١٥ ، وفيات الاعيان ٣ / ٣٢٧ ، معجم الادباء ١٢ / ٢٥٦ .

البيت (١) : (روحان) بدلا من (روحك) في البغية

– (١٥١) –

(بسيط)

١ – أحبُّ شيءٍ اليَّ اللومُ والعذلُ
كيْ أسمعَ اسم الذي ذكراهُ لي أملُ

٢ – كأنني شاربٌ بالعذل صافيةً
وباسم مولاي بعد الشرب أنتقلُ

التخريج : الطوق ٧٦ ، وينظر : الرسائل ١ / ١٦٢ ، القاسمي ١١٧ .
قال ابن حزم في باب (العاذل) : وفي ذلك أقول أبياتاً منها :

– (١٥٢) –

(وافر)

١ – قليلٌ وفاءُ منْ يهوى يجلُّ
وعظمُ وفاءِ منْ يهوى يقلُّ

٢ – فنادرة الجبان أجلُّ مما
يجيء به الشجاعُ المستقلُّ

التخريج / الطوق / ١١٥
—— وينظر الرسائل ١ / ٢١٣ ، والقاسمي / ١٦٨ — ١٦٩
قالهما إبن حزم في باب (الغدر)

– (١٥٣) –

(سريع)

١ – ومن أعاجيب الزمان التي
طلقت على السامع والقائل

٢ – رفعةُ مركوب الى راكب
وذلةُ المسؤول للسائل

٣ – وطول مأسور الى آسر
وصولةُ المقتول للقاتل

٤ – ما ان سمعنا في الورى قبلها
خضوع مأمول الى آمل

٥ – هل ها هنا وجهٌ تراه سوى
تواضع المفعول للفاعل

التخريج / الطوق / ٩٤ — ٩٥
—— وينظر الرسائل ١ / ١٨٦ — ١٨٧ ، والقاسمي / ١٤١
قالها ابن حزم في باب (الوصل)

– (١٥٤) –

(سريع)

١ – إذا مزجت الحقّ بالباطل
جوّزت ما شئت على الغافل

٢ – وفيهما فرقٌ صحيح له
علامةٌ تبدو الى العاقل

٣ ـ كالتبر إن تمزج به فضةٌ
جازت على كلِّ فتى جاهلِ
٤ ـ وإنْ تصادفْ صائغاً ماهراً
ميَّز بين المحضِ والحائلِ

التخريج / الطوق / ٩٤

وينظر الرسائل ١ / ١٨٦ ، والقاسمي / ١٤١
البيت (٤) : (الخائل) بدلاً من (الحائل) في الرسائل
● أجد أن هناك صلة بين القطعة (١٥٢) وهذه ، وازعم انهما في الاصل قصيدة واحدة لكونهما من بحر واحد وفكرة واحدة .
قالها ابن حزم في باب (الوصل) .

(١٥٥)

(وافر)

١ ـ ألا للّه دهرٌ كنتُ فيه
أعزُّ عليَّ من روحي وأهلي
٢ ـ فما برحت يد الهجران حتى
طواك بنانُها طيَّ السجلِّ
٣ ـ شقاني الصبرُ هجرَكم كما قد
شقاني الحُبُّ وصلكمْ بسجلِ
٤ ـ وجدتُ الوصلَ أصلَ الوجد حقاً
وطول الهجرِ أصلاً للتسلي

التخريج / الطوق / ١٤٤

وينظر الرسائل ١ /٢٤٨ ، والقاسمي / ٢٠٤ قال ابن حزم في باب (السلو) : واقول قطعة ، ثلاثة أبيات قلتها وأنا نائم ، واستيقظت فاضفت اليها البيت الرابع .

(١٥٦)

(متقارب)

١ ـ إذا كانَ ما قُلْتَه صادقاً
وكنتَ تَحرّيت جهدَ المِقلْ
٢ ـ وكان ضجيعُك طاوي الحشا
أعاز المهاة إحمرار المقلْ
٣ ـ قريبَ الرضى وله غُنْةٌ
تُميتُ الهمومَ وتحيي الجذلْ
٤ ـ ففي أخْذِ أشهب عن مالكٍ
عن ابن شهابٍ عن الغير قُلْ
٥ ـ بتركِ الخلافِ على جمعهم
على أنّ ذلك حلٌ وبلْ

التخريج / نفح الطيب ٤ /١٦٠

قال المقري في الطيب : كتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسي يقول

سألتُ الوزيرَ الفقيه الاجل
سؤالَ مُدِلّ على مَنْ سأل

فاجابه ابن حزم بقوله : الابيات

(١٥٧)

(طويل)

١ ـ أقمتُ إلى أنْ جاءني الليلُ راجياً
لقاءك ياسُؤلي ويا غايةَ الأملْ
٢ ـ فاياسني الاظلامُ عنكَ ولم أكنْ
لاياس يوماً إن بدا الليلُ يتّصلْ
٣ ـ وعندي دليلٌ ليس يكذبُ خُبْرُهُ
بامثالهِ في مُشكلِ الأمرِ يُستدلْ
٤ ـ لانكَ لو رُمتَ الزيارة لم يكنْ
ظلامٌ ودامَ النُّورُ فينا ولم يزلْ

التخريج / الطوق / ٣١ ـ ٣٢

وينظر الرسائل ١ /١١٠ ، والقاسمي / ٦٤ قالها ابن حزم في باب (علامات الحب)

(١٥٨)

(سريع)

١ ـ عابُوا الذي أعشقُهُ بالنحولْ
فلم أطِعْ فيه مقالَ العذولْ
٢ ـ وإنَّ غُصناً أبداً لا تزولْ
عنيه شمسٌ لحرٍ بالذُبُولْ

التخريج / رايات المبرزين / ٧٠ ، المغرب في حلى المغرب ١ /٣٥٧ (البيت الثاني فقط)
● قال إبن سعيد في الرايات : وانشدني له ـ لابن حزم ـ أبو يحيى بن هشام في غلام ناحل الجسم .

(١٥٩)

(كامل)

١ ـ الان إذ حلَّ الفراقُ جُدْتَ لي
بخفيِّ حبٍّ كنتَ تُبدي بُخْلَهُ
٢ ـ فزدتني في حسرتي أضعافها
ويحي فهلّا كانَ هذا قَبْلَهُ

التخريج / الطوق / ١٢٣

وينظر الرسائل ١ /٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، والقاسمي / ١٧٨ البيت (١) : (وَجدتَ) بدلاً من (جُدتَ) في الرسائل .
البيت (٢) : (قد زدتني) بدلاً من (فزدتني) في الرسائل .
قالهما ابن حزم في باب (البين) .

(١٦٠)

(طويل)

١ ـ رسولك سيفٌ في يمينك فاستجذ
حساماً ولا تضربْ به قبل صقْله
٢ ـ فمن يكْ ذا سيف كهام فَضُرُّه
يعودُ على المُقْتنِي منه بجهْله

التخريج / الطوق / ٥٨

ويُنظر الرسائل ١ /١٤١ ، والقاسمي /٩٦البيت (٢) : سيفٌ كهامٌ : كليل عن الضريبة ـ يُنظر العين (كهم) ٣ /٣٨٣
قال ابن حزم في باب (السفير) : وفي ذلك أقول شعراً منه :

(١٦١)

(وافر)

١ ـ رقيبٌ طالما عَزَفَ الغَراما
وقاسَى الوَجْدَ وامْتَنعَ المَناما
٢ ـ ولاقى في الهَوى ألماً أليما
وكادَ الحُبُّ يُوْرِدُهُ الحِماما
٣ ـ وأتقنَ حيلةَ الصبِّ المُعنَّى
ولم يَضَعِ الاشارة والكلاما
٤ ـ وأعْقَبهُ التسلِّي بعد هذا
وصارَ يرى الهوى عاراً وذاما
٥ ـ وصُيِّر دون مَنْ أهوى رقيباً
ليُبْعِدَ عنه صَبّاً مستهاما
٦ ـ فأيُّ بَلِيَّةٍ صُبَّتْ علينا
وأيُّ مُصيبةٍ حلَّت لِماما

التخريج / الطوق / ٨٢

ويُنظر الرسائل ١ /١٦٩ ، والقاسمي / ١٢٥ قالها ابن حزم في باب (الرقيب)

(١٦٢) (خفيف)

١ ـ أنتَ في مَشْرقِ النهارِ بخيلٌ
وإذا الليلُ جَنَّ كنتَ كريما
٢ ـ تجعلُ الشمسَ منك لي عَوضا هي
ـهات ماذا الفَعالُ منك قويما
٣ ـ زارني طيفُك البعيدُ فباتَ
واصلاً لي وعائداً ونديما
٤ ـ غير أنيّ مَنعتني مِن تمام العيـ
ـش لكنْ أبحتَ لي التشميما
٥ ـ فكأني مِن أهلِ الاعرافِ لا الفر
دَوْسُ داري ولا أخافُ الجحيما

التخريج / الطوق / ١٣٢

ويُنظر الرسائل ١ /٢٣٤ ـ ٢٣٥ . والقاسمي / ١٩٠ قالها ابن حزم في باب (القنوع)

(١٦٣) (مُخلَّع البسيط)

١ ـ مُواصلٌ لا يُغيبُ قَصْداً
أعدِلْ بهذا الوِصالِ عُمْا
٢ ـ صارَ وِصِزُنا لفرطِ مالا
يزولُ كالإسمِ والمُسمَّىٰ

التخريج / الطوق / ٨١

ويُنظر الرسائل ١ /١٦٨ ، والقاسمي / ١٢٣ قال ابن حزم في باب (الرقيب) ; وفي ذلك أقول قطعة ، منها ؛

(١٦٤)

(كامل)

١ ـ كانت جَهنَّمُ في الحَشا مِن حُبِّكمْ
فلقد أراها نارَ إبراهيما

التخريج / الطوق / ١٤٤

ويُنظر الرسائل ١ /٢٤٩ ، والقاسمي / ٢٠٥ قاله ابن حزم في باب (السلو) .

(١٦٥)

(طويل)

١ ـ مُهذَّبةٌ بيضاءُ كالشمسِ إنْ بَدَتْ
وسائرُ ربّاتِ الحجالِ نجُومُ
٢ ـ أطارَ هواها القلبَ عن مُستقرِّهِ
فبعدَ وقوعٍ ظلَّ وهو يحومُ

التخريج / الطوق / ١٢٤

ويُنظر الرسائل ١ /٢٢٤ ، والقاسمي / ١٧٩ قالهما ابن حزم في باب (البين)

(١٦٦) (كامل)

١ ـ دَعْ عنكَ نَقْضَ مَودَّتي مُتعمِّداً
واعقِدْ حبالَ وِصالِنا ياظالمُ
٢ ـ ولترجَعنْ أردْتَهُ أو لم تُرِدْ
كُرْها لما قال الفقيهُ العالِمُ

التخريج / الطوق / ١٠٣

ويُنظر الرسائل ١ /١٩٧ ، والقاسمي / ١٥٢ قالهما ابن حزم في باب (الهجر) .

« الشعر والشعراء » لابن قتيبة

بين قراءتين

نقد
د. جميل نصيف التكريتي

يعد كتاب ابن قتيبة « الشعر والشعراء » واحدا من المؤلفات البارزة في حقل النقد العربي القديم والدراسة الادبية عند العرب . انه يعد الحلقة الثانية في سلسلة المؤلفات التي تكون الذخيرة العربية القديمة في هذا الميدان بعد كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام ، وبظهوره يخطو منهج النقد الادبي عند العرب والدراسة الادبية والتأليف الادبي خطوة مهمة الى امام ، فاليه يعود الفضل ، في الاقل ، في تحرير الذهنية النقدية العربية من قيد الانبهار امام الموروث القديم وتقديسه ، مع ما ينطوي عليه من ازدراء لكل ما هو حديث وتسفيهه والغض من شانه . واذا كان ابن سلام ، بسبب من مفاهيمه القبلية قد كرس مبدأ تقديس القديم ورفض الحديث ، وذلك بتناوله للاول واعراضه عن الاخير فترك في منهجه التأليفي ثغرة تعد من مآخذ الكتاب حتى في حالة تناوله في ضوء أهميته التاريخية النسبية ، فان ابن قتيبة استطاع ان يحرر نفسه ، ومعه كل الحركة النقدية على ايامه من هذا القيد عندما فتح ابواب كتابه ليتناول فيه مجموعة كبيرة من الشعراء القدماء منهم والمحدثين على حد سواء ، وذلك بعد ان مهد لهذا الامر في مقدمته التي جعلها مدخلا نظريا لكتابه « الشعر والشعراء » بقوله :

« ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره ، وكل شرف خارجية في اوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون .. محدثين . وكان ابو عمرو بن العلاء يقول : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته[1] » .

ومقدمة كتاب ابن قتيبة « الشعر والشعراء » تضم بالاضافة الى ما تقدم اراء في نقد الشعر وطبيعته ومواده واحكامه ، ومكوناته ، وموسيقاه ، واختلاف ظروف قوله ، وتلقيه الى غير ذلك مما استحوذ على اهتمام الدارسين المحدثين الذين تناولوا التراث النقدي عند العرب بعامة وعند ابن قتيبة بخاصة . ومهما اختلف المعنيون بالتراث حول المسالة المتعلقة بحجم ما يعود لابن قتيبة شخصيا من بين الاراء التي تضمنتها مقدمة كتابه المذكور ، وما يعود منها لمعاصريه او لاساتذته ، وعلى راسهم محمد بن سلام الجمحي والجاحظ وغيرهما من الكتاب واللغويين والنحاة ايضا ، فما من احد تقريبا يماري في فضل ابن قتيبة وسبقه في بلورة هذه الاراء والمفاهيم والاحكام النقدية وتصنيفها وتبويبها ووضعها تحت

تصرف حركة النقد والتاليف الادبي مما كان له ابلغ الاثر في دفع عجلة النقد والتاليف الادبي الى امام وتعبيد الطريق امامها لان تبلغ في المستقبل افاقا ما كان للحركة من دونها ان تدركها .

ما من شك في ان حظ الدارسين في عصرنا الحديث كان واحدا في احتفائهم بمقدمة ابن قتيبة ، وما من شك ايضا في ان حظوظهم كانت متفاوتة في تلمس قيمتها من وجوهها المختلفة ، وكانت متفاوتة في تقديرها واستقرائها واستنطاقها . الا ان ما من شك كذلك في ان هذه المقدمة كانت مسؤولة عن صرف انظار الدارسين هؤلاء ، دون استثناء في حقيقة الامر ، عن الالتفات الى قيمة الكتاب نفسه الذي تؤكد كل القرائن ان المقدمة جاءت في خدمته ، ومن اجله ولم تكن عملا مستقلا عنه ومقحما عليه كما يظن البعض وهذه القرائن تؤكد ايضا ان هدف ابن قتيبة هو « كتاب الشعر والشعراء » لا المقدمة نفسها وهذا ما لم يقل به دارس عربي حديث من بين جميع الدارسين العرب المحدثين الذين تناولوا تراث ابن قتيبة بعامة ، وكتاب « الشعر والشعراء » بخاصة . لقد تراوح موقف الدارسين العرب بين السكوت المطبق عن متن الكتاب المذكور ، وغمزه او الغض من قيمته صراحة .

فالمرحوم طه احمد ابراهيم لا يرى في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الا كتاب اخبار وشواهد شعرية و « عناصر متفرقة » و « اصول قاصرة عن ان تستوعب كل شيء في الشعر » . فبعد ان استعرض طه احمد ابراهيم مقدمة ابن قتيبة وما تضمنته من مبادىء نقدية ، واراء واحكام حول الشعر وطبيعته واضربه يقول عن الكتاب :

« فلا بد ان نعلم ان كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة يذكر المشهورين من الشعراء الى اوائل القرن الثالث ، يذكر الشاعر وزمنه ومنزلته وقبيلته ، وصلة شعره بحياته ، والحسن من اخباره والجيد من قوله ، وما اخذ عليه العلماء من الخطأ في الالفاظ والمعاني ، والمعنى الذي ابتدعه ، والمعنى الذي اخذه من غيره . وفي هذا الكتاب بعض المحدثين كبشار والعتابي والنميري ، والحسن بن هانيء ومسلم وابن مناذر ودعبل الخزاعي . وكم لاقى هؤلاء المحدثون من ضروب الطعن والتجريح ، ولكنهم عند ابن قتيبة بمأمن من الظلم فهو يحكم بين الشعراء لا بين العصرين ، يثني على المحدث اذا جاء بالحسن ويذم القديم اذا جاء بالرديء[٢] » . هذه الصورة يصف المرحوم طه احمد ابراهيم كتاب ابن قتيبة ولكنه يبقى وصفا من الخارج دون ان يغور الى اعماقه . ان من شأن هذا النص ان يشكل مقتربا سليما من كتاب « الشعر والشعراء » ، غير ان طه احمد ابراهيم سرعان ما يبتعد عن هذا المقترب فيقول : « وجاء ابن قتيبة فلم يهدنا في الشعر الى جمال جديد ، ولم يسبح بنا في افاق جديدة . وما زاد على ان اخذ تلك العناصر المتفرقة فضم اشتاتها ووضعها في اصول قاصرة عن ان تستوعب كل شيء في الشعر[٣] » .

وهكذا فما كاد الباحث يحدد مقتربا سليما من كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة حتى عاد فاخطأ في حقه وهو يسقط عليه احكامه القبلية المسبقة التي تفرض على ابن قتيبة ان يكون ذلك الناقد الذي اراد طه احمد ابراهيم ان يراه في شخصه ، ولم يكلف نفسه ان يكتشف من خلال كتاب « الشعر والشعراء » طبيعة المؤلف وصاحب الدراسة الادبية ، التي اتصف بها ابن قتيبة في واقع الحال . وهذا الامر هو ما حققه المستشرق السوفيتي الارمني اوهانسيان كما سنرى . وهكذا فقد وضع طه احمد ابراهيم سابقة التزم بها كل مؤرخي النقد العربي القديم في عصرنا الحديث تقريبا كما سنرى ايضا ، لا تستثني منهم حتى شخصيات بحثية لها دورها المؤثر والبارز في حياتنا الثقافية الادبية الحديثة كالدكتور احسان عباس على سبيل المثال لا الحصر . ان جميع من تناول كتاب ابن قتيبة « الشعر والشعراء » من بين مؤرخي النقد العربي القديم اتفقوا على الا يروا في هذا الاثر الادبي المهم ما يستحق الذكر وما يمكن ان يقوم دليلا على فضل صاحبه وتفرده وريادته باستثناء مقدمته التي تفاوتت مواقف هؤلاء المؤرخين المحدثين وهم يقومون ما تضمنته من اراء واحكام كذلك تفاوتوا فيما بينهم في فهم هذه الاراء والاحكام وفي قراءتها واستنطاقها .

وبعد ان يقرر الدكتور محمد مندور في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » « عدم صدور النقد كفن لدراسة النصوص وتمييز الاساليب - عن منهج مستقيم وروح علمية في تحليل الاحكام ، وذلك حتى اواخر القرن الثالث » ، يخلص الى القول ان « ظهور ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٥هـ) في هذا القرن لا يغير شيئا من هذه الحقيقة » . وبعد ان يقتطف مندور عبارة من مقدمة كتاب الشعر والشعراء » يعقب قائلا : « وهذا كلام قد يفيد ان المؤلف قد جمع بين التاريخ والنقد ، ولكن الواقع خلاف ذلك - فابن قتيبة لم يتناول النصوص ولا الشعر بنقد فني تطبيقي ، وانما اكتفى بان عرض في مقدمته (ص ٢ - ٣٦)

لبعض المسائل العامة يحاول ان يضع لها مبادىء ثم اخذ في سرد سير الشعراء وبعض اشعارهم على غير منهج واضح ولا مبدأ في التاليف »[٥].

لم يكن الدكتور مندور في رأينا موفقا من ناحيتين : مرة بسبب انطلاقه من حكم كان قد حدده سلفا ومن اهداف قرر ان يفرضها على ابن قتيبة فرضا ، واخرى بسبب قصور قراءته كتاب ابن قتيبة هذه القراءة التي لم تمكنه ، شانه شان معظم مؤرخي النقد العربي القديم ، تقريبا في العصر الحديث من اكتشاف الدور الحقيقي الذي مارسه ابن قتيبة رائد التاليف الادبي عبر التاريخ الثقافي والحضاري للامة العربية . كان على الدكتور مندور وعلى كل الذين عابوا ابن قتيبة ان يتاكدوا اولا مما كان هدف ابن قتيبة في كتابه انف الذكر هو بالضبط دراسة النصوص وتمييز اساليبها او حتى كتابة تاريخ الادب بمفهومه الحديث الذي يشكو مندور نفسه من غيابه في عصرنا الحديث .

الحقيقة ان الدكتور مندور كاد ان يضع يده على جوهر شخصية ابن قتيبة في التاليف عندما يقول : « والواقع ان ابن قتيبة كان رجلا مستقل الراي غير خاضع لتقاليد العرب الادبية ولا مؤمن باحكامهم ولا مطمئن الى المعتقدات الادبية التي كانت منتشرة في عصره ، ولكنه لسوء الحظ لم يتعد تقرير هذه النزعة والخروج على المالوف دون ان يحل محله غيره »[٦] .

ان علة الدكتور مندور تكمن في انه لم يوفق الى قراءة متن كتاب ابن قتيبة « الشعر والشعراء » قراءة تمكنه من وضع يده على امثلة تطبيقية توزعت في ثنايا متن الكتاب ، الامر الذي فعله المستشرق اوهانسيان كما سنرى . ولما كانت قراءة مندور قد اقتصرت على المقدمة وبسبب سوء الظن الذي عانت منه هذه القراءة فقد توصل الدكتور مندور الى استنتاجات مجحفة في حق ابن قتيبة . ليس هنا مجال مناقشة طبيعة فهم الدكتور مندور اراء ابن قتيبة التي تضمنتها مقدمته ، بل نفضل تناولها في مناسبة خاصة ، وسنكتفي هنا بتقصي اراء مندور التي تقدم شاهدا على قصور قراءته متن كتاب « الشعر والشعراء » .

يواصل مندور كلامه فيقول : « والواقع أن ابن قتيبة لم يصدر في كتابه عن منهج في التاليف كما سبق ان قررنا[٦] » . وسنرى ان المستشرق السوفيتي الارمني اوهانسيان يؤكد وجود هذا المنهج . ان علة الخطأ عند الدكتور مندور ناجمة عن عدم اهتدائه الى هدف ابن قتيبة الحقيقي من تاليف الكتاب . لقد صدر مندور عن حكم قرره سلفا يقول ان كتاب ابن قتيبة كتاب في النقد . ولما لم يجد فيه منهجا نقديا حكم عليه بالقصور . واراد الدكتور مندور ان يرى في الكتاب مؤلفا في تاريخ الادب فحكم عليه بان « تاريخ ابن قتيبة قصص ونوادر واخبار وحكايات . واما محاولة جمع الشعراء في مدارس وفقا لمذاهبهم الفنية واما محاولة دراسة فنون الادب كوحدات واما محاولة تتبع التيارات المختلفة فهذه اشياء لم تخطر له على بال »[٧] .

لقد وقع الدكتور مندور في تناقض صارخ . فكيف سوغ لنفسه ان يطالب ابن قتيبة ان يلم بكل هذه التفاصيل الدقيقة التي هي من صميم منهج تاريخ الادب والتي لم تعرف حتى على المستوى العالمي الا في العصر الحديث ومنذ القرن التاسع عشر . ولهذا فقد اضطر مندور الى الاعتراف بعد ذلك مباشرة ان « ابن قتيبة ليس الوحيد في ذلك » . فنحن حتى اليوم لا نزال في انتظار وضع تاريخ الادب العربي على هذا النحو العلمي[٨] » . فهل نسي الدكتور مندور ان التواريخ الثقافية لكل الامم ذوات العراقة الحضارية كانت تفتقر الى وضع تواريخ لادابها على هذا النحو العلمي ؟ فاين المنطق في لوم ابن قتيبة ؟ .

ينفرد الدكتور عبدالحميد سند الجندي ، بين جميع اولئك الذين تناولوا في العصر الحديث ارث ابن قتيبة ، بالحديث عن ريادة العالم العربي في ميدان التاليف[٩]. فالدكتور الجندي يحاول أن يستخلص ما حققه النشاط التاليفي على يدي ابن قتيبة من تقدم بالنسبة لمعايير عصره في هذا الميدان . يعترف الدكتور الجندي ان ابن قتيبة كان « ذا عقلية منظمة مصقولة ، ولذلك جاءت كتبه وليدة هذا الفكر المنسق »[١٠]. والدكتور الجندي يقر لابن قتيبة بالفضل على من عاصره أو سبقه لا من زاوية الاراء والاحكام الخاصة بنقد الشعر ، بل من زاوية فن التاليف فحسب . ولهذا فقد فضله من هذه الزاوية على الجاحظ في كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وعلى المبرد في كتابه « الكامل » . يقول الدكتور الجندي انك « اذا تناولت كتاب (الحيوان) أحسست انه يمثل فوضى التاليف ، فهو حين يتكلم عن الكلب والديك ، وحين يعرض للمفاضلة بينهما ، وما يحتج به صاحب كل منهما .. يخرج عن ذلك كله الى موضوعات لا تخطر على بال . فنراه في اثناء ذلك يسوق كلاماً في الامامة والشيعة ، وفي الشعر وأثره في القبيلة ، واعتزاز العرب الشاعر .. وهكذا ، وكذلك الحال في البيان والتبيين والكامل »[١١].

غير ان الامر يختلف مع ابن قتيبة ، ففي كتاب « عيون الاخبار » مثلًا « نشعر بان كتب المختارات الادبية قد خطت

خطوات واسعة نحو التوقل والكمال على يد ابن قتيبة » . وذلك انه رتب المختارات وبوبها وجمع ما تشابه منها تحت عنوان واحد .. وبذلك يسهل على الباحث أن يجد ضالته في غير عناء »[١٢].

وفي مكان آخر يقول الدكتور الجندي عن كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ما ياتي : « وأما الكتاب فهو سجل ضخم من الشعراء وأخبارهم وشيء من أشعارهم منذ العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الهجري . وهو كتاب قيم جداً ، يعتبر من أهم المراجع الادبية لتراجم الشعراء ومعرفة ملابسات بعض أشعارهم »[١٣].

ولم ينس الجندي ان ابن قتيبة لم يقتف أثر سلفه محمد بن سلام الجمحي في ميدان التاليف الادبي ، ولم يتخذ من ذلك ذريعة لادانة نهج ابن قتيبة كما فعل عدد من الدارسين في العصر الحديث ، بل حاول أن يكتشف خصوصية منهج ابن قتيبة في التاليف دون احكام مسبقة . يقول الجندي « والمتصفح لكتاب ابن قتيبة يشاهد انه لم ينهج في تاليفه منهجا خاصا من حيث ترتيب الشعراء فقد بداه بامرىء القيس لانه شيخ الشعراء وباجس عن الشعر لهم كما يقولون ثم اردفه بزهير ابن ابي سلمى مع ان من الشعراء الذين ذكرهم بعده من هم اقدم منه امثال طرفة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم [١٤] .

ويحاول الدكتور الجندي ان يضع يده على غرض ابن قتيبة وراء تناوله الشعراء الذين تضمنهم كتابه وفق هذا السياق دون غيره . فهو لا يرى ان ابن قتيبة اعتمد مبدأ « الشهرة والقدرة الفنية هدايته في الترتيب » لانه احيانا « يقدم شعراء خاملين على فطاحل لاممين » . غير ان الجندي يلاحظ ان ابن قتيبة يعاقب احيانا بين الشعراء الذين تربط بينهم » رابطة ما من نوعها . من ذلك رابطة الدم او القرابة او الاصالة القبلية فترجم لزهير ثم لابنه بعده وترجم للمرقش الاكبر ثم للاصغر ... وترجم لخفاف بن ندبة والسلمي وبعده لابنةعمه الخنساء وهما من بني سليم .... الخ ، ومن ذلك ، مثلا ، رابطة العشق والغرام فيترجم « لتوبة بن الحمير عاشق ليلى الاخيلية ثم يترجم لها بعده » . ومن الروابط ما يستدعي « ذكر القرين بقرينه فترجم لجرير والفرزدق والاخطل على التوالي » . ويعتقد الجندي ان ابن قتيبة قد رتبهم « على حسب اقدارهم الفنية لان جريرا اعلاهم كعبا . ثم ترجم بعدهم للبعيث لصلته بهم ، اذ شارك في الخصومات التي احتدمت فيما بينهم » . وتمشيا مع هذه الرابطة نراه يترجم لكثير عزة ثم للاحوص وهما غزلان . وبعد ان تناول شعراء من لون اخر ، عاد الى « شعراء النسيب والعشق فترجم للمجنون ثم للعرجي وكذلك ترجم لعروة بن حزام صاحب عفراء وبعده لقيس بن ذريح صاحب لبنى » . كما ان رابطة الصداقة جعلته في اعتقاد الجندي « يترجم للكميت بن زيد الاسدي ، ثم للطرماح بن حكيم بعده لانه كان بينهما « من المودة والمخالطة مالم يكن بين اثنين على تباعد ما بينهما في الدين والرأي والاصل » . وبالاضافة الى رابطة القربى التي كانت وراء ترجمة ابن قتيبة للعجاج الراجز ثم لابنه رؤبة هناك الرابطة الفنية التي جعلته يترجم بعدهما مباشرة لاربعة من الشعراء الرجاز هم « ابو نخيلة الراجز ، وابو نجم الراجز ، ودكين الراجز ثم لراجز اخر مغمور اسمه الاغلب [١٥] » . وهناك امثلة اخرى على اعتماد ابن قتيبة مبدأ روابط قبلية وقربى . ومشارب .. الخ . واخيرا يخلص الدكتور الجندي الى القول وهو يجمل منهج ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء : « اننا نلاحظ انه ـ على كل حال اتبع الترتيب الزمني الاجمالي . اعني انه ترجم اولا لشعراء الجاهلية والمخضرمين ثم ترجم بعد ذلك لشعراء العصر الاموي ثم لشعراء عصر بني العباس . بيد انه لم يتبع في ترتيب شعراء كل عصر الترتيب الزمني الدقيق .... وليس لذلك من علة الا علة الرابطة أيا كان نوعها [١٦] » .

ويمعن الدكتور الجندي في تتبع دقائق تفصيلية تخص المنهج التاليفي عند ابن قتيبة فيتحدث عما يسميه بـ« حسنات تأليف ابن قتيبة كتاب الشعر والشعراء وعيوبه » . فمن حسنات التأليف وعيوبه عند ابن قتيبة في رأى الجندي انه « يبدأ بايراد اسم الشاعر وبعض اخباره ثم يذكر بعض النصوص المختارة له ، كل ذلك في ايجاز شديد . بعد ذلك يتناول الشاعر في شيء من الاطناب مرة اخرى » . ومن مزايا هذه الطريقة في نظر الجندي « انها تعطي القارىء اول الامر صورة موجزة عن الشاعر . فان شاء المزيد واصل القراءة في الترجمة المفصلة » . ومن عيوبها « انه يكرر في غير ما جدوى فيضيع شطرا من وقت القارىء ويبعث اليه شيئا من السام والملل بسبب هذا التكرار الذي لا داعي له[١٧] » . ليس المهم ما اذا كان الجندي محقا ام لا فيما عده من حسنات التاليف او عيوبه عند ابن قتيبة فهذا الامر يبقى امرا نسبيا يختلف من

قارىء الى اخر بحكم اختلاف قراءات القراء كما هو معروف ولكن الاهم من ذلك ان الدكتور الجندي حاول ان يستخلص خصائص منهج التاليف عند ابن قتيبة من مؤلفاته نفسها فلا يفرضها عليه فرضا فان لم يجدها عابه ورماه بالقصور كما فعل معظم الدارسين المحدثين الذين تناولوا ارث ابن قتيبة. وبخصوص ماعده الجندي عيبا من عيوب التاليف عند ابن قتيبة رأي قاله فيه المستشرق اوهانسيان « حرصاً من ابن قتيبة على ايراد ادق التفاصيل ».

ما من شك في ان الدكتور الجندي قد انفرد بين جميع الباحثين العرب في العصر الحديث بمقاربة المحايد من ابن قتيبة. ومحاولته بعامة الا يفرض عليه منهجا ما في النقد او تاريخ الادب كما فعل مندور على سبيل المثال ومع ذلك فما تزال قراءته قاصرة عن الوصول الى الاغوار البعيدة او النوايا الحقيقية لابن قتيبة من تاليفه كتاب « الشعر والشعراء ». لقد هام الجندي مرارا حول امور جوهرية ورائدة وهو يلفت الانظار الى نظرات ثاقبة عند ابن قتيبة منها « انه يضع احيانا للشاعر سمات تحدد منحاه الفني » ومنها اعترافه « ان ابن قتيبة كان مؤرخا مستقرئا للنصوص ان صح التعبير ». وانه « افاد اللغة العربية افادة جليلة لانه حصر المعاني التي تناولها شعراء العربية حتى العصر العباسي الثاني. وبين لنا اثر بعض الشعراء بالبعض الاخر فكان كتابه هذا الدعامة القوية التي اقام عليها مؤلفو السرقات الشعرية مصنفاتهم امثال الامدي والقاضي الجرجاني وغيرهما[18] ». ومع ذلك فلم يسلم الدكتور الجندي من افة النظر الى تفاصيل فن التاليف عند ابن قتيبة بمنظار العصر الحديث من ذلك قوله : « ومن حق التاريخ علينا ان نقول ان التراجم التي ساقها ابن قتيبة في كتابه هذا لا تعدو ان تكون جملة من اخبار كل شاعر وقدرا من اشعاره ليس غير .... فلا يحق علينا ان نطلق على هذه التراجم مانسميه بالتاريخ الادبي لانها بعيدة عنه كل البعد[19] ».

وفي بحث بعنوان المفاهيم والمقاييس النقدية عند ابن سلام وابن قتيبة يتناول الدكتور حكمت الاوسي ابن قتيبة ناقدا فحسب ولهذا لم يتجاوز مقدمة ابن قتيبة الى متن الكتاب. غير ان الدكتور الاوسي يناقش في بحثه هذا عددا من اراء الدكتور مندور حول احكام ابن قتيبة ويرد عليها انصافا لابن قتيبة وسنتناول هذه المسالة في مناسبة اخرى نخصصها لقراءة الباحثين العرب المحدثين مقدمة ابن قتيبة وصلتها بكتابه « الشعر والشعراء »[20].

ومع ان الدكتور احسان عباس حاول ان ينصف ابن قتيبة وان يدافع عنه برده على اراء الدكتور محمد مندور دون ان يذكره بالاسم الا ان الدكتور احسان عباس يلتقي مع مندور وهو يبحث عن ابن قتيبة الناقد فحسب فالمقدمة مجرد « بيان بموقفه النقدي عامة ودستور مستقل بمواده واحكامه وبينها وبين طبيعة الكتاب نفسه تباين واضح ». اما الكتاب نفسه فيجيء « دليلا موجزا ليستعمله المتأدبون من طبقة الكتاب كي يتعرفوا الى اهم الشعراء القدامى والمحدثين ويستظهروا الجيد من اشعارهم ... » لا اكثر وان « غاية الكتاب هي غاية تستدعي التبسيط ... » ويذهب الدكتور عباس الى ان ... « ابن قتيبة جرى في التبسيط مجرى بعيدا حين قيد التراجم كيفما اتفق دون ان يهتم كثيرا بالناحية الزمنية مما قد يومىء الى انه لم يكن يحفل ايضا بدراسة الشعراء حسب العصور الادبية[21] ». وهكذا تكون قراءة الدكتور احسان عباس كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة متاخرة اذا ما قورنت بقراءة الدكتور الجندي الامر الذي ابقى كتاب ابن قتيبة بعيدا عن فهم الباحث العربي الجليل.

والدكتور عبد السلام عبد الحفيظ في كتابه « نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا ». يبحث هو الاخر في تراث ابن قتيبة عن الناقد فحسب وهذا التناول يكون هنا ايضا السبب في بقاء قيمة كتاب « الشعر والشعراء » الحقيقية بعيدة عن متناول الباحث يقول الدكتور عبد الحفيظ عن كتاب ابن قتيبة : « ولعله اخر كتبه في الشعر، واهمها فيما يتصل بنقده واوسعها شمولا لارائه فيه وقد قسمه جزءين : الاول منهما على هيئة مقدمة موضوعها الشعر والثاني موضوعه الشعراء »[22]. ويقول في مكان اخر : « أما الجزء الثاني : وهو الخاص بالشعراء ففيه جانب تاريخي لا يهمنا في نقده لانه لم يصله بشعره الا قليلا[23] ». وهذا الفصل بين المقدمة والكتاب هو المسؤول عند غالبية الباحثين العرب في العصر الحديث عن عدم وضع ايديهم على جوهر الكتاب.

ان الدكتور عبد السلام عبد الحفيظ يتتبع عددا من الملامح التي تضمنها الجزء الثاني من كتاب الشعر والشعراء مما ينطوي على اراء نقدية او يفصح عنها، ولكنه لا يوظف ذلك من اجل الكشف عما ينفرد به ابن قتيبة هنا او عما يفصح عن شخصيته التاليفية مما يقوم دليلا على ريادته. صحيح ان

الباحث يحذر من مغبة الاكتفاء باراء ابن قتيبة التي وردت في المقدمة وانه يدعو الى تتبع ارائه فيما اورد من احاديث خلال كلامه عن الشعراء ولكن الباحث حصر همه بما له صلة بالاراء .. « ابن قتيبة وكتاب الشعر والشعراء » ، هذا هو عنوان الفصل الرابع من كتاب الدكتور داود سلوم « مقالات في تاريخ النقد العربي » . بامكان القارىء ان يلمس منذ السطر الاول انحياز الباحث ضد ابن قتيبة : « لم ينل ناقد من النقاد شهرة بجهد الاخرين في النقد ما ناله ابن قتيبة من التقدير والاعتراف . وفي الواقع ان هذا التقدير والاعتراف كان يجب ان يكون للجاحظ ولكن المؤلفين المعاصرين في تاريخ النقد هم الذين كانوا مسؤولين عن تحويل شهرة الجاحظ لحساب ابن قتيبة في مصرف الشهرة(٢٤) » . ليس هنا مجال الفصل بين ابن قتيبة والجاحظ ولا يتسع القيام للبرهنة للدكتور سلوم على ان المؤلفين المعاصرين لم ينس فريق منهم في الاقل الفصل بين ابن قتيبة والجاحظ ولكن الذي يعنينا هنا ان الباحث لم يدع مجالا للشك في انه ينظر الى ابن قتيبة ناقدا فحسب وانه قرر قبل ان يخط الكلمة الاولى من بحثه تجريد ابن قتيبة مما ينسب اليه من فضل الريادة النقدية والتوسع في هذه المسالة مناسبة غير هذه المناسبة . ومع ان الباحث محق بعامة وهو يشكو من « ان اغلب الباحثين في تاريخ النقد لم يتعدوا قراءة هذه المقدمة فعلا ، ويندر ان تجد من اقتبس نصا ولو كان نصا واحدا من كتاب ابن قتيبة خارج حدود المقدمة الواضحة(٢٥) » الا انه لم يفعل اكثر مما فعله . الباحثون الذين لامهم اما قوله عن ابن قتيبة « انه اول كاتب عربي يضع كتابا في تاريخ الادب يحققه للمنهج المدرسي في التاليف وهو .... يعتبر اول من سن هذا المنهج ان لم يكن في كل الاداب العالمية فعلى الاقل في الادب العربي » فيشكل قفزا جزئيا على حقائق التاريخ ولا يقدم دليلا على قراءة الباحث كتاب ابن قتيبة قراءة موضوعية بعيدة عن الانفعال . واخيرا يعترف الدكتور داود سلوم « اننا سوف نستعرض منهجه كما عرضه في المقدمة(٢٦) وهكذا يكشف الباحث عن خلط عجيب بين المنهج النقدي ومنهج تاريخ الادب .

هناك فريق اخر من الباحثين في العصر الحديث الذين تناولوا ابن قتيبة في سياق اهتمامهم بالنقد العربي القديم يشتركون جميعا في تناول ابن قتيبة ناقدا والحكم عليه من خلال فهم ارائه التي ضمنها مقدمته أهم هؤلاء الباحثين : هم :

اولا : الدكتور محمد زغلول سلام لم يات في كتابه « تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري (٢٧) » على ما يستحق الذكر تمكز وهو يتناول ابن قتيبة على اراء الدكتور محمد مندور .

ثانيا : الدكتور احمد رمضان الجربي تتبع في كتابه « ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والادبية والنقدية(٢٨) » اراء ابن قتيبة النقدية التي جمعها في مقدمته دون ـ مناقشة .

ثالثا : محمد خير شيخ موسى لم يتطرق في كتابه « فصول في النقد العربي وقضاياه(٢٩) » الى كتاب ابن قتيبة-انه يشترك مع الدكتور مندور وعدد اخر من مؤرخي النقد المحدثين في اساءته فهم ظاهر نصوص ابن قتيبة لا سيما ما يتعلق بانتقاده الشعراء المحدثين بالوقوف على الاطلال .

رابعا : الدكتور المربي حسن درويش لم يكتف بالوقوف في كتابه « النقد العربي القديم اعلامه واتجاهاته(٣٠) » على اراء ابن قتيبة التي تضمنتها مقدمته وتعداد فقراتها بل لم يتورع عن اخذ اراء غيره احيانا دون الاشارة الى مصادرها ولا الى اصحابها .

خامسا : الدكتور عناد غزوان بحث في مقالته « ابن قتيبة ناقدا » التي نشرها مع مقالات اخرى في كتاب بعنوان « افاق في الادب والنقد(٣١) » عن الناقد وادواته النقدية فوجدها في المقدمة فبقي ابن قتيبة مؤلفا خارج دائرة اهتمامه .

فيما تقدم حاولنا ان نجمل اهم ما انطوت عليه القراءة العربية الحديثة لكتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة . وسنحاول فيما ياتي التعرف على اهم النتائج التي توصلت اليها قراءة المستشرق السوفيتي الارمني اوهانسيان للكتاب المذكور نفسه .

في مقال بعنوان : « الشعراء « الجدد » في « كتاب الشعر والشعراء » لابن قتيبة(٣٢) » نقرأ لاوهانسيان ما ياتي : « كتاب « الشعر وا شعراء » الذي ينتمي الى ريشة العالم الموسوعي العربي المشهور ابن قتيبة الدينوري (٨٢٨م - ٨٨٩م) يعد بحق واحدا من الاثار الرائعة للادب العربي في القرون الوسطى » . واضح من هذا الاستهلال ان الباحث اثر ان يتناول هذا الاثر من زاوية الدراسة الادبية العريضة ولم يشأ ان يسقط عليه سلفا وجهة نظر ضيقة .

ومع ان ابن قتيبة اكد لا سيما في مقدمة كتابه المذكور صراحة نزعته .. الاستقلالية في تناول مادته الا ان المستشرق الارمني وقد لاحظ تنوع المادة الاولية التي عالجها كتاب ابن قتيبة كان دقيقا وهو يشير الى ان ابن قتيبة كان اكثر استقلالية

وهو يعالج المادة الاولية التي وصلته بشكلها الخام » الخاصة بالشعراء المولدين الذين ادرجهم ابن قتيبة « في الدراسات الادبية لاول مرة » منه وهو يعالج المادة الشعرية القديمة التي كان للتقاليد راى معروف فيها قبل ابن قتيبة بزمن طويل، هذه المادة الشعرية « الخاصة بالشعراء الجاهليين والاسلاميين » .
وبهذه الصورة تجنب اوهانسيان التورط باتهام ابن قتيبة بوضع « مبادىء عجز عن تحقيقها » كماتشي معظم الدراسات الحديثة عن ابن قتيبة .

يؤكد اوهانسيان انه يرمي من وراء مثاله هذا توفير اجابة تؤكد استقلالية ابن قتيبة وتشير الى الطريقة التي تم بها التعبير عن هذه الاستقلالية وذلك بدراسة العناصر التكوينية لوثائق متفرقة من كتاب « الشعر والشعراء » . وتحقيقا لهذا الغرض قرر الباحث الارمني « اجراء مقارنة بين مادة تقليدية قديمة واخرى يتم تناولها لاول مرة من جانب ابن قتيبة » . يختار الباحث تناول ابن قتيبة « امرأ القيس » نموذجا للمادة القديمة وتناوله « ابا نؤاس » نموذجا للمادة الحديثة . ويعلل الباحث اختياره هذا بكون كلا الشاعرين هما من خيرة الشعراء : الاول بين الشعراء القدامى والاخر بين الشعراء المحدثين . عدا ذلك فقد لاحظ اوهانسيان ان هاتين الوثيقتين تعدان الاكبر حجما بين جميع الوثائق عن الشعراء الاخرين . كما انهما تبدوان كما لو ان المؤلف اولاهما اهمية تميزهما . فهما غنيتان سواء بنصهما الشعري او التعليقات على الاشعار . فالوثيقة عن ابي نؤاس تشغل ٢٤ ورقة من كتاب « الشعر والشعراء » طبعة ليدن ، وتضم « ٢٤١ بيتا من الشعر ، اما الوثيقة عن امرىء القيس فتشغل ٢٠ ورقة ، وتضم ١١٤ بيتا من الشعر . يستنتج الباحث من هذه المعطيات العددية ومن امور اخرى تتعلق بالعناصر التي تتكون منها هاتان الوثيقتان ميل ابن قتيبة لزيادة حجم النص الشعري بالمقارنة مع النص النثري في الوثائق حول الشعراء المولدين » .

ومن خلال الجدول الاتي يكشف اوهانسيان عن التناسب بين الاجزاء المكونة لهاتين الوثيقتين :

	امرؤ القيس	ابو نؤاس
١ ـ الاخبار	٢١	٠٦
٢ ـ تعليقات المؤلف	٠٤	١٨
٣ ـ تعليقات لا تخص المؤلف	٠٣	٠٢
٤ ـ احكام خاصة بالمؤلف	٠٢	٠٧
٥ ـ احكام الاحرين	٠٧	١٠
٦ ـ ملاحظات واخبار للمؤلف	١٠	١٦
٧ ـ استشهاد باراء الشخصيات ذات شهرة ونفوذ	١٣	٠١
٨ ـ ما اخذ الاخرون عنه	١٠	٠٥

لاحظ المستشرق ان الاخبار تشكل نواة الوثيقة عن امرؤ القيس ومعظمها تتعلق بالسيرة الشخصية وجميعها كبيرة الحجم اما حجمها في الوثيقة عن ابي نؤاس فصغيرة . ان عددها ستة واحد منها فحسب يتعلق بالسيرة الشخصية . في الوثيقة عن ابي نؤاس يولي ابن قتيبة اهتماما خاصا بالتعليق على اشعار ابي نؤاس (عددها ١٨) . انه يقوم بنفسه بشرح اشعار ابي نؤاس وفي مرتين فحسب ياتي بتعليقات منسوبة الى اشخاص مشهورين .اما في الوثيقة عن امرىء القيس فتنعكس النسبة . المؤلف نفسه يعلق اربع مرات على شعر الشاعر وياتي بثلاثة تعليقات لاخرين .

لقد لاحظ اوهانسيان ايضا انه بما ان كتاب ابن قتيبة بعد اول اثر يدرج اسم ابي نؤاس ضمن الثبت الشرعي الخاص بالشعراء الذين يحظون باعتراف التقاليد فمن الطبيعي ان المؤلف اذ يقدم اشعار الشاعر لا يتكيء على اراء ذوى الشهرة الا مرة واحدة اما في الوثيقة عن امرىء القيس فيصل عدد هذه الاستشهادات باراء الاخرين الى ثلاثة عشر .

المكان الثاني من حيث الكم في الوثيقة عن ابي نؤاس تشغله الاخبار والملاحظات التي يتقدم بها المؤلف نفسه . ان عددها ستة عشر عدا تلك المتعلقة باسم الشاعر ونسبه واسم قبيلته ... الخ تقابلها عشرة اخبار من هذا النوع في الوثيقة عن امرىء القيس ،اوهانسيان يعزو ذلك الى ان ابن قتيبة يريد ان يقدم للقارىء الصورة التي كونها لنفسه عن شخصية ابي نؤاس اما عن امرىء القيس فقد سبقته التقاليد الموروثة الى ذلك .

وفي الفقرة الخاصة باخذ الشعراء بعضهم من البعض الاخر يلاحظ اوهانسيان ان ابن قتيبة يورد عشر حالات منها في الوثيقة عن امرىء القيس بينما بلغت خمسا في الوثيقة عن ابي نؤاس عدا ذلك فان تسعا من المجموعة الاولى جاءت مجتمعة في مكان واحد بينما وردت متفرقة في الوثيقة عن ابي نؤاس

ويعزو اوهانسيان ذلك الى عدم وجود تقليد قائم بخصوص اخذ ابي نؤاس عن الشعراء الاخرين او العكس، « والى ان ابن قتيبة يبادر شخصيا الى وضع بداية لهذا التقليد فجمع ما كان متناثرا ومتداولا ولكنه لم يسجل بعد .

ولغرض دراسة مقترب ابن قتيبة من الموضوع يعثر المستشرق اوهانسيان على مادة ممتعة « من مقارنة العناصر المكونة للوثائق بعضها بالبعض الاخر » لقد صنف اوهانسيان تعليقات ابن قتيبة على اشعار الشعراء الى نمطين : الاول يرمي فيه ابن قتيبة الى شرح معنى الابيات اما النمط الثاني فيعمد فيه الى توضيح معنى مفردات متفرقة مهجورة .

اوهانسيان يعثر في الوثيقة عن امرىء القيس على خبرين من كل نمط . اما الخبران من النمط الثاني فلا يشيران الا الى تبحر ابن قتيبة العميق . انهما لا يكشفان مثلا عن موقف المؤلف من الابيات، اما الاستثناء من هذه القاعدة فيعثر عليه الباحث في الخبرين من النمط الاول حيث يطرح ابن قتيبة رايا في مواجهة الراي الذي استقرت عليه التقاليد الموروثة . ويضرب اوهانسيان مثلا من بيتي امرىء القيس المشهورين : « ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع .... » الخ البيتين اللذين يعدان مما يعاب عليه شعر امرىء القيس . اما ابن قتيبة فله فيهما راي اخر انه يقول : « وبئس هذا عندي عيبا ... الخ » وبذلك يؤكد ابن قتيبة نزعته الاستقلالية داخل الاطار العام الذي يؤكد احترامه للتقاليد .

اما تعليقات ابن قتيبة على اشعار ابي نؤاس فتترك لدى اوهانسيان انطباعا اخر مغايرا . « هنا يكون ابن قتيبة مؤلفا لتعليقاته بصورة كاملة وهو هنا يمتلك قراءته الخاصة به المعززة بالحجج لابيات الشاعر التي تتصف بالغموض والمثيرة للجدل » وفي هذه التعليقات يستعرض ابن قتيبة « تبحرا كبيرا ومعرفة متميزة بالعالم الشعري لمؤلف القصائد » . ويرى كذلك اوهانسيان ان « ابن قتيبة يحلل في حالات عدة اشعار ابي نؤاس بدرجة من الدقة بحيث تترك انطباعا كما لو انه يتعمد البحث في ابداع هذا الشاعر عن اشعار ذات معنى غامض بهدف شرحها وايصال مضمون الصيغ الشعرية المعقدة الى القارىء » ويضرب على ذلك مثلا بيتي ابي نؤاس :

الم تر الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كملا

ويقدم لها تفسيرا يخرج به على اجماع معاصريه ويعقب اوهانسيان على ذلك بقوله : « ان تعليق ابن قتيبة وهو يراعي تعقيد التفكير الشعري لدى ابي نؤاس ربما ينقل على نحو ادق معنى هذين البيتين الى القارىء » كذلك يذهب الى مقارنة هذا النمط من تعليقات ابن قتيبة في الوثيقة عن ابي نؤاس بما يقابلها في الوثيقة عن امرىء القيس « يصبح واضحا ان الباحث العالم وهو يشرح ويفسر ابيات الشاعر المحدث يتناول هذه القضية بكل الاستقلالية التي في طوقه والتي يتيحها له عصره » .

كذلك يضرب اوهانسيان مثلا على استقلالية ابن قتيبة من اعتراض الاخير على من اتهم ابا نؤاس باللحن . انه يقتبس رأى ابن قتيبة الذي يقول : « وقد كان يلحن في اشياء من شعره ولا اراه الا على حجة من الشعر القديم وعلى علة بينة من علل النحو » . بعد ذلك يستشهد اوهانسيان بدفاع ابن قتيبة عن بيت ابي نؤاس :

فليست ما أنت واط من الثرى لي رمسنا

حيث اعترض النحاة واللغويون على ترك الشاعر « الهمز » في « واطىء » . وعلى نصبه« رما » .

يواصل المستشرق اوهانسيان تتبعه الخصائص التاليفية عند ابن قتيبة مما شكل ما يمكن ان يوصف معه بـ« المنهج » التاليفي ولهذا تراه يلفت نظر القارىء الى ان تعليقات المؤلف هي ما يشكل نواة الوثيقة عن ابي نؤاس بينما تعد الاخبار هي المكون .. الرئيس في الوثيقة عن امرىء القيس . ومن هنا ياتي دور ابن قتيبة في تاسيسه لما سيصبح في المستقبل تراثا تقليديا في دراسة شاعر محدث مثل ابي نؤاس اما بخصوص امرىء القيس فتراه يتعامل مع تراث قائم بالفعل ، الامر الذي يعد كثيرا من فرص حضور ابن قتيبة الشخصي في تكوين الوثيقة عن شاعر قديم مثل امرىء القيس .

ومما له دلالته ايضا في توضيح معالم المنهج التاليفي عند ابن قتيبة ذلك الفرق الجلي الذي يستخلصه اوهانسيان من المقابلة بين الاخبار التقويمية التي تضمنتها وثيقتا ابن قتيبة المذكورتان، لقد استنتج اوهانسيان ان هناك فرقا واضحا « بين التناول المستقل للمادة حول ابي نؤاس وبين دور المصنف والناقل للوقائع والاراء والاشعار الذي يقطع به ابن قتيبة في الوثيقة حول امرىء القيس » . بالاضافة الى ذلك فان المصطلحات التقويمية في الاخبار التي يستخدمها ابن قتيبة « توفر امكانية في حدود معينة للكشف عن الموقف اللغوي

الذي يتبناه » ابن قتيبة . للبرهنة على ذلك يعقد المستشرق مقارنة بين خبرين تقويميين : احدهما عن امرىء القيس والاخر عن ابي نؤاس ليستنتج الفرق الواضح بين دور ابن قتيبة في كل منهما . يأخذ اوهانسيان من الوثيقة عن ابي نؤاس خبرا يعلمن فيه ابن قتيبة ان ابا نؤاس واحد من الشعراء المطبوعين ثم يعزز ما اعانه بخبر منسوب الى شخصية ذات نفوذ : قال لي شيخ لنا : لقيته « يقصد ابا نؤاس . ج . ن » يوما ومعي تفاحة حسنة فاريته اياها ، وسالته ان يصفها ، وما اريد بذلك الا ان اعرف طبعه وسهولة الشعر عليه فقال لي : نحن على الطريق ، فمل بنا الى المسجد ، فملنا اليه ، فاخذها وقلها بيده شيئا ، ثم قال :

يـارب تفـاحـة خلـوت بـهـا
تشـعـل نـار الـهـوى على كبـدي
قـد بـت فـي ليلتـي أقلبـهـا
اشكـوا اليـهـا تطـاول الكمـد
لـو أن تفـاحـة بكـت لبكـت
مـن رحمتـي هـذي التـي بيـدي

وبسط يده فناولنيها » .

ومن الوثيقة عن امرىء القيس يقتبس اوهانسيان لغرض المقارنة الخبر الاتي :

« واجتمع عند عبد الملك اشراف من الناس والشعراء فسالهم عن ارق بيت قالته العرب فاجتمعوا على بيت امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك الا لتضربي … بسهميك في اعشار قلب مقتل

ثم يعقب اوهانسيان على ذلك قائلا : « ومع ان ابن قتيبة يقتبس في كلا الحالتين وجهات نظر للاخرين وقصصا الا ان هناك فرقا كبيرا بين الخبرين . فاذا كان ابن قتيبة يقدم للقارىء في الخبر الثاني تقويما جاهزا ... ففي القصة حول ابي نؤاس يستعرض الباحث بالاستناد الى مثال من قصة شاهد عيان سلامة الاستنتاج الذي توصل اليه وذلك مباشرة بعد التعريف التصنيفي الذي جاء به المؤلف » .

وبعد ان يؤكد المستشرق ان الاخبار الاخرى في الوثيقتين تتميز فيما بينها « وذلك على الرغم من تجانس المعلومات التي تتضمنها » يشدد ان « علينا ان نحس بدرجة اكبر وان نتلمس ايضا استقلالية ابن قتيبة الذي يقرر الاشياء بنفسه » في الاخبار حول ابي نؤاس واما في الاخبار حول شاعر قديم مثل امرىء القيس فاننا « ندرك ونتلمس الحضور المسبق للمادة التي تعين على » ابن قتيبة « التعامل معها بخصوص شعراء العصر الجاهلي وشعراء صدر الاسلام » .

ينبه المستشرق اوهانسيان الى ان ابن قتيبة ينتمي الى ذلك العصر الذي ظهر فيه باحثون جدد يعون نسبية « الحقيقة المطلقة » التي اخذها جيل الاصمعي وخلف الاحمر وابي عمرو ابن العلاء من الرواة و « حافظوا عليها ولم يشوهوها » اما جيل الباحثين الجدد فقد ظهر لديهم موقف من « الكلمة الشخصية ومن الراي الشخصي بوصفه موقفا .... وتظهر معالجة هذه الكلمة وتشذيبها المتخصص الواعي ... ويظهر الاعتزاز بها والاستعداد للدفاع عنها » يلحظ المستشرق ذلك عند الجاحظ وبدرجة اكبر عند ابن المعتز الذي « ينسب الريادة الى نفسه » على حد تعبيره .

اوهانسيان لا ينسى الطابع المحافظ بعامة عند ابن قتيبة ومع ذلك فهو يدرك انه لم يعد هناك « بعد ملتقى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين اي شيء ذي نفوذ مطلق ... فقد اختفى مبدأ المعارضة بين الشعراء القدامى والشعراء المحدثين .. اما تقسيم الشعراء الى « طبقات » فقد زال هو الاخر . الذي بقي بعد ذلك هو « الذرى الشعرية » الثلاثة في الشعر العربي التي ادخلها ابن قتيبة :

(١)امرؤ القيس (٢)الفرزدق ، وجرير ، والاخطل (٣)ابو نؤاس .

وعلى الرغم من الطابع الاحيائي عند ابن قتيبة فقد بقي في راي .. اوهانسيان بينه وبين اسلافه « فارق كبير جدا » . ذلك ان ابن قتيبة الذي لم يعد « ما هو قيم على نحو مطلق » يشكل بالنسبة المعطى الوحيد اسعى في الوقت نفسه الى « ترميم هذا المعطى » وعمل على « اعادة بناء الذي ضاع على اعادة تشكيله » . ولهذا فهو اذ كون لنفسه تصورا اخر عن العالم الشعري للعرب « يصف على نحو مغاير تماما ويعلق على اللوحة المتكاملة التي عمل على تكوينها والتي لم يدخل فيها الا اكثر نماذج الشعر العربي شهرة من وجهة نظره » .

ان تكون مثل هذه اللوحة الكاملة للعالم الشعري للعرب يحتاج الى وعي تاليفي مستقل عن التقاليد الادبية القديمة كذلك فان مبدا الذرى الثلاثة » الذي وضع في اساسها « يعد مرحلة جديدة في وعي العرب لتاريخ ادبهم وادراكهم اياه » .

ومن بين المسائل التي توصل اليها اوهانسيان في تحليله للمادة الاولية التي ضمها كتاب « الشعر والشعراء » والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بـ« النزعة التاليفية » هي مسالة « ظهور الصور الفردية للشعراء داخل الوعي الثقافي للعرب في المجتمع الاسلامي » . ويجزم اوهانسيان ان ابن قتيبة هو « اول مؤلف توفر اعماله اساسا لان تفترض انه عمد في عدد من الحالات وعلى نحو واع الى رسم صورة للشاعر » . ويعزز اوهانسيان ذلك الى تزايد الوعي الشعري الفردي لدى مبدع الشعر نفسه .

ومن حقيقة فرز النماذج الجديدة للشعراء في « كتاب الشعر والشعراء » يتخذ اوهانسيان دليلا لا على دقة وصواب الحس الادبي لدى ابن قتيبة وعلى « فهمه لتطور العملية

الثقافية » بل يعتمدها ايضا دليلا « على ذلك الانتباه الذي رافق تعامل المؤلف مع شخصية الشاعر » . ولا يفوت اوهانسيان ان يؤكد ان ابن قتيبة « ليس ناقدا ادبيا مثل سلفه ابن سلام » ومثل « العالم الشاعر خلف الاحمر » ولا عالما لغويا « مثل ابي عمرو بن العلاء والاصمعي » بل هو ينتمي في رايه الى « الادباء ـ الكتاب » ذوي المقامات الرفيعة « الذين يشتغلون بالادب والذين ظهر بينهم ايضا المقترب الجديد لدراسةالشعر » . ان اهتمامه الرئيس توجه « لا نحو تشخيص الشعر الجديد ـ بل نحو استيعاب «الشعراء الجدد » .

وحرصا من المستشرق اوهانسيان على تشخيص المزيد من خصائص المنهج التاليفي لدى ابن قتيبة وتاسيسا على ما تقدم من استنتاجات يتساءل « ما اذا كان موقف المؤلف من صياغة الوثائق عن الشعراء يخضع للتغير وذلك بحسب المسافة الزمنية التي تفصل حياة اولئك الشعراء عن عصر ابن قتيبة ؟ » . وللاجابة عن هذا السؤال قام اوهانسيان بتحليل الوثيقة حول ثلاثي الشعر الاموي : جرير والفرزدق والاخطل الذين يعد شعرهم الذروة الثالثة اضافة الى ذروة الشعر الجاهلي ـ امرىء القيس ـ وذروة الشعر العباسي ـ ابو نؤاس ـ ومع ان وثائق الشعراء الامويين المذكورين جاءت متفرقة في « كتاب الشعر والشعراء » الا « انها تؤلف فيما بينها كيانا موحدا »

في نظر اوهانسيان يؤيد ذلك في رايه « الصلة المعنوية المشتركة فيما بينها وبناءها التكويني على حد سواء » . يعتقد اوهانسيان ان تناول هذه الوثائق متفرقة من شانه ان يبقى « الشيء الكثير منها عند القراءة غامضا » بالاضافة الى ذلك فان ابن قتيبة يقدم في الوثيقة عن جرير « معلومات تتعلق بالفرزدق وبالعكس » كذلك يورد فيها اراء لعلماء لغة تتعلق بالشعراء الثلاثة » وفي الوثيقتين التاليتين يكرر نبذا من هذه الاراء تتعلق بالشاعر الذي يتناوله « ولكن دون ان يستشهد بعالم اللغة الذي ذكره المؤلف قبل ذلك » اما في الوثيقة عن الاخطل وهي الاخيرة من حيث التسلسل فنقرأ قول ابن قتيبة « ومما يستجاد من شعر جرير والفرزدق والاخطل : قول جرير .... » ويكتفي بشعر جرير دون ان ياتي بامثلة من شعر زميليه . وفي مكان اخر من الوثيقة نفسها يورد ابن قتيبة اشعارا للشعراء الثلاثة على التوالي مع تقويمها وهكذا يعد « الجزء الختامي للوثيقة عن الاخطل .. خاتمة .. للوثيقة الكبيرة الموحدة عن الشعراء الثلاثة » . ولهذا يرى اوهانسيان ان من الممكن تناول الوثائق الثلاثة بوصفها وثيقة كبيرة واحدة .

اول المعطيات التي يلتفت اليها اوهانسيان في هذه الوثيقة التناسب « بين النص الشعري والنص النثري » هذه الوثيقة تشغل من كتاب ابن قتيبة تسعا وعشرين ورقة وتضم مائتين واحد عشر بيتا من الشعر ، وبعد ان قارنها مع الوثيقة عن ابي نؤاس (تشغل اربعا وعشرين ورقة وتضم مائتين وواحدا واربعين بيتا) لاحظ اوهانسيان زيادة النص الشعري بالمقارنة مع النص النثري بما يتناسب وحركة الزمن باتجاه القرن التاسع الميلادي » وان الوثيقة عن الثلاثي الاموى « تشغل موقعا وسطا بين الشعراء الجاهليين .. والشعراء المحدثين » .

لقد اجرى اوهانسيان تحليلا احصائيا قدم النتائج الاتية :ـ

١ ـ الاخبار	١٠ + ١٠ + ١٧ = ٣٧
٢ ـ تعليقات المؤلف	١ + ٥ + ٣ = ٩
٣ ـ تعليقات لا تخص المؤلف	.. + ١ + ... = ١
٤ ـ احكام خاصة بالمؤلف	١ + ١ + ... = ٢
٥ ـ احكام لاخرين	٤ + ٣ + ٩ = ١٦
٦ ـ ملاحظات واخبار للمؤلف	٢ + ٦ + ٣ = ١١
٧ ـ استشهاد باراء شخصيات ذات شهرة ونفوذ	٤ + ٢ + ٢ = ٨
٨ ـ ما اخذه الاخرون منه	١ + ٤ + ٢ = ٧

ومع ان التحليل الاحصائي للوثيقة عن الثلاثي الاموي يبين ان الاخبار ما تزال تشكل النواة الرئيسة في الوثيقة الا ان تحليل هذه الاخبار ومقارنتها مع ما يقابلها في الوثيقة عن امرىء القيس كشف عن الاتي : في الوقت الذي تمثل الوثيقة عن امرىء القيس بذاتها « مجموعة من المواد الحيادية التي وضعتها التقاليد الموروثة بين يدي المؤلف وحيث تلعب الاخبار السيرية الدور الرئيس » فان الوثيقة عن الثلاثي الاموي « تمثل بذاتها تلخيصا لمجموعة من المفاهيم الخاصة بالمادة الاولية التي تم تلقيها من التقاليد الموروثة واستيعابها استيعابا ابداعيا » : ويضرب اوهانسيان مثلا على ذلك من الملاحظة التي تصبغ وجهة نظر ابن قتيبة وهو يصف الفرزدق « الذي يعترف له بمهارته في فن الهجاء بانه انسان فصيح قادر على الرد دون ابطاء على النكتة او على هجوم يتعرض له » . وبهذه الطريقة فان الفرزدق لم يعد « شاعر هجاء عظيما شان اولئك الشعراء الذين كان يوجد منهم الكثيرون والذين قدمهم اسلاف ابن قتيبة ومنهم على سبيل المثال ابن سلام الجمحي نفسه في اعمالهم بطريقة يصعب معها احيانا تمييز احدهم من الاخر بل ان الفرزدق بالنسبة لابن قتيبة « فصيح يدخل في كل شيء ويشتق في فن بعد فن ويءتي بالافانين وقادر على ان يرد في الحال لا بوساطة الشعر فحسب بل حتى بوساطة النثر الاعتيادي » . وهكذا يستنتج اوهانسيان ان في الوثيقة عن الثلاثي الاموي « تتجلى بوضوح رغبة ابن قتيبة في ان يؤكد لا هذه الخصائص او تلك من خصائص اللغة الشعرية فحسب بل وان يفسر الانسان الذي اوجد اللغة وان يعرضه من زاوية جديدة » .

كذلك يلاحظ اوهانسيان تقويم ابن قتيبة لجرير بطريقة متميزة انه يتحدث عن جرير بوصفه شاعر غزل بعد ذلك يورد كلمات الشاعر نفسه :« لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشببت تشبيبا تحن منه العجوز الى شبابها » . يقول اوهانسيان : « وبعد ذلك يكتب الباحث :« وكان من اشد الناس هجاء » . وهنا ايضا يلمس المستشرق سعي ابن قتيبة « لرؤية شيء ما جديد في صورة الشاعر وان يضيء القضية على نحو ما يتسم بقدر اكبر من الاصالة . انه يكشف لا عن هجاء مؤذ ولاذع فحسب بل يكشف حتى عن مؤلف اشعار وجدانية رقيقة وعفيفة » .

ومما يقوم دليلا لدى المستشرق اوهانسيان على ان الموقف من شعراء صدر الاسلام يعد بالنسبة لابن قتيبة « امرا استثنائيا تقريبا » وانه « يتصف بطبيعة غير واعية تقريبا » ان ابن قتيبة « يستشهد ثماني مرات بوجهات نظر خاصة بعلماء لغة وادب مشهورين ورجال ذوي مكانة تاريخية » ويذكر اوهانسيان القارىء ان عدد هذه الاستشهادات في الوثيقة عن امرىء القيس « بلغ ثلاثة عشر اما في الوثيقة عن ابي نؤاس فهناك استشهاد واحد فحسب » .

ومما يقوم دليلا لدى المستشرق على صحة استنتاجه الذي يقول ان الوثيقة عن الشعراء الامويين الثلاثة قد خضعت للتغيير بما يتناسب والفترة الزمنية التي تفصلها عن عصر ابن قتيبة « ان تعليقات المؤلف في الوثيقة التي نتناولها بلغت تسعة تنتمي جميعها الى النمط الثاني » تقابلها اربعة في الوثيقة عن امرىء القيس وثمانية عشر في الوثيقة عن ابي نؤاس كذلك فان هذه الوثيقة تضم خبرين تقويميين صادرين عن المؤلف ومثل هذا العدد نفسه من الاحكام الصادرة عن المؤلف نجده في الوثيقة عن امرىء القيس اما في الوثيقة حول ابي نؤاس فعددها سبعة .

يؤكد اوهانسيان ان صورة الشاعر التي صاغتها التقاليد الادبية العربية الموروثة كانت صورة معيارية كليشة او قالبا . وهذه الصورة يتم تصويرها بوساطة سمات خارجية . انها تفتقر الى الديناميية ولا تتغير ابدا . ومثل هذه الصورة عن ابي نؤاس الشاعر نجدها عند ابي هفان الذي ينتمي الى الجيل الاقدم من بين معاصري ابن قتيبة . ابو هفان يقدم في كتابه « اخبار ابي نؤاس » صورة عن ابي نؤاس « بوصفه شاعر متعة نموذجها يتغزل بالسقاة الغلمان المادح . وبالجواري الحسان الذين يقضون كل اوقاتهم في مجالس الانس والطرب » ولا تخلو هذه الصورة من ابتذال احيانا . اما ابن قتيبة فيبني في راي اوهانسيان صورة اخرى تماما عن ابي نؤاس وهو يعتقد ان صورة ابي نؤاس هذه « كانت ربما انتاجا واعيا من انتاجات ابن قتيبة » كما يعتقد اوهانسيان ان تجاهل ابن قتيبة للصورة التي سبقه اليها ابو هفان عن ابي نؤاس لم يكن مجرد صدفة بل انه يذهب الى ان « ابن قتيبة يخوض بصورته هذه جدلا مع ابي هفان ... ويفضل الجدل مع المؤلف السابق الذي تناول هذا الموضوع اصبح بامكان ابن قتيبة ان يكون صورة الشاعر الخاصة به بوصفه مؤلفا وان يعثر لهذا الغرض على اكثر الصيغ قدرة على الاقناع لتوضيح فكرته » . ويخلص اوهانسيان الى القول ان « ابن قتيبة يريد ان يقدم الشاعر من زاوية جديدة واضعا صورة العالم التي كونها عن ابي نؤاس في مواجهة صورة ابي نؤاس اللاهي المنغمس في الملذات عند ابي هفان » كما كشف في وثيقة عند ابي نؤاس « عن شاعر فريد له المام بجميع مجالات العلم وللبرهنة على ذلك فانه يضم حوادث تفصح عن قابلية الشاعر وتبحره » . ومع ذلك فلم ينس ابن قتيبة اوجها اخرى متعددة في صورة ابي نؤاس فهو بالنسبة اليه « شاعر مطبوع ايضا قادر على القيام حالا بنظم شعر ممتاز » ويتكلم عنه بوصفه « شاعر مدح مقربا من حاشية الخليفة » . وهكذا يستنتج اوهانسيان « ان ابن قتيبة يعبر في بنائه صورة ابي نؤاس عن تصوره للشاعر او فهمه اياه ان الصورة المفهومية التي كونها المؤلف تتميز على نحو جلي من الصور ـ الاقنعة النمطية الشائعة في الموروث الادبي » .

ويختتم اوهانسيان بحثه عن كتاب ابن قتيبة « الشعر والشعراء » : « ان الحقيقة التي تقول بظهور مثل هذا المؤلف في الادب العربي ... تعد انجازا كبيرا من جانب ابن قتيبة الاديب ومما يزيد من وزن هذا الانجاز ورجحان كفته ان صورة الشاعر كانت قد تم بناؤها بوساطته عن وعي بكلمة اخرى انها لم تكن عفوية او طارئة في العالم الثقافي للخلافة العربية في القرن التاسع الميلادي » .

واذ انتهى من عرض بحث المستشرق اوهانسيان « الشعراء الجدد في « كتاب الشعر والشعراء » لابن قتيبة بعد عرض قراءات مؤرخي النقد الادبي العربي القديم للكتاب نفسه ارجو ان اكون قد وفقت الى وضع يد القارىء الكريم على الفارق الاساسي بين القراءتين وكيف ادت القراءة التحليلية الاحصائية للعناصر التكوينية التاليفية من جانب المستشرق اوهانسيان الى الكشف عن جوانب من خصائص المنهج التاليفي عند ابن قتيبة ما كان بامكان حتى القراءة التقليدية المتعاطفة مع ابن قتيبة التوصل اليها .

الهوامش :

(١) ابن قتيبة « الشعر والشعراء » تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ، ص ٦٣ .

(٢) طه احمد ابراهيم « تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري » دار الحكمة بيروت ـ لبنان (د . ت) ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٤) الدكتور محمد مندور . « النقد المنهجي عند العرب » دار نهضة مصر للطبع والنشر (د.ت) ص ٢١ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٢ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٨) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٩) الدكتور عبد الحميد سند الجندي . « ابن قتيبة العالم الناقد الاديب » وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر سلسلة اعلام العرب العدد ٢٢ مطبعة مصر ١٩٦٣ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(١١) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(١٢) المصدر السابق نفسه .

(١٣) المصدر السابق ص ٢٩٤ .

(١٤) المصدر السابق ص ٢٩٥ .

(١٥) المصدر السابق ٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

(١٦) المصدر السابق ص ٢٩٧ .

(١٧) المصدر السابق ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(١٨) المصدر السابق ص ٣٠١ .

(١٩) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

(٢٠) نشر هذا البحث في مجلة الاستاذ العدد الخامس عشر سنة ١٩٦٧ / ١٩٦٨ ثم اعيد نشره ضمن كتاب للباحث نفسه بعنوان « مفاهيم في الادب والنقد » صدر عام ١٩٨٤ في الرباط عن مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .

(٢١) الدكتور احسان عباس : « تاريخ النقد الادبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري » دار الامانة مؤسسة الرسالة ١٩٧١ .

(٢٢) الدكتور عبد السلام عبد الحفيظ . « نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا » دار الفكر العربي مطبعة دار القرآن ميدان الازهر الشريف ١٩٧٨ ص ١١٤ .

(٢٣) المصدر السابق ص ١١٥ .

(٢٤) الدكتور داود سلوم : « مقالات في تاريخ النقد العربي » وزارة الثقافة والاعلام دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨١ ص ١٥٠ .

(١٥) المصدر السابق نفسه .

(٢٦) المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٢٧) الدكتور زغلول سلام . « تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري » دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ص ١٠٩ ـ ١١٤ .

(٢٨) الدكتور محمد رمضان الجربي . « ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والادبية والنقدية ، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والاعلان طرابلس الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ص ١٧٩ ـ ١٩٨ .

(٢٩) محمد خير شيخ موسى . « فصول في النقد العربي وقضاياه » دار الثقافة الدار البيضاء ١٩٨٤ ص ٢٦ ـ ٣٠ .

(٣٠) الدكتور العربي حسن درويش . « النقد العربي القديم اعلامه واتجاهاته » مكتبة النهضة المصرية ص ١١٥ ـ ١٢٨ .

(٣١) الدكتور عناد غزوان « افاق في الادب والنقد » . دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠ ص ١١٥ ـ ١٢٨ .

(٣٢) اوهانسيان د. أ. باحث ارمني سوفيتي حصل على شهادة الكانديدات على رسالته الموسومة بـ « كتاب الشعر والشعراء » لابن قتيبة بوصفه مصدرا لتاريخ الشعر العربي الكلاسيكي » في موسكو عام ١٩٨٠ ويعمل حاليا مدرسا في قسم الدراسات العربية والتركية في جامعة يرفان . اما بحثه الذي نتناوله هنا بالعرض والتحليل « الشعراء الجدد في « كتاب الشعر والشعراء » لابن قتيبة » فقد نشر باللغة الروسية في مجلة « مسائل الاستشراق » .. العدد ١ ـ ٢ يرفان ١٩٨٣ . ونظرا لعدم الجدوى في احالة القارىء العربي الى صفحات المجلة المذكورة التي وردت فيها اقتباساتنا فقد اثرنا الاكتفاء بحصر كلام المستشرق داخل اقواس التنصيص . علما باننا قمنا بترجمة هذا البحث الى العربية ونامل أن يتمكن القارىء العربي من الاطلاع عليه منشورا في اقرب وقت .

أبحاث في أصوات العربية

تاليف

د. حسام سعيد النعيمي

دار الشؤون الثقافية

بغداد - ١٩٩٨ م

عرض وتقديم

عرض د. مي فاضل الجبوري

صدر عن دار الشؤون الثقافية كتاب بعنوان : ابحاث في اصوات العربية للدكتور حسام سعيد النعيمي استاذ علم اصوات العربية في كلية الاداب - جامعة بغداد . والكتاب في مقدمة وستة ابحاث هي فصوله التي توزعت - كما ذكر المؤلف في المقدمة - على دراسة صرفية صوتية او صوتية محضة او بيان لجهد قديم في ضوء الدرس الصوتي الحديث .

واول ذلك بحث بعنوان اتصال الفعل بضمائر الرفع - دراسة صوتية صرفية . وضع المؤلف في مقدمته بيانا موجزاً لمصطلحات البحث الصوتي المألوفة ، والتي لم يستقر عليها الاستعمال . وفيها مجموعة من اقتراحه ، مثل رموز الكتابة الصوتية وبعض اسماء المقاطع . ثم نبّه علي اشكالية تفسير ثلاث فكر لا تجد الدراسة الصوتية اليوم مسوغاً للقبول بما جاء به الدرس الصرفي العربي القديم لتفسيرها . الاولى ان الحركات (الصوائت القصيرة) اعراض في البنية محلها الحروف ، والثانية جعل الالف والواو المدية والياء المدية حروفاً ساكنة ، والثالثة فكرة وجود حركة قبل حرف المد من جنسه .

في صلب موضوع البحث قدم المؤلف المقاطع التي تشكلها ضمائر الرفع المتصلة ثم قدم مقطعية الفعل الماضي . واكد في ذلك على المقطع الاخير وما قبله فيه فحصر صورهما في العربية . وتحدث عن بنية المضارع والامر وحدد قواعد صوتية تحكم اتصال هذه الافعال بضمائر الرفع المتصلة، وهذه القواعد ممثل لها وموضحة بالامثلة التي كتبت كتابة صوتية عربية .

البحث الثاني في اشكالية الرسم في ضوء الدرس الصوتي الحديث . يقول استاذنا في مقدمته : - نريد ان ندرس العلاقة بين الرسم والصوت من حيث التطابق والافتراق . وقد ركز البحث في قضية تشابه الرمز في الواو الاحتكاكية والواو المدية والياء الاحتكاكية واختها المدية .

فالكتابة التقليدية معذورة في الخلط بين المصوت الاحتكاكي في الواو والياء . ولكن الدرس العلمي غير معذور في هذا الخلط فضلًا عن ان الدراسة الصرفية لتفسير التحولات الصوتية في الفاظ العربية ينبغي ان تقوم على اسس علمية صحيحة كما ذكر النعيمي . وهو يرى ان على الدارس ان ينتفع بما جاء في دراسات علم الاصوات الحديثة في تقديم التفسير البديل من تفسير القدماء الذين اوهمهم توحيد الرمز للاحتكاكي والمصوت .

ثم عرض البحث لمجموعة كبيرة من الكلمات بحسب التناول القديم لها صرفيا والتوجيه الصوتي الحديث في ضوء القوانين الصوتية المستنبطة من احكام المقطع والمزدوج . وحقيقة الفرق بين المصوت الطويل ونصف المصوت وغير ذلك . وخرج بتفسيرات لها اعادت النظر فيما قاله فيها اسلافنا .

البحث الثالث عن صوتية المفصل Juncture وقد عرفت عند القدماء بالسكتة . جعل علماء التجويد السكتة توقف القارىء عن اصدار الصوت اللغوي في تتابع اصداره السلسلة المنطوقة وذلك في غير موطن الوقف وتحدد في العادة بزمن اقل من زمن الوقف الطبيعي الذي يكون في اخر الجملة او عند رؤوس الاي . والفرق بين الوقف والسكت القائم على الزمن يمكن ان يزول باستعمال مصطلح القطع فيهما اخذاً بعبارة النحاس التي جعلها عنوانا لكتابه القطع والائتناف . وفيه كلام على مواضع ينبني على اختلاف القطع فيها اختلاف المعنى ويلاحظ ان تغير المعنى لم يكن بسبب صوت منطوق في السلسلة الكلامية بل بسبب الوقف عن النطق آنا ثم مواصلته . فالمؤثر في المعنى انعدام الصوت اللغوي وليس وجود الصوت اللغوي . كما قال المؤلف ، واضاف : التفاتة القدماء الى السكتة التمييزية لم تكن فيما يتصل بالقرآن الكريم وحده بل نجد امثلة كثيرة يمكن ان يحمل تنوع المعنى فيها على اختلاف موضع السكت . هذه السكتة عند صوتية المفصل التي قدمها الدكتور حسام النعيمي معززة بالامثلة القرانية والشعرية تدخلت في تحديد فهم السامع او القارىء لمراد المتكلم فهي دالة من الدوال اشير اليها في البحث بربط بين القديم والحديث .

بحث اخر في هذا الكتاب هو : جوانب من الدرس الصوتي عند الفارابي الفيلسوف ابي نصر محمد بن محمد بن طرخان . عرّفنا المؤلف به وبمعرفته باللغات وبخلقه وايمانه .. ثم قدم جوانب من دراسته الصوتية ، وذكر ان لعناية الفارابي بكتب ارسطو الاثر الكبير في دراسته الصوتية اذ استطاع ان يزاوج بين دراسة الصوت اللغوي القائمة على فكرة المقطع الصوتي كما هو عند علماء اليونان وتمكن من خلال ذلك من ان يقدم للقارىء دراسة صوتية نفيسة تتعلق بالمقطع الصوتي في العربية ، والمصوتات الطويلة والقصيرة والعلاقة بينهما ، واسقاط التصور بوجود حركة قبل حرف المد من جنسه . والكلام فيما يمكن ان يعد بدايات حسنة لما يسمى اليوم بنظرية الصوتية (الفونيم) . وكاننا اذ ننظر فيما كتب ننظر في دراسة علمية حديثة وليس في شيء كتب قبل الف عام . كما قال الدكتور النعيمي .

البحث الخامس في هذا المؤلف هو الموسوم بجوانب من الدرس الصوتي عند جلال الدين السيوطي . اذ وجه علماء العربية القدماء عنايتهم الى دراسة الصوت اللغوي منذ البدايات الاولى للتاليف الموسع في اللغة والنحو سواء في دراسة الصوت المفرد من حيث موضع ولادته في جهاز النطق ومن حيث صفاته التي جعلت لكل صوت من الاصوات اللغوية ماهيته التي يمتاز بها من غيره أم في دراسة في التشكيل الصوتي وما يصيب هذه الاصوات المفردة من تغير عند ورودها في السلسلة الكلامية المنطوقة وعند تحول اللفظة من صيغة الى صيغة . وبعدما تقدم من دراسة جاء ابو عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ فورث نتائج العلماء في هذا المجال فنبه على جهد من تقدمه واجتمع لديه من الدراسة الصوتية التي تندرج في دراسة التشكيل الصوتي قدم لها الدكتور النعيمي امثلة على النوعين وقال ان هذه المثل التي وقفنا عندها غيض من فيض مما كتبه السيوطي في الاصوات اللغوية ولم يكن من منهج البحث الاحاطة والاستيعاب .

البحث الاخير الذي نجده في هذا الكتاب هو « من اساليب البيان في الفاصلة في القرآن » والفاصلة في القرآن الكريم هي كلمة آخر الاية كقافية الشعر وقرينة السجع وهي جزء من موسيقا الايات حيث تتناغم الالفاظ بعضها مع البعض الاخر في نسق غير شعري . وان توافق في مواضع منه مع شيء من الاوزان التي نظم العرب عليها شعرهم كما قدم المؤلف ثم ضرب مثلًا بقوله تعالى «والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً » واضاف ان الفاصلة وان كانت جزءاً من النغم الا انها محكومة بالمعنى الذي يفرضه السياق او الحالة النفسية التي يريد القرآن الكريم للسامع ان يكون عليها ومن اجل ذلك قد يضحي بالفاصلة والموسيقا المتناغمة من اجل نغمة اخرى تخالف ما قبلها وما بعدها طلبا لتصوير فني يفوت مقصدهُ لو جعلت الفاصلة متناغمة مع بقية الفواصل في السورة . ثم ضرب امثلة من الفواصل على هذه الشاكلة في القرآن الكريم وبين مقتضى وجودها . ومن ذلك وصوله الى حديث سورة القمر وفاصلتها المنسجمة وقابل بينها وبين ارجوزة للعجاج اشر فيها عدم الانسجام حيث قال : وانظر كيف اضطرب احساس هذا الراجز الكبير واخلّ بدقة الموسيقا الداخلية لقوافيه وكيف جاءت الفواصل في سورة القمر منسجمة متناغمة مع العناية الدقيقة بالمعاني المرادة .

الكتاب في مجموعه رصيد من المعلومات الجديدة في بابها في متناول طلّاب العربية وعلم اصواتها خصوصا . وهو دروس في طريقة تطبيق قوانين علم الاصوات الحديث على موضوعات الكتب القديمة في مجال الصرف وغيره . فضلًا عن كونه اضاءة لجوانب من دراسات لغوية قديمة وتأييد لصحة ما وصل اليه الاسلاف بحسب آخر ما توصل اليه العلم الحديث في المجال ذاته . ولا غنى لمهتم باللغة قديمها وحديثها عنه . ولا بد ان اقول اخيراً انه صورة مشرقة لعلم واحد من علماء العراق الافذاذ نباهي بها ونعتبر .

اخبار التراث العربي

اعداد

حسن عريبي الخالدي

اصول الفقه الاسلامي د. وهبة الزحيلي، ط ٢، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ......- ١٩٩٨، ١ - ٢ ج، ١٢٦٤ ص.

اضافة الجهات الاربع - حمد الجاسر و د: ابراهيم السامرائي و د. جعفر عبابنة. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٥٦، س ٢٣ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٢٢٧ - ٢٣٤، ٢٣٥ - ٢٣٧، ٢٣٨ - ٢٣٩.

اطلالة مختصرة على كتاب (ترتيب الفروق واختصارها) تأليف ابي عبد الله محمد بن ابراهيم البقوري تح: عمر بن عباد عرض وتقديم: محمد بركاز مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٣٨ (س- ١٩٩٨) ١٣٥ - ١٣٩.

اعراب القرآن - لابي طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي (ت ٤٥٥ هـ) - د: حاتم صالح الضامن آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٢ - ٢٣، س ٦ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٢٠٨ - ٢١٢.

اعيان العصر واعوان النصر - للصفدي صلاح الدين ابي الصفاء خليل بن ايبك (٦٩١ - ٧٦٤ / ١٢٩٧ - ١٣٦٣ م) تح د. علي ابي زيد ود. نبيل ابي عمشة ود. محمد مود و. محمود سالم محمد قدم له الاستاذ: مازن عبد القادر المبارك، ط ١ دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث العربي، دمشق، دار الفكر المعاصر للطباعة والتوزيع والنشر ١٤١٦ - ١٤١٨ / ١٩٩٦ - ١٩٩٨، ١ - ٦ ج في ٣٩٩٢ ص ويضم المجلد السادس الفهارس العامة وقد رقمت اسماء التراجم فبلغت (٢٠١٧) ترجمة وقد شمل الكتاب تراجم من عاشوا في عصره من العلماء والشعراء والامراء والسلاطين وغيرهم من سنة ٦٩٦ هـ وهي سنة مولده.

افراد كلمات القرآن العزيز - لاحمد بن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في ارجح الروايات تح د: حاتم صالح الضامن مجلة العرب (الرياض) ج ١ - ٢، س ٣٥ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ١٣ - ٢١.

الامكنة والمياه والجبال والآثار - لأبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري المتوفى بعد سنة (٥٦١ هـ) تح الشيخ العلامة: حمد الجاسر مجلة / العرب (الرياض) ج ١١ - ١٢، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٨٤٠ - ٨٤٣ (١٨)

انساب الاشراف للبلاذري (مطبوعة الاستاذ محمود فردوس العظم) نقد الشيخ العلامة: حمد الجاسر مجلة / العرب (الرياض) ج ١١ - ١٢، س ٣٣ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٨٢٧ - ٨٣٣ (٤)
ج ٣ - ٤، س ٣٤ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٢٧٢ - ٢٧٦ (٥)
ج ١١ - ١٢، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٨٣٨ - ٨٣٩ (٧)
ج ١ - ٢، س ٣٥ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٨٦ - ٨٧ (٨)

انقاذ اللغة من ايدي النحاة - تاليف د: احمد درويش، ط ١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ......- ١٩٩٩، ٨٨ ص

اوراق من ديوان ابي بكر محمد بن داود الاصفهاني قراءة ومستدرك - عباس هاني الجراخ مجلة العرب (الرياض) ج ١١ - ١٢، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩): ٨١٦ - ٨٢١

البحث المصطلحي عند ابن البناء المراكشي - رضوان بن شقرون مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٤٣٢، س ٤٠ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٦٩ - ٧٣

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - للامام الشوكاني لابي عبد الله محمد بن علي بن محمد الخولاني الصنعاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ) (١٧٦٠ - ١٨٣٤ م) تح د. حسين عبد الله العمري، ط ١ دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ......- ١٩٩٨، ١٠٥٦ ص

بردة البوصيري بالمغرب والاندلس خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين آثارها العلمية وشروحها الادبية - تاليف: سعيد بن الاحرش، الرباط، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ....- ١٩٩٨، ٦٣٥ ص

(بغداديات) تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام تاليف: عزيز جاسم الحجية، ط ١، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، وزارة الثقافة والاعلام، ....- ١٩٩٩، ج - ٧، ٢٣٨ ص

البناء الفني في شعر المعتمد بن عباد - نادية محمود جمعة رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الأنبار - ١٩٩٨ باشراف د. انقاذ عطا الله العاني

بهجة العابدين بترجمة حافظ العهد جلال الدين السيوطي -

تاليف الشيخ عبد القادر الشانلي ،تـح عبد الاله نبهان ، ط ١ ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ١٤١٩ - ١٩٩٨ ٣٦٥ ص

البيوع الشائعة واثر ضوابط المبيع في شترعيتها - تاليف د . محمد توفيق رمضان البوطبي ، ط - ١ ، دمشق ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ..... - ١٩٩٨ ، ٤٤٠ ص

تاريخ الفقه الاسلامي - محمد على السايس تح : محمد وهبي سليمان ، ط ، ١ ، دمشق ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، .... - ١٩٩٩ ، ٢٦٤ ص

تبادل امهات كتب المذهب بين علماء فاس والقيروان - ابراهيم بن الصديق مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٣٩ (...... - ١٩٩٨) ٢٣ - ٣٠

التبويب النحوي بين الزمخشري وابن مالك - يوسف احمد جاد الرب ، ط ١ ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، .... - ١٩٩٨ ، ٧٦ ص

* التراث الجزائري ... المخطوط بين الامس واليوم - د . عبد الكريم عوفي مجلة / افاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٠ - ٢١ ، س ٥ (١٤١٨ - ١٩٩٨) ١٠٣ - ١٢٩ .

* تراجم مغربية اندلسية - عبد العزيز الساوري مجلة دعوة الحق (الرباط) ع ٣٣٨ (.... - ١٩٩٨) ١٠١ - ١٠٩

التصوف الاسلامي في المغرب - تاليف : علال الفاسي 'عداد : عبد الرحمن بن العربي الحريشي الرباط ، مطبعة الر ِسالة ، .... - ١٩٩٨ ، ١٣٧ ص

تطور مشكلة الفصاحة والتحليل البلاغي د : فخر الدين قباو ، ط - ١ ، دمشق ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، .... - ١٩٩ ١ ، ١٠٨ ص

، لتعريف بطبقات الامم - لابي القاسم صاعد بن احمد ا. قرطبي الاندلسي (٤٢٠ - ٤٦٢ / ١٠٢٩ - ١٠٧٠)تـح د : غـلام رضـ - نقد : يوسف الهادي مجلة / العرب (الرياض) ع ١ - ٢ ، س ٣٥ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٧٦ - ٨٠

التقعيد والخروج عن القاعدة بين الشافعي والنظام المـ متزلي من خلال علم اصول الفقه حمادي ذويب مجلة / دراء ـات مغاربية (الرباط) ع ١٠ (... - ١٩٩٩) ٢٣ - ٣٣

تقييد في بـ اء جامع حسان من رباط الفتح - لمحمد بن علي الدكا ي تقديم وتـ قيق : نجاة المريني مجلة / التاريخ العربي (المـ ترب) ع ٩ (.... - ١٩٩٩) ١١٩ - ١٤٥ .

تكملة المعاجم العربية - تصنيف رينهارت دوزي المستشرق الهولـ ندي (ليدن ٢٢٣: - ليدن ١٣٠٠/ ١٨٢٠ - ١٨٨٣ م) نقله الى الـ ربية وعلق عليه : جمال ايوب صبري الخيا ط : ط ١ ، بغداد ، ط اعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) ، وزارة الثـ افة والاعلام ، ..... - ١٩٩٩ ، ج - ٩ ٣٠٢ ص ويشتمل على الـ اظ الحرفين ك - ل ، ٥ - ١٢ مقدمة

المترجم ، ١٣ - ٢٩٨ النص ١٨٢ - ١٨٦ فهرس مواد حرف الكاف ٢٩٩ - ٣٠٢ فهرس مواد حرف اللام

وقد صدر اجزء الاول منه سنة ١٣٩٨ - ١٩٧٨ عن وزارة الثقافة والفنون (بغداد) بترجمة وتعليق المرحوم الدكتور سليم النعيمي (١٩١٢ - ١٩٨٤)

تلخيص السياسة لافلاطون (محاورة الجمهورية) لابن رشد ابي الوليد محمد بن احمد الاندلسي (ت ٥٩٥ هـ) نقله الى العربية د : حسن مجيد العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي ، ط - ١ ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر .... - ١٩٩٨ ، ٢٣٩ ص ، ٦٠ - ٣٧ تقديم بقلم « حسن مجيد العبيدي ٣٨ - ٤٩ مقدمة ارفن روزنتال ٥٠ - ٦٠ مقدمة رالف ليرنر ٦٣ - ٢٣١ النص ٢٣٣ - ٢٣٤ مسرد (مصطلحات) ٢٣٥ - ٢٣٨ المصادر والمراجع ٢٣٩ المحتويات

تنبيهات علي بن حمزة (البصري) على ما في الغريب المصنف من اغلاط تح ونقد : احمد طه حسانين سلطان ط - ١ ، القاهرة ، دار البشري للطباعة والنشر ..... - ١٩٩٨ ، ١٤٩ ص

والكتاب قسم من (التنبيهات على اغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات) لابي القاسم علي بن حمزة البصري (.... - ٣٧٥ / .... - ٩٨٥م) وقد نُشِرَ جُلُّه بتحقيق المرحوم العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (١٢٠٦ - ١٣٩٨ / ١٨٨٨ - ١٩٧٨) وصدر عن دار المعارف بمصر عام ١٣٨٧ - ١٩٦٧ ، كما نشر بقيته الاستاذ المرحوم الدكتور خليل ابراهيم العطية (١٩٣٦ - ١٩٩٨) وصدرت عن وزارة الثقافة والاعلام (بغداد) عام .... - ١٩٩٠ .

جذور النقد الاجتماعي في (عيار الشعر) - لابن طباطبا العلوي - د . صبري مسلم مجلة / العرب (الرياض) ج ١١ - ١٢ ، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٧٩٥ - ٨١٠

جمع المؤنث السالم دراسة نحوية تراثية - محمود محمد عبد المولى خميس ، ط -١ ، اسيوط ، مطبعة دار الهلال ، .... - ١٩٩٨ ، ٦٧ ص

الحضارة الاندلسية : تكريما للعلامة الاسباكي اميليو جارثيا جومث (اعمال) المؤتمر الدولي الرابع الذي اقامه قسم اللغة الاسبانية وآدابها بالاشتراك مع الاقسام العلمية المعنية بالكلية (كلية الاداب - جامعة القاهرة) بالاشتراك مع الاقسام العلمية المعنية في الكلية خلال المدة من ٣ - ٥ مارس ١٩٩٨ في القاهرة تحت رعاية فاروق اسماعيل القاهرة ، منشورات جامعة القاهرة ، (؟) ٨٧٨ ص

الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس - تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي ، ط -١ ، بيروت ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية .... - ١٩٩٨ ، ١ - ٢ مج ، ١٥٥٥ ص

حول مخطوط البرهان والدليل في خواص التنزيل - لابن

منظور القيسي ابي بكر محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن منظور القيسي المالقي الاشبيلي الاصل (ت ٧٥٠ هـ) - عرض وتقديم د : حسن [illegible] مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٤٣ ، س ٤٠ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٩٧ - ١٠١

الخزل والدأل [illegible] ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ([illegible] ٦٢٦ ، ١١٧٨ - ١٢٢٩) تح : يحيى زكريا عبارة ومحمد اديب جمران ، ط - ١ ، دمشق ، ادارة احياء التراث العربي ، وزارة الثقافة السورية ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ١٠ - ٢ مج ، ٢٤٢ ص ، [illegible]

دراسات [illegible] المعاني الزائدة - محمود محمد [illegible] ط - ١ ، اسيوط (مصر) مطبعة الهد[illegible]

دراسة تحليلية [illegible] الحجاز من خلافة يزيد الاولى - محمد زيود مجلة / دراسات تاريخية (دمشق) ع ٦١ - ٦٢ (..... ١٩٩٧) ١١١ - ١٥٤

كتاب [illegible] ابراهيم المجاب وابنه احمد (ع) [illegible] الشيخ علي القسام (١٢٢٢ - ١١٤٧ / ١٦٠٤ [illegible]) تح الاستاذ : جواد عبد الكاظم [illegible] ، بيروت ، دار [illegible] البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٤٦ ص

ديوان الاعمى التطيلي (ت ٥٢٥ هـ) دراسة موضوعية فنية - محمد عويد محمد الطربولي رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها باشراف [illegible] العاني ، كلية التربية ، جامعة الانبار ١٤٢٠ - ١٩٩٩ [illegible]

رائد الدراسات اللغوية والقرآنية ابو عمرو بن العلاء - وحيد عبد المجيد اسماعيل زاهد ، ط - ١ القاهرة ، ١٩٩٩ ، ٢١٠ ص

[illegible] بين المشرق والمغرب طلبا [illegible] مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع [illegible] (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٥١ - ٧٥

رسائل [illegible] (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ / [illegible]) [illegible] الحلوقان ورسائل اخرى دراسة وتحقيق [illegible] وحسين محمد عجيل ، ط - ١ ، [illegible] ١٩٩٨ ، ٣٥٠ ص

رسالة ابي بكر محمد بن زكريا الرازي في الزكام [illegible] مجلة / آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٢ - ٢٣ [illegible] (١٤١٦ - ١٩٩٨) ٢٠٠ - ٢٠٧

رسالة في ضبط وتحرير مواضع من ديوان الحماسة - لابي هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد ٣٩٥ هـ) حققها وقدم لها د : عبد المجيد الاسداوي ، ط ٢ ، الزقازيق (مصر) مكتبة عرفات ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٦٣ ص

رسالة في مكاسب الملوك والرؤساء والمرابين المحرمة - لابن رشد ابي الوليد محمد بن احمد (٤٥٠ - ٥٢٠ / ١٠٥٨ - ١١٢٦ م) تح : اسعد جمعة مجلة / دراسات اندلسية (تونس) ع ٢٠ (.... - ١٩٩٨) ٢١ - ٥٠

سلطان العارفين ابو يزيد البسطامي - عبد الحليم محمود ، ط ، ٢ ، القاهرة ، دار المعارف .....م ١٩٩٩ ، ١٧٤ ص

سلوة الحزين في موت البنين - لابن ابي حجلة التلمساني شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحيى بن ابي بكر (٧٢٥ - ٧٧٦ / ١٣٢٥ - ١٣٧٥) تح د : مخيمر صالح ، عرض ونقد : عبد المعين الملوحي مجلة مجمع اللغة العربية الاردني عمان ع ٥٦ ، س ٢٣ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٢٤١ - ٢٥١

السنوسي التلمساني ابو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر ابن شعيب ، الجامع بين علوم الباطن والظاهر مصنفاته المخطوطة واماكن وجودها - عبد القادر احمد عبد القادر مجلة / آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٢ - ٢٣ ، س ٦ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ١٢٧ - ١٥٤

سيرة سيدي احمد البدوي او النصيحة العلوية في بيان حسن طريق السادة الاحمدية - تاليف : علي نور الدين الحلبي الشافعي الاحمدي (علي ابراهيم بن احمد (١٥٦٧ - ١٦٣٤) ، القاهرة ، عالم الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، .... - ١٩٩٨ ، ٢٨٨ ص

الشبهة في الفقه الجنائي الاسلامي - د : عبد الخالق الحمدون مجلة دعوة الحق (الرباط) ع ٣٤٢ ، س ٤٠ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٢٨ - ٥٠

شخصية ابي الحسن الشاذلي ومكانته - عبد القادر العافية مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٤٥ ، س ٤٠ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ١٠٤ - ١١١

شرح تائية البوزيدي في الخمرة الازلية - لابي العباس احمد ابن عجيبة تح : الثابت بنسليمان غند الباري ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، .... - ١٦٦٨ ، ١٥٩ ص (المكتبة الصوفية)

الشرح الكبير لكتاب النفس لارسطو - لابن رشد ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد القرطبي الاندلسي (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م) نقله عن اللاتينية الى العربية : ابراهيم الغربي ، قرطاج (تونس) بيت الحكمة ، .... - ١٩٩٧ ، ٤٦٤ ص

شعبان الاثاري واثره في الدراسات النحوية - تاليف : نادي حسن عبد الجواد ، القاهرة مصر للخدمات العلمية ، .... - ١٩٩٩ ، ٨٢ ص

شعر اسماعيل بن يسار - جمع وتحقيق ودراسة د : يوسف حسين بكار ، بيروت ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتزيع ... -

١٩٩٧ ، ٦٤ ص

الشعراء الامويون في العصر العباسي (دراسة في المحرضات) - المرحوم الدكتور محسن غياض عجيل (١٩٢٤ - ١٩٩٩) مجلة / العرب (الرياض) ج ١١ - ١٢ ، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٧٧٤ - ٧٨٦

شواهد النحاة من شعر النابغة الجعدي - قمر احمد مصطفى القصاص ، ط - ١ ، القاهرة ، المؤلف .... - ١٩٩٨ ، ٣٦٢ ص

الشواهد النحوية والصرفية في شعر الحطيئة : دراسة وتحليل : احمد الزين علي العزازي ، ط - ١ ، القاهرة ، المؤلف ، .... - ١٩٩٨ ، ٢٦٦ ص

الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الاسلامية في انحاء العالمين الاسيوي والافريقي - ابو بكر القادري الدار البيضاء (المغرب) مطبعة النجاح الجديدة ، .... - ١٩٩٩ ، ٤٥٤ ص

صفات العلماء عن الفقيد الراحل د : خليل ابراهيم العطية (١٩٣٦ - ١٩٩٨) للاستاذ هلال ناجي مجلة العرب (الرياض) ج ١١ - ١٢ ، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٧٥٦ - ٧٦٠

طرائف ونوادر من سير اللغويين والنحاة - سيد خضر ، ط - ١ ، كفر الشيخ (مصر) دار الهدى للكتاب .... - ١٩٩٨ ، ١١٢ ص

ظاهرة الجاء الاراضي الزراعية وأثارها - د . حمدان عبد المجيد الكبيسي مجلة العرب (الرياض) ج ١ - ٢ ، س ٣٥ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٣٦ - ٤٦

عامر الشعبي والحركة الفكرية في العراق في القرن الاول الهجري - د : هادي حسين حمود ، ط - ١ ، بغداد المكتبة المصرية ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٦٨ ص

عبد الرحمن بن خلدون شاعراً - د : ناظم رشيد شيخو قطوف دانية مهداة الى ناصر الدين الاسد بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .... - ١٩٩٧ ، ص ١٤٠٩ - ١٤٤٢

العربية والتحديث اتجاهات التاليف اللغوي في العراق - د : محمد عبد المطلب البكاء ، ط - ١ ، بغداد طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية (افاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ، ..... - ١٩٩٩ ، ١٧٤ ص الموسوعة الصغيرة (٤٢٦)

عسى عند النحاة - عبد الرزاق عباس الاحبابي مجلة كلية المعلمين (الجامعة المستنصرية) ع ١٨ ، س ٦ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ١ - ١٨

العلامة الزاهد السيد هادي الصائغ (١٣٠٢ - ١٣٧٧ / ١٨٨٥ - ١٩٥٧) تاليف الاستاذ : جواد عبد الكاظم محسن ، ط - ١ بيروت ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ... - ١٩٩٨ ، ٤٢ ص

عمدة الراوين في تاريخ تطاوين - لابي العباس احمد بن محمد الرهوني تح : جعفر بن الحاج السلمي تطوان ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ..... - ١٩٩٨ ، ٢٧٠ ص

عودة الى ابي وجزة يزيد بن عبيد السعدي (ت ١٣٠ هـ) - وليد محمد السراقبي مجلة / العرب (الرياض) ج ١ - ٢ ، س ٣٥ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٧١ - ٧٥

عيون الاخبار وفنون الاثار في ذكر النبي المختار (ص) للمؤرخ عماد الدين ادريس بن الحسن القرشي (٨٣٢ - ٨٧٢ / ١٤٢٨ - ١٤٦٨) تح د : مصطفى غالب ، بيروت ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، .... - ١٩٩٧ ، الاجزاء ٤ - ٦ ، ٤٣٦ ص + ٣٨٤ ص + ٣٥٨ ص

الفارق بين المصنف والسارق للسيوطي جلال الدين ابي الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر (٨٤٩ - ٩١١) (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) تح الاستاذ : هلال ناجي صنع فهارس الكتاب : حسن عريبي الخالدي ، ط - ١ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ١٧٥ ص

في المجالات الدلالية صيغة فعال وفعالة في المعاجم العربية - احمد عبد الحميد احمد فراج ، القاهرة المؤلف ، ... - ١٩٩٩ ، ٩٠ ص

القدس في نظر الاندلسيين والمغاربة خلال العصور الوسطى - علي احمد التاريخ العربي (المغرب) ع ٩ (... - ١٩٩٩) ٤٩ - ٩٥ .

القراءات القرآنية في تفسير الامام ابن عطية - نعيمة غنام مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٤٣ س ٤٠ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٨٤ - ٨٨

قصيدة الاعشى في مدح الرسول الكريم (ص) واخبارها - دراسة وتحقيق د : ياسين يوسف عايش مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٥٦ ، س ٢٣ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٦٧ - ١١٥ .

القواعد النحوية على اللغة التميمية - جمع ودراسة : يسرية محمد ابراهيم حسن ، القاهرة ، المؤلفة ..... - ١٩٩٨ ، ١٨١ ص

الكعبة المشرفة في الشعر الجاهلي - عبد الغني زيتوني مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٥٦ ، س ٢٣ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ١١٧ - ١٦٦

اللباب في علوم الكتاب - للامام المفسر ابي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي المتوفى بعد عام ٨٨٥ هـ تح وتعليق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ومحمد سعد رمضان وحسن محمد المتولي ...... - ط - ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية

١٤١٩ - ١٩٩٨ ، - ١ - ٢٠ ج

لحق بشعر ابي العميثل الاعرابي (ت ٤٢٠ هـ) - عبد الله بن سليم الرشيد مجلة العرب (الرياض) ج - ١١ - ١٢ ، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٨٣٦ - ٨٣٧ .

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - د . فاضل صالح السامرائي . دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٩ ، ٢١٢ ص

المتبقي من شرح ابن كيسان لمعلقة طرفة بن العبد - تح : بهاء الدين عبد الرحمن مجلة / عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ع ١ ، مج ٢ (١٤١٨ - ١٩٩٧) ١٣٣ - ١٤٥ .

المتنبي كانك تراه نصوص نادرة عن سيرته ونقد شعره - للمرحوم د . محسن غياض عجيل (١٩٣٤ - ١٩٩٩) ، ط - ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٠٨ ص ، الموسوعة الصغيرة (٤١٨)

مخارج الحروف وصفاتها عند ابن المؤدب (في دقائق التصريف) - خولة محمود فيصل مجلة كلية المعلمين (الجامعة المستنصرية) ع ١٨ ، س ٦ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ١٢٣ - ١٤٢

المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح - للامام عبد الواحد بن التين الصفاقسي عرض وتقديم : محمد بن زين العابدين رستم مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٣٨ (.... - ١٩٩٨) ١١٣ - ١٢٦

المستدرك على شعر عبيد بن ايوب العنبري - حاتم صالح الضامن مجلة العرب (الرياض) ج ١١ - ١٢ ، س ٣٤ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٧٦٧ - ٧٧٠

المشتقات : نظرة مقارنة - اسماعيل احمد عمايرة مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٥٦ ، س ٢٣ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٥١ - ٦٦

المصطلح الدلالي في كتاب الصاحبي د : عوض بن محمد القوزي مجلة / افاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٢ - ٢٣ ، س ٦ ، (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٦٥ - ٧٧

مصنفات الشافعية ومصنفوها من القرن الثاني حتى التاسع الهجري - تح : سعود الروقي ، القاهرة ، المؤلف ..... - ١٩٩٨ ، ١٥٩ ص

معتزلة البصرة وبغداد - د : رشيد الخيون - ط ٢ مزيدة ومنقحة . لندن دار الحكمة ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٤٢٧ ص

الملامح الاقتصادية في رحلة ابن بطوطة د : احمد مطلوب . ط - ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ..... - ١٩٩٨ ، ١٧٤ ص

من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والاسلام - تاليف : محمد بن داود بن الجراح المتوفى سنة ٢٩٦ هـ تح المرحوم : د . محسن غياض عجيل (١٩٣٤ - ١٩٩٩) و د . مصطفى عبد اللطيف جياووك ، ط - ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ..... - ١٩٩٩ ١٥٧ ص (سلسلة خزانة التراث)

من الفاظ الحضارة في الاندلس والمغرب : كلمة ظهير مثالا : محمد بن شريفة مجلة / الاكاديمية (الرباط) ع ١٤ (... - ١٩٩٨) ٩٩ - ١١٨

من مخطوطات خزانة القرويين : مخطوطة في غريب القرآن والحديث - لمؤلف (مجهول) من القرن الرابع الهجري - عرض وتقديم : محمد بن عبد العزيز الدباغ مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٤٣ ، س ٤٠ (١٤٢٠ - ١٩٩٩) ٨٩ - ٩٦ .

اقول : والله اعلم يستفاد من وصفها انها مخطوطة كتاب الغريبين : غريب القرآن والحديث لابي عبيد الهروي المتوفى عام ٤٠١ هـ وقد طبع الجزء الاول منه بتحقيق الاستاذ المحقق الثبت : محمود احمد الطناجي وصدر عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة عام - ١٩٧٠ في ٤٣٢ ص ولم اقف على بقيته وهما الجزآن الثاني والثالث وقد فآت المحقق الكريم الاطلاع على مخطوطة دار صدام للمخطوطات

من مخطوطات خزانة القرويين بفاس (نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض) - تاليف : شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي القاضي (٩٧٩ - ١٠٦٩ هـ / ١٥٧١ - ١٦٥٩) عرض وتقديم الاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ مجلة دعوة الحق (الرباط) ع ٣٤٠ (... - ١٩٩٩) ١٠٧ - ١١٤

من معجم ابي حيان التوحيدي - تاليف د : نعمة رحيم العزاوي ، ط - ١ ، بغداد ، طباعة دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ..... - ١٩٩٧ ، ١٨٩ ص ، الموسوعة الصغيرة (٤٠٩)

مناهج البحث في الرياضيات عند العلماء العرب والمسلمين - مصطفى موالدي مجلة افاق الثقافة والتراث « دبي » ع ٢٢ - ٢٣ ، س ٦ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ١٨١ - ١٨٩

منهاج ابن ملكون في مخطوط ايضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج لابن جني - محمد الحيري مجلة / افاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٢ - ٢٣ - س ٦ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٢١٣ - ١٧

نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي - لمحمد الصغير الافراني ابي عبيد الله محمد بن عبد الله تقديم وتحقيق : عبد اللطيف الشاذلي ، الدار البيضاء (المغرب) مطبعة النجاح الجديدة ..... - ١٩٩٨ ، ٥١١ ص

نزهة المجالس ومنتخب النفائس ـ للصنوري عبد الرحمن بن عبد السلام الشافعي ـ (٨٩٤ هـ) تح حمزة النشرتي وعبد الحفيظ فرغلي وعبد الحميد مصطفى ، القاهرة ، مؤسسة الاهرام ...ـ ١٩٩٨ ١ ـ ٣ مج

النسب عند العرب والتصنيف فيه حتى منتصف القرن الثالث الهجري ـ عبد العزيز بن سليمان المقبل مجلة / العرب (الرياض) ج ١ ـ ٢ ، س ٣٥ (١٤٢٠ ـ ١٩٩٩) ٥٦ ـ ٦٥ .

نسمة السحر ـ للشريف الصنعاني ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسيني اليماني المتوفى سنة ١١٢١ هـ تح : كامل سليمان الجبوري ، ط ـ بيروت ، الدار المؤرخ العربي ، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ ، ١ ـ ٢ ج ، ٥٨٢ ص + ٥٦٠ ص + ٦٧٨ ص

نصوص من تاريخ ابي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الغانمي الازدي الكوفي المتوفى سنة ١٥٧ هـ استخراج وتنسيق وتحقيق : كامل سلمان الجبوري ، ط ـ بيروت ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ دار الرسول الاكرم (ص) ، (١٤١٩ ـ ١٩٩٩) ١ ـ ٢ ج ، ٥١٨ ص + ٤٥٤ ص

النظام العربي الاسلامي في ترميم المخطوطات والوثائق التاريخية باستخدام الالياف السيللوزية في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ بسام عدناني داغستاني مجلة / افاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٠ ـ ٢١ ، س ٥ (١٤١٨ ـ ١٩٩٨) ٢١١ ـ ٢١٨

النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام لابن المستوفي الاربلي شرف الدين ابي البركات المبارك بن احمد بن المبارك (٥٦٤ ـ ٦٣٧ هـ / ١١٦٩ ـ ١٢٣٩) دراسة وتحقيق د : خلف رشيد نعمان ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافة العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، ...ـ ١٩٩٩ ، ج ـ ٨ ، ٤٤٣ ص (سلسلة خزانة التراث)

نظرات في تفسير ابن البناء المراكشي للقرآن الكريم ومذهبه في تعليل رسم المصحف ـ محمد عز الدين المعيار الادريسي مجلة / دعوة الحق (الرباط) ع ٣٣٨ (...ـ ١٩٩٨) ١٢٧ ـ ١٣٤ .

نظرة في كتاب (نبذة من الرحلة العودية الى الديار المصرية لحسين بن مصطفى عودة (١٢٥٢ ـ ١٣٣١) ١٨٣٦ ـ ١٩١٣) عرض : عدنان تكريتي مجلة افاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٢٢ ـ ٢٣ ، س ٦ (١٤١٩ ـ ١٩٩٨) ١٦٣ ـ ١٦٩

نظم المتون متعددة الفنون الاستاذ الدكتور جلال شوقي مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٥٦ ، س ٢٣ (١٤١٩ ـ ١٩٩٩) ١١ ـ ٤٩

الهندسة العسكرية في الفتوحات الاسلامية (١١ ـ ١٣٢ هـ / ٦٣٢ ـ ٧٤٩ م) ـ اللواء الركن د . قصي فالح عبد الرؤوف ، ط ـ ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، ...ـ ١٩٩٧ ، ٢٧٠ ص

ولدا مسلم بن عقيل ـ تاليف : جواد عبد الكاظم محسن ـ ط ـ ١ . بيروت ، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٦ ـ ١٩٩٨ ، ١١٨ ص

عن بيت الحكمة في بغداد صدر العدد الثالث ١٩٩٩ / من مجلة دراسات فلسفية وتتضمن ملفا خاصا عن احمد ميشيل عفلق ـ فيلسوفاً ومفكراً ، ومحاضرات ونقداً للكتب وترجمة وتقارير ومراجعات .

في سعيها لبناء صرح معجمي مكين اصدرت دار « مكتبة لبنان ناشرون » مجموعة جديدة من المعاجم في حقول مختلفة وكان منها :

« معجم الفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية » الذي انباحث العراقي عادل عبد الجبار زاير ويضم دراسة وافية عن المعجم كلاهما مبني على رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير . وقد تتبع المؤلف عند وضعه للمعجم منهجاً يزاوج بين الرؤية التاريخية للمفردات والمجال الاستعمالي لها مما جعله يربط بقوة بين الدلالات المعجمية والدلالات السياقية ، وقد كان يعول كثيراً على كتب اللغة والمعجمات وكتب التفسير والدراسات القرآنية وكتب الحديث الشريف والمجموعات الادبية والشعرية والمصنفات الاصولية الفلسفية .

كما صدر عن الدار نفسها وضمن موسوعة الدحداح في علم العربية ، « معجم لغة النحو العربي » وتضمن المعجم فهرساً بالمصطلحات عربي ـ انجليزي ـ فرنسي . مؤلف المعجم هو السفير انطوان الدحداح وراجعه الدكتور جورج متري عبد المسيح .

وصدر ايضاً « معجم فصاح العامية » للاستاذ هشام النحاس ، وهو باحث ومدقق لغوي ، وكاتب يزاول الكتابة في اللغة وعلاقتها بالثقافة والتربية والفكر . المعجم موثق من مصادر التراث والمراجع الحديثة في ان واحد . وقد صدر بدراسة شاملة وافية في موضوع الخطأ والصواب واللهجات . وهي دراسة شاملة في هذا المجال تستحق ان تفرد في كتاب .

وصدر « معجم الطالب والكاتب » للاستاذة الباحثة سنا جهاد التي تبحرت في العلوم العربية عامة وعلم الصرف بشكل اخص وقد لاحظت انه على خطورته واهميته لم تحظ بالعناية الكافية مما اوقع علماء النحو واللغة ومؤلفي المعاجم في سقطات ليست يسيرة .